الدين والسياسة في الدولة العثمانية

قراءات في فكر الصدر الأعظم لطفي باشا

د/ رامي إبراهيم البنّا

الطبعة الأولى
1
(1443هـ - 2022م)

اسم الكتاب: **الدين والسياسة في الدولة العثمانية**
قراءات في فكر الصدر الأعظم لطفي باشا

تأليـــف: د/ رامي إبراهيم البنا

موضوع الكتاب: تاريخ - فقه - فرق ومذاهب - سياسة شرعية

عدد الصفحـات: 180 صفحة

مقـاس الكتـاب: 17 x 24 سم

الترقيم الدولي: 978-605-69743-9-4



التوزيع والنشر
6/11 شارع وحيد أفندي - حي توفيق بيك - كوجوك
جكمجة - اسطنبول - تركيا - ت: 00905454886870
هاتف: 00201027013326 - 00201555566139
E-mail: info@arabhistorypublishing.com
Websit: www.arabhistorypublishing.com



الدين والسياسة في الدولة العثمانية


QVÆ TIBI CVM MOLLI RES EST, POLLVTE CYNÆDO!
CVM CVBET IN THALAMIS REGIA NYMPHA TVIS.
LVTZIS BASSA
EX HVMILI FORTVNA LOCO TE EVEXIT IN ALTVM
EX ALTO MAIOR SÆPE RVINA VENIT.

لطفی پاشا

مقدمة

البحث في التاريخ من أجلّ المهام التي يضطلع بها المرء، فالتاريخ حصيلة كمٍّ من التجارب الإنسانية التي نُقلت إلينا، وفهم الحاضر لا يكون إلا بفهم الماضي، والتاريخ الإسلامي بمختلف مراحله هو تاريخٌ غنيٌّ بالشخصيات والأحداث والوقائع الجِسام المهمة، والأيام دُولٌ بين الناس، تتغير الأحوال وتتبدّل الأمم بين صعودٍ وهبوط.

حكم العثمانيون العالم الإسلامي ما يقرب من ٦٠٠ عام وخضعت لهم الأمم، واتسعت الدولة العثمانية حتى وصلت إلى أبواب فيينا، وأصبحت في وقتٍ من الأوقات المنافس الرئيس للأمم الأوربية أو الفرنجة كما كانوا يسمون في ذلك الوقت، خاصة في عصري السلطان سليم الأول والسلطان سليمان القانوني، ولأن ذلك العصر كان عصر ذروة الحضارة العثمانية، امتلأ بنماذج مبهرة فريدة في سائر المجالات؛ سواء السياسية أو العسكرية أو الاجتماعية أو غيرها.

لقد تعرفت على لطفي باشا أثناء عملي في ترجمة أطروحة الدكتوراه للدكتور رمضان يلدرم "الاسس الكلامية للمناقاشات حول الخلافة العثمانية في مرحلة الغائها"[1]، فقد تناول الدكتور في كتابه رسالة الوزير الأعظم لطفي باشا "خلاص الأمة في معرفة الأئمة" وأَلَّفَ لطفي باشا هذه الرسالة خاصة لمناقشة مسألة وجوب قرشية نسب الخليفة أم لا؟، فلفتتني الرسالة ولفتني موضوعها؛ إذ تناوُل هذه المسألة وإفرادها بالبحث هي من الأمور النادرة، فمن المعروف أن المسألة كان يفسح لها مجال في كتب الكلام، ويكتفى في نقاشها بسطورٍ تقول بأن الغالبية من المسلمين رأوا بوجوب قرشية الخليفة.

وملخص المسألة أنه أثير في فترة الوزير الأعظم لطفي باشا مسألة وجوب قرشية الخليفة، وأن السلطان العثماني من الممكن أن يقال عليه أي لقب سواء أكان

---

1 سيصدر الكتاب إن شاء الله قريبًا عن المعهد العالمي للفكر الإسلامي ببلجيكا.

سلطانًا أو حاكمًا أو ما شابه غير لقب الخليفة، ذلك لأنه ليس من نسل قريش، والحديث المشهور في هذا الشأن يقول: "الأئمة من قريش"[2]، أما لطفي باشا فانبرى بقلمه ينفي صحة الرأي الذي ينادي بضرورة وجوب هذا الشرط في الخليفة، وأن السلطان العثماني هو خليفة للمسلمين مثله كمثل أي خليفة مر على المسلمين، واستدل على ذلك بأدلة نصية وعقلية تأتي في مكانها من هذا الكتاب.

لقد أثار انتباهي هذا التناول من قِبَل الرجل؛ فقد كان له أن يغض الطرف عن مثل هذه المسألة، والسلطان العثماني قد خضع له العالم آنذاك، فنحن نتحدث عن السلطان سليمان القانوني، فلم يكن محتاجًا لمثل هذا اللقب، فالحكم في يده والقوة في يده، شاء من شاء وأبى من أبى، إلا أن لطفي باشا قد شعر بواجبٍ عليه أن يبين هذه المسألة دينياً، كذلك شعر بوجوب الانتماء لهذه الدولة والتبعية لها والولاء لها إلى أن مات، لهذا حاول أن يثبت ذلك اللقب للسلطان العثماني، بأدلة نقلية وعقلية، ما حفّزني جدًّا إلى أن أتتبع آراء هذا الرجل في مؤلفاته الأخرى.

سعيت وراء شخصية الوزير الأعظم لطفي باشا فوجدت عنده ما ليس عند غيره، فهو صاحب عقل متديّن، محافظ إلى أقصى درجة، من أهل السنة، وسياسي محنّك توفّرت له من الخبرة والتجربة ما لم يتوفّر لغيره، لا سيما أنه قد تربّى في قصر السلطان العثماني وتنقّل بين الوظائف في عهد ثلاثة من أشهر سلاطين الدولة العثمانية بايزيد الثاني ثم سليم الأول ثم سليمان القانوني، فكان من الرجال البيروقراطيين في الدولة العثمانية، من الطبقة العليا المنتقاة والتي أوليت منذ نعومة أظفارها تعليما خاصًّا حتى يتأهل أهلها كي يكونوا رجال دولة.

كان لطفي باشا إلى جانب الصفات التي ذكرناها صاحب شخصية قوية مستقلة، تلك الشخصية التي نلمسها بوضوحٍ في مؤلّفاته، فبالرغم من أن الرجل عثمانيٌّ حتى النخاع، يدافع عن الدولة وعن سلطانها، إلا أنه كان قادرًا على انتقاد

2 سيأتي في ثنايا البحث تسليط الضوء على الحديث والمسألة برمتها.

ما يراه خطأ، والسعي في إصلاحه، وهذا يتجلّى بوضوح في كتابه "آصف نامه" الذي ترجمناه في آخر هذه الدراسة، تلك الشخصية القوية التي انتهت بها الحال أيضًا إلى التطليق من أخت السلطان سليمان القانوني "شاه سلطان"، بعد زواج دام مدة طويلة، لأنه أبى أن يخضع لامرأة، كما يشير هو في مؤلفاته في غيرما موضع، ويكون على إثر ذلك عزله من منصب الوزارة العظمي.

إن لطفي باشا لم يهمّه العزل لحظة من اللحظات، وهو الذي نبّه في كتابه "آصف نامه" على أن الوزير الأعظم لا ينبغي أن يكون خائفًا مهزوزًا من عزل السلطان له، فله أن يخاف الله في وظيفته، أما هو فكتب في مواضع كثيرة من مؤلفاته أن ذلك العزل الذي حدث له، ليس محنة إنما هو منحة، فقد انزوى في مزرعته وتفرّغ للعلم ومجالسة العلماء والأدباء، وكذلك للتأليف، فأصبح الرجل غزير التأليف، وهكذا الإنسان المميز دائمًا يصنع من المحن منحًا.

ركّزت هذه الدراسة على جانبين اثنين من شخصية الوزير الأعظم لطفي باشا: الجانب الديني، والجانب السياسي. وقد ترك لنا رسائل في كلا الجانبين، فتناولت الدراسة آراءه من خلال تلك الرسائل، مع محاولة التعليق عليها بالاستعانة بمراجع أخرى، وأخذها بالدراسة والبحث.

وأرجو أن أكون وفقت في أن أضع بين يدي القارئ العربي وللمكتبة العربية شيئًا جديدًا.

لا أنسى هنا أن أشكر لكلٍّ من: الدكتور آدم آرِكان، وخليل إبراهيم دلان، على مساعدتي بإعطائي بعض من المخطوطات التي هي من تأليف لطفي باشا، كذلك أشكر للدكتور أحمد الشرقاوي القائم على مركز التاريخ العربي بالقاهرة لاهتمامه بالكتاب والتنبيه على بعض الأخطاء الواردة أثناء الكتابة، وكذلك الشكر لصديقي إسلام هلال، لمراجعته هذه الدراسة وقراءتها وعمله فهرس لها.

إن عملي خلال هذه السنوات ينصب في عدة مجاري؛ الأول هو التركيز على ما هو مجهول للقارئ العربي سواء أكان في التاريخ العثماني أو في سوق الكتب التركية، وأنا أعمل في هذا الاتجاه بأداتين:

1- الترجمة؛ فترجمت عدة أعمال في هذا المجال

2- بالبحث؛ فقد نشرت عدة أبحاث في هذا المسار.

الأمر الآخر هو اهتمامي بتاريخ المذاهب والأفكار، وهذا المجال الذي لا أريد أن أبعد عنه، لأنه يرضي شغفي بعلوم التاريخ والسياسة والكلام، وقد أصدرت في هذا عدة أعمال، وأرجو من الله التوفيق، ونحن لا زلنا في بداية الطريق...

د. رامي إبراهيم البنّا

قبرص

1443/4/2

2021/11/7

الفصل الأول

لطفي باشا عصره وحياته

العصر الذي نشأ فيه لطفي باشا

يعتبر العصر الذي عاش فيه لطفي باشا عصر بلوغ ذروة الازدهار للدولة العثمانية، وقد أدرك هذا العصر وشارك مشاركة فعّالة في ازدهاره؛ حيث ابتدأ حياته الوظيفية في الحرم الخاص في عهد السلطان بايزيد الثاني 1481-1512م[3]، كذلك ترقّى في الوظائف في عهد السلطان ياوز سليم 1487- 1510، حتى وصل إلى رتبة الوزير الأعظم في عهد السلطان سليمان القانوني 1520-1566.[4]

يعتبر السلطان سليم الأول أو ياوز سلطان سليم- كما يقال في العثمانية- من أكبر سلاطين الدولة العثمانية وأشهرها، حكم ثمان سنوات من الفترة ١٥١٢-١٥٢٠م، وقد وصل سليم إلى الحكم بعد خلافات مع والده بايزيد الثاني، انتهت بتنحي السلطان بايزيد الثاني للسلطان سليم الأول عن السلطنة[5]، ولما أخذ سليم زمام السلطة أحكم نظام الدولة، وسعى في تأمين الإمبراطورية العثمانية داخليا وخارجيًّا، فقضى على التهديد الصفوي في بلاد الأناضول، لاسيما أنه قد ظهر تهديد الشاه إسماعيل الصفوي ١٥٠٤- ١٥٢٤[6] بقوة في تلك الفترة، وأسس

---

3 Şerafettin Turan, "Bayezid II", TDV İslâm Ansiklopedisi.

4 للاطلاع على معلومات مستفيضة تخص هذا العصر يمكن النظر إلى: لطفي باشا، *تواريخ آل عثمان*، تحقيق محمد عبد العاطي محمد، (القاهرة: دار البشير، 2019)، ٢٢٨-٤٧٩، والنسخة العثمانية؛ لطفي باشا، *تواريخ آل عثمان*.
İsmail Hakkı Uzunçarşılı, *Osmanlı Tarihi*, (Ankara: Türk Tarih Kurumu Yayınları, 7. Bask. t.y.), c. 2, s. 187-321.

5 انظر رواية لطفي باشا لهذه الخلافات والحرب التي قامت بينهما، ثم إكرام بايزيد الثاني للسلطان سليم وأخذ العهد منه أن يعامل إخوته بالحسنى، وقال: "وفي سنة ٩١٨هـ أحضر السلطان بايزيد ابنه السلطان سليم بإعزاز واحترام وإكرام إلى إسلامبول، وعفا عنه، وتنازل عن السلطنة بطيب خاطر؛ وأوصاه قائلا: "لتنتقم للعثمانيين من المصريين، ولأهل الإسلام من القزلباش، ولتعامل إخوتك بحسن العشرة كلما جاءوا إليك"، لطفي باشا، *تواريخ آل عثمان*، ٢٤٥، ٢٤٦.

6 لعب الشاه إسماعيل الصفوي دورًا هامًّا في نشر التشيع في إيران ونواحي خراسان وأفغانستان وأذربيجان والعراق، وقد كان المذهب السني منتشرًا في هذه البلاد قبل مجيء الشاه، فلمَّا اعتلى الحكم أجبر الناس على الدخول في التشيع الاثنا عشري بالسيف والقوة، وتم تحويل تلك المناطق إلى المذهب الشيعي، وتكوّنت حالة من العداء بطبيعة الحال بين الدولة الصفوية وبين جيرانها من السنة، وعلى رأسهم الدولة العثمانية ممثلة في السلطان سليم الأول، وقد كان من أهداف سليم الأول

إمبراطورية على عقيدة الشيعة الاثنا عشرية في إيران، فأوقف السلطان سليم الأول هـذا المـدّ وهـزم جـيش القزلبـاش الصـفوي فـي معركـة جالـديران الشـهيرة سـنة ١٥١٤/٩٢٠.

تحوّلت أنظار الدولة العثمانية في عهد سليم الأول من أوربا إلى الشرق العربي، فسعى سليم الأول إلى ضم البلاد العربية إلى الإمبراطورية، وبالفعل اتسعت الدولة بضم بلاد الشام والعراق والحجاز وتهامة ومصر، وبلغت الدولة قمتها في الازدهار، وكان دخول السلطان سليم مصر له أهمية خاصة، فإضافة للموقع الجغرافي والمكانة التي تحتلها مصر بين البلاد الإسلامية، فإن آخر خليفة عباسي كان موجودًا بمصر، حيث أخذه السلطان سليم إلى إستانبول وتم التنازل عن الخلافة كما سنأتي على ذلك في هذه الدراسة، يقول محمد فريد:

"ومما جعل لفتح وادي النيل أهمية تاريخية عظمى أن محمد المتوكل على الله، آخر ذرية الدولة العباسية الذي حضر أجداده لمصر بعد سقوط مدينة بغداد مقر خلافة بني العباس في قبضة هولاكو خان التتري سنة ١٠٩١/٦٥٦ وكان له الخلافة بمصر اسمًا، تنازل عن حقه في الخلافة الإسلامية إلى السلطان سليم العثماني وسلمه الآثار النبوية الشريفة وهي البيرق والسيف والبردة، وسلمه أيضا مفاتيح الحرمين الشريفين، ومن ذلك التاريخ صار كل سلطان عثماني أميرًا للمؤمنين وخليفة لرسول رب العالمين اسمًا وفعلا".[7]

الأساسية هو القضاء على هذا المدّ الصفوي في بلاد الأناضول، وقد أخذ عليه والده العهد في ذلك أيضًا، وبالفعل استطاع سليم إيقاف هذا المد، فلولاه لأصبحت تركيا اليوم مثلها مثل إيران في الانتساب المذهبي، انظر: İsmail Hakkı Uzunçarşılı, *Osmanlı Tarihi,* s.257, 447.

7 انظر: محمد فريد بك المحامي، *تاريخ الدولة العلية العثمانية*، تحقيق إحسان حقي، (بيروت: دار النفائس، ١٩٨١)، ١٩٤، وسيأتي في هذه الدراسة مناقشة انتقال الخلافة إلى العثمانيين بالتفصيل لاحقا.

ومن الجدير بالذكر هنا أن لطفي باشا كان دائمًا ينظر إلى السلطان سليم الأول وإلى عصره على أنه النموذج الذي ينبغي أن يُحتذى في الإدارة وفي السلطنة.

وتعتبر فترة حكم السلطان سليمان القانوني هي الأطول من بين السلاطين العثمانيين؛ لهذا امتلأت بكثير من الأحداث التي كانت أكثرها أحداث عسكرية متمثلة في التوسّعات، قام فيها السلطان سليمان القانوني بثلاث عشرة حملة عسكرية ما بين أوربا وآسيا وأفريقيا.

فاستولى على بلجراد سنة (927 /1521)، وحاصر فيينا سنة (935 /1529) لكنه لم يفلح في فتحها، وأعاد الكَرّة مرة أخرى، ولم يكن نصيبها أفضل من الأولى، وضم إلى دولته أجزاء من المجر بما فيها عاصمتها بودا، وجعلها ولاية عثمانية، وفي آسيا قام السلطان سليمان بثلاث حملات كبرى ضد الدولة الصفوية، ابتدأت من سنة (941 / 1534) وهي الحملة الأولى التي نجحت في ضم العراق إلى كنف الدولة العثمانية، وفي الحملة الثانية سنة (1548/955) أضيف إلى أملاك الدولة تبريز، وقلعتا: وان وأريوان.

وأما الحملة الثالثة فقد كانت سنة (1555/962) وأجبرت الشاه "طهماسب" على الصلح وأحقية العثمانيين في كل من أريوان وتبريز وشرق الأناضول، وواجه العثمانيون نفوذ البرتغاليين في المحيط الهندي والخليج العربي، فاستولى "أويس باشا" والي اليمن على قلعة تعز سنة (953/ 1546)، ودخلت عُمان وقطر والبحرين في طاعة الدولة العثمانية، وأدت هذه السياسة إلى الحد من نفوذ البرتغاليين في المياه الإسلامية، وفي إفريقيا دخلت ليبيا والقسم الأعظم من تونس، وإريتريا، وجيبوتي والصومال، ضمن نفوذ الدولة العثمانية.[8]

---

8 انظر: فتوحات سليمان القانوني ملخصة بالعربية؛ محمد فريد المحامي، *تاريخ الدولة العلية العثمانية*، ١٩٨-٢٣٣.
Feridun Emecen, "Süleyman I", *TDV*.

وقد تمثل زهو الحضارة العثمانية في جوانب عديدة؛ على رأسها الجانب المعماري، فظهرت شخصيات معمارية كشخصية معمار سنان (996 هـ / 1588م) الذي هو أشهر معماري عثماني، وقد صمم أبنية كثيرة في الدولة العثمانية؛ يأتي على رأسها التحفة الفنية الممثلة في جامع السليمانية، وقد كان لطفي باشا على علاقة بمعمار سنان، فيعتبر لطفي باشا هو المكتشف لموهبة المهندس العثماني الفذ معمار سنان، وكان وقتذاك معمار سنان شابًّا في الانكشارية، فلاحظ لطفي باشا ما على الشاب من موهبة فأخذه وقدّمه إلى السلطان سليمان القانوني.[9]

حياة لطفي باشا

ورد اسم لطفي باشا في كل من كتابيه "تواريخ آل عثمان"[10] و "آصف نامه"[11]، لطفي باشا بن عبد المعين بن عبد الحي[12]، لا نعرف كثيرًا عن تاريخ ميلاده، لكن يخمن أن ميلاده كان في سنة 1488م، لأنه قد تولّى وظيفة في السراي سنة ١٥٠٨ وسنه على الأقل كان عشرين سنة[13]، وهو من أصل أرناؤوطي، جُلِب من مدينة فلوره الألبانية وهو طفل كي يلتحق بالجيش العثماني

9 Selçuk Mülâyim, "Sinan", TDV.

10 انظر: لطفي باشا: *كتاب تواريخ آل عثمان*، ٧٩.

11 انظر: لطفي باشا، مقدمة آصف نامه.

12 Atıf Akşit, *Tarihçi Ve Devlet Adamı Olarak Lütfi Paşa Hayatı, Eserleri, Fikirleri,* Yüksek Lisans, Erciyes Üniversitesi / Sosyal Bilimler Enstitüsü / İslam Tarihi Ve Sanatları Ana Bilim Dalı, 1993, S.6.

13 Bursalı Mehmet Tahir, Osmanlı Müellifleri c.3, haz., İsmail Özen (İstanbul: Meral Yayınevi, 1975), 92, Atıf Akşit, Tarihçi ve Devlet Adamı Olarak Lütfi Paşa, Erciyes Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü İslâm Tarihi ve Sanatları Ana Bilim Dalı Yüksek Lisans Tezi, 1993, s. 5.

على نظام الدوشيرمه المعروف في الإمبراطورية العثمانية[14]، تربى في الحرم السلطاني (أندرون)[15] وحصّل العلم هناك، كما ذكر في آصف نامه أنه كان موجودًا في الحرم الخاص منذ عهد السلطان بايزيد خان وتلقّى العلوم النافعة فيه، ثم بعد ذلك بدأ توظيفه في عهد السلطان سليم الأول[16]، وكان يتقاضى على هذا ٥٠ آقجه.[17]

في الفترة الأولى من عهد السلطان سليمان القانوني تولى أمر ولاية قسطمونو ثم بعدها ولاية أيدن، وفي سنة 1522/928 حضر حصار رودس وفتحها، وأسند إليه تعمير قلعة رودس، كما حضر حصار فيينا، وأسند إليه ولاية الكثير من المناطق العثمانية، وكان له الأثر الكبير في الدولة العثمانية، ويكفي أنه كان السبب في جلب المهندس العثماني الشهير معمار سنان[18] إلى سليمان القانوني.

14 نظام في التجنيد أسسه السلطان مراد الثاني (١٤٢١-١٥٤١) فكانت الإمبراطورية العثمانية تنظر في الأراضي التي تفتحها خاصة أراضي البلقان، فتختار منها الشباب وأصحاب المهارات وتوليهم بتعليم خاص، حتى يكونوا قادة عسكر من الإنكشارية أو رجال بيروقراطيين كلطفي باشا، انظر: .Abdülkadir Özcan, Devşirme, TDV

15 أندرون Enderun: تعتبر أهم مؤسسة تعليمية تابعة للسلطان العثماني بعد نظام المدرسة، وتعني بتربية رجال الدولة والعسكر تربية علمية صارمة كي يتأهل متخرجوها لمناصب في الدولة، وقد تأسس هذا النظام في عهد السلطان مراد الثاني أو محمد الفاتح على اختلاف بين الباحثين، ثم أصبح من اهم مؤسسات الدولة التي تمدها برجال الدولة وقادة العسكر، انظر: Mehmet İpşirli, *Enderun*, TDV, c.11, s. 185-187

16 كان لطفي باشا ينظر للسلطان سليم الأول نظرة خاصة، وكانت تربطه به علاقة قوية، يراه مجدد الإسلام وباسط العدل في الأرض، وسيأتي الحديث عن هذا، انظر في العلاقة بين الرجلين: Betül Canpolat Güngör, Lütfi Paşa'nın Tevarih-İ Al-İ Osman Eserindeki Müceddidlik Algısı Ve Yavuz Sultan Selim. رسالة ماجستير، من جامعة مدنية إستانبول، ٢٠٢١.

17 لطفي باشا، مقدمة آصف نامه.

18 معمار سنان، أو سنان، يعتبر أهم مهندسي الدولة العثمانية، والذي صمم كثيرًا من جوامعها المشهورة مثل جامع السليمانية وجامع مهرماه سلطان باستانبول وغيرها من الأبنية الرائعة التي تشهد له بتفوقه في صنعته، توفي 1588/996 ينظر: Selçuk Mülâyim, SİNAN, *TDV İslâm Ansiklopedisi*, c.37, s.224-227.

وفي 25 صفر 946 (13 تموز 1539) عُيِّن في أهم وظيفة في الدولة العثمانية كوزير أعظم في السراي العثماني، وقد لعب دورًا أساسيًا في إنهاء الحرب بين الدولة العثمانية وبين البندقية، وتوقيع معاهدة بينهما.

تزوج الصدر الأعظم لطفي باشا من بنت سليم الأول وأخت سليمان القانوني شاه سلطان، وعزل من مقام الصدارة العظمى سنة 1541/948 وتم تطليقه من شاه سلطان، وسوف نناقش مسألة عزله لاحقًا، وبعد عزله قضى لطفي باشا العشرين سنة الأخيرة من حياته منزويًا في مزرعة بمدينة ذيذيموتيخو (ديموطيقه) اليونانية، وفيها تفرغ للبحث والتأليف، وفي آخر حياته ذهب لطفي باشا إلى الحج ثم رجع إلى المدينة نفسها، ومات سنة 1563/970، عن خمسة وستين عامًا[19].

الوظائف التي تقلّدها في الدولة

إذا أردنا تحديد أول وظيفة للطفي باشا فيمكن القول بأنها كانت جوخه دار Çuhadar وهو لقب يطلق على أحد أغاوات الغرفة الخاصة في الأندرون، ويطلق عليها جوقه دار çukadar أما عن الوظيفة فهي تقال لمن يتولّى الحفاظ على ألبسة السلطان العثماني وينقلها من مكان إلى مكان[20]، ثم بعد ذلك عمل من المتفرّقة حينما جلس السلطان سليم الأول على العرش ١٥١٢ميلادية، والمتفرقة هم نوع من الخدّام ذي الطبقة العليا المختارين حسبًا ونسبا حول السلطان العثماني في القصر[21]، وكان لطفي باشا يتقاضى مقابل هذا العمل ٥٠ آقجه، وقد ذكر لطفي

19 للاطلاع على حياة لطفي باشا يرجى النظر إلى: كوبريلي زاده محمد فؤاد، لطفي باشا، (استانبول، يناير 1925)، 120، باللغة العثمانية.

Mehmet İpşirli, LUTFİ PAŞA, *TDV İslâm Ansiklopedisi*, (Istanbul, 2003), c.27, s. 234-236.

20 Abdülkadir Özcan, "Çuhadar", TDV.

21 Erhan Afyoncu, "Müteferrika", TDV

باشا في مؤلفاته نتفاً من حياته والوظائف التي تقلّدها، منها ما ذكره في مقدمة كتاب آصف نامه– والذي سنتناوله بالدراسة لاحقًا– حيث يقول:

"قد خدم الدولة العلية في عدة وظائف، منذ عهد المرحوم– جُعِل مكانه الجنة– السلطان بايزيد خان، حينما كان الحقير يعمل في الحرم الخاص، وكان غارقاً في نعم السلطان، مريدًا الخير للآستانة العثمانية، كما حصَّل كثيرًا من المعارف والآداب أزمانا كثيرًا حينما كان في الحرم الخاص، وحينما جلس السلطان سليم خان على العرش مُنِح خمسون أقجة وخرج إلى الأقاليم، بعد ذلك أصبح جاشنكير، ثم أصبح قبوجي، ثم مير عَلَملك، ثم تقلّد سنجاق قسطمونو[22]، ثم أُسندت له وزارة بيكلربكيلي قرمان.[23]

إن الحقير بعد أن خرج إلى الريف أُتيح له أن يتعرّف على العلماء والشعراء والظرفاء وتدور بينه وبينهم مجالسات وأحاديث، واجتهدت في تحصيل العلوم الشريفة والأخلاق المنيفة على قدر الطاقة.

ولمَّا صدر الفرمان العالي بتوليتي وظيفة الصدر الأعظم من سلطاننا؛ أعظم السلاطين وأكرم الخواقين، ناصر عباد الله وحامي بلاد الله، الغازي في سبيل الله وخادم الحرمين الشريفين، مالك البرِّين والبحرين، السلطان سليمان خان، أدام الله تعالى عزَّتَه".[24]

وهذا يوضح ابتداء أمره في الحرم الخاص في عهد السلطان بايزيد الثاني، ثم بعد ذلك بروزه في عهد السلطان سليم الأول– والذي يثني عليه كثيرًا– فتولّى وظيفة "الجاشنكير" وهي وظيفة من يتولى الإشراف على الطعام في السراي

---

22 يعني ولاية منطقة قسطمونو، وقسطمونو مدينة تقع على البحر الأسود.

23 البيلربيليك تعتبر أكبر وحدة تجمّع إداري وعسكري، ومنها يكون تدبير الإيالة عسكريا وإداريا، انظر: MEHMET İPŞİRLİ, "BEYLERBEYİ", DİA.

24 لطفي باشا، آصف نامه، ص ١.

العثماني[25]، ثم "قبوجي" وهي وظيفة من يتولّى الوقوف على باب السلطان كي ينظر في أمور الداخلين [26]، ثم "مير عَلَملك" وهي وظيفة عسكرية للقائد الذي حمل راية السلطان في الحرب[27]، ثم تولّى ولاية منطقة قسطمونو التي تقع على البحر الأسود، ثم ترقّى حتى أصبح على رأس أكبر وحدة تجمّع إداري وعسكري؛ التي يكون منها تدبير الإيالة عسكريا وإداريًّا، فأُسندت له وزارة بيكلربكيلي قرمان، وانتهى كل هذا الترقّي بوصوله إلى أعلى رتبة في الدولة العثمانية وهي الصدارة العظمى، فهي المرتبة العليا بعد السلطان العثماني مباشرة، وذلك في عهد السلطان سليمان القانوني.

أما مشاركاته الميدانية فقد حكاها لطفي باشا أيضًا حيث يقول في مقدمة كتاب "تواريخ آل عثمان":

"إن هذا العبد الحقير – الذي لا يساوي مقدار الذرة– نشأ وتربّى في عصر هؤلاء السلاطين، وتربى في قصر السلطان بايزيد طيب الله ثراه وجعل الجنة مثواه– وسعى معه في تحصيل المعارف والعلوم طويلا، ودرس العلم والاجتهاد حتى جاء السلطان سليم وجلس على كرسي السلطنة، وكان السلطان بايزيد ماهراً في كل فن، وكانت له قدرة لا نظير لها في شد القوس، ورمي السهام، وكان القوس الذي يقوم بشده لا يستطيع أحد أن يشده في عصره، وكان صالحا ومتدينا، ومحبا للعلماء والصالحين.

ولم يتأخر هذا العبد الحقير ولو لحظة عن الخدمة، وشارك مع هؤلاء السلاطين في كثير من الحروب والغزوات والحوادث والوقائع، في ديار الروم وبلاد الشرق والعرب وحلب والشام ومصر وغيرها من الأماكن، وكان هذا الحقير يقوم

---

25 وانظر موسوعة المعارف الإسلامية التركية؛ AYDIN TANERİ, "ÇAŞNİGÎR", DİA.

26 بمعنى الذي ينتظر على الباب ينظر في أمور الداخلين على السلطان، انظر موسوعة المعارف الإسلامية التركية: ABDÜLKADİR ÖZCAN, "KAPICI", DİA.

27 وظيفة القائد الذي يحمل راية السلطان في الحرب، انظر: ABDÜLKERİM ÖZAYDIN, "MÎR-i ALEM", DİA.

بخدمة هؤلاء حتى وفاة السلطان سليم... وعندما توفي السلطان سليم تولى الحكم مكانه ابنه السلطان سليمان، وعاد هذا الحقير مرة أخرى إلى خدمة الركاب الهمايوني، وقد وقعت عدة حروب في ذلك الوقت، أولها حملة بلغراد، ثم رودس، ثم حملة المجر التي كانت مشهورة بحملة موهاج وبعدها حملة بش... وبعد ذلك كانت حملة أفلونيا، وعبرت السفن إلى ولاية بولية، وكان هذا الحقير قائدًا على السفن، وغنم المسلمون أموالا وغنائم كثيرة، وبعد ذلك وقعت حملة قرة بغدان، وكان الحقير في خدمة السلطان ومشاركا في الحملات معه حتى عام ٩٤٨هجرية.

وفي أوائل شهر محرم الحرام، قام السلطان ملجأ العالم بنقل الصدارة التي كانت في عُهدة هذا الحقير إلى شخص آخر، وأخذ هذا الحقير إجازة شريفة، وكان هدفه وأقصى مطلبه الذهاب إلى الكعبة المعظمة... وعندما عاد من الحج ودخل بلاد الروم انعزل عن الخلق، وتفرغ إلى تحصيل العلوم والمعارف، وجالس الكتب المهمة، كما قال في ذلك الشاعر:

الكتب النفيسة هي خير أنيس *** إنها في الزمان خير جليس"[28]

وبما سبق نكون قد نقلنا صورة ملخصة عن حياة لطفي باشا بلسانه، متنقّلا من السراي العثماني كموظف في الدائرة الخاصة، إلى ميادين الجهاد والقتال في البر، إلى البحر قائدًا للسفن، وفي النهاية إلى الصدارة العظمى التي عُزل عنها بعد مدة قصيرة، ثم تفرّغ إلى الكتب والعلم، ولطفي باشا يظهر في أكثر من مكان من كتبه أن هذا العزل الذي حدث له، إنما هو نعمة وهبة من الله استطاع من خلاله أن يتفرّغ لنفسه وإلى قراءة الكتب ومجالسة العلماء، وبالتالي البحث والتأليف، لكن مسألة عزله هذه تستحق الوقوف عندها قليلا كما سيأتي في النقطة القادمة.

---

28 لطفي باشا، *تواريخ آل عثمان*، ٨٠-٨٢.

عزله من منصبه والأسباب التي دعت إلي ذلك

تذكر المصادر أنه تم عزل لطفي باشا من وظيفة الصدارة العظمى أثناء التحضير لحصار عاصمة المجر، سنة (948/مايو 1541)، أما الأسباب التي وراء هذا العزل فالوزير الأعظم لطفي باشا كان زوجًا لأخت السلطان سليمان القانوني شاه سلطان؛ ومما يُروى أن لطفي باشا قد أعطَى جزاءً كبيرًا لامرأة قد زنت، هذا الجزاء كان مخالفًا للشرع والعُرف، ما أدّى إلى تدخُّل زوجته وحدوث مناقشة حادّة بينهما، يروي لنا ذلك "علي مصطفى أفندي جليبولولو" Gelibolulu Mustafa Âlî (ت. 1008هـ/ 1600)، أنه مما نُقِل أنه في فترة توليه وظيفة الوزير الأعظم قُبِض على امرأة بتهمة الزنا مع رجل، فعاقبها لطفي باشا عقابًا شديدًا في عورتها، فجلست شاه سلطان تحاول إقناع لطفي باشا بأن هذا مخالف للعرف والدين، وأنه ربما تؤخذ من بعده سنة، فاحتدَّ النقاش، ويبدو من لهجة "جليبولولو" انحيازه الواضح لشاه سلطان؛ حيث وصف لطفي باشا بالاستمرار في عناده بل أصرّ على أن كل زانية تأتي من بعد ذلك سوف تُعاقب هذا العقاب الذي عاقب به هذه الزانية، وبعبارة جليب بولولو "تحرّك عرق الغضب السلطاني في السلطان وقالت له: "أنت معاند، ظالمٌ، ليس عندك دين"، ويتطوّر الأمر حتى يتدخّل السلطان سليمان القانوني فيعزل لطفي باشا من الصدارة العظمي.[29]

ولا شكّ أن كثيرًا ممن رووا الاختلاف الذي وقع بين شاه سلطان ولطفي باشا قد أخذوا طرف شاه سلطان باعتبارها أخت السلطان سليمان القانوني، إلا أن الاطلاع في كتب لطفي باشا نفسه– وقد كان كثير الترداد لهذه الحادثة تصريحًا أو إيماءً– يجعلنا نقول بأن الرجل كان صاحب شخصية مستقلة، تأبى الانصياع والطاعة العمياء؛ خاصة إذا كان هذا الانصياع إلى امرأة، فنفسه كرجل، وعقله وما

29 Asım Cüneyd Küksal, *Lütfi Paşa / Osmanlı'nın Bilgeleri,* (İstanbul: İlke Yayıncılık, 2017), s.36.

يحمله من فكر، أبوا عليه أن يكون مغلوبًا للنساء كما قال هو بالنص، حيث يقول في مقدمة كتابه المهم الذي يحتوي فيه على آرائه السياسية والنقدية "آصف نامه":

" وحينما تولّى هذا الحقير منصب الوزارة؛ وجدتُ أحوال الديوان العالي في حالة يُرثى لها، وخلال سبع سنوات توليتي هذا المنصب سعيت قدر الإمكان في تنظيم أحواله. بعد ذلك سعى بعضُ المنافقين الذين في قلوبهم مرضٌ بالوشاية إلى سلطاننا المعظَّم فيما يتعلَّق ببعض الأمور الخاصَّة بحرمنا، ولكي أنجوَ من مكر النساء ولا أكون تحت إمرتهم، لجأتُ إلى الانزواء على نفسي وذهبتُ إلى مزرعتي في أدرنة، فارغَ البال مقترنًا بعزة الجناب العالي؛ فدولة الدنيا فانية سريعة الزوال كثيرة الارتحال، فاستراحة العاقل غير الغافل الانزواء على نفسه بدلاً من مشاهدة الحدائق والحياة الفارهة، والله المستعان وعليه التكلان، نسأله سبحانه وهو الحق أن يحفظ الدولة العلية العثمانية من ريح الخوف والأخطار ومن سوء نظر الأعداء، آمين آمين".

وهذه الفقرة المهمة تعطينا بعض الملامح لشخصية لطفي باشا؛ فهو شخصية ذات رأي مستقل تأبي الانصياع، تحمل فكرًا نقديًّا، تمثّل هذا في جرأته الواضحة حينما وصف النظام الإداري العثماني بأنه في حالة يُرثى لها، وأنه سعى قدر الإمكان أن يصلح هذا الوضع، ولا ننسى أن هذا الوصف كان المقصود به زمن السلطان القوي سليمان القانوني، وهذا أوج ازدهار الدولة العثمانية، وسنأتي على هذا أثناء تحليل كتابه المهم "آصف نامه".

ما نستطيع أن نستخلصه أيضًا أن لطفي باشا كان رجلا معتزًّا بنفسه، فهو لم يضع اعتبارًا كبيرًا لأخت السلطان القانوني السلطانة شاه سلطان، بل لم يذكر اسمها وكنّى عنها بلفظة "النساء"، فباعتباره رجلا لا يقبل أن يكون تحت إمرة امرأة بحال حتى لو كانت هذه المرأة أخت السلطان، وعلى هذا فإن شخصية مثل هذه

الشخصية كانت من الطبيعي ألا تجد لها مكانًا خاصة وقد امتلأ المنافقون والواشون من حوله.

إننا نفهم من قراءة ما كتبه لطفي باشا حول العزل الذي تعرض له، أن هذا العزل قد جاء راحة له من شقاء الدنيا، وفرصة كي يتعلّم ويجالس العلماء والأدباء والشعراء، وكان هذا جليًا في حجم الرسائل والكتب التي كتبها الرجل في شتى فنون العلم، وكان معظمها بعد أن ترك السياسة والعمل العام وانزوى في مزرعته بمدينة أدرنة، وهذا يدلُّ على نضج عقل الرجل وعدم اكتراثه بمنصب أو جاه، فلم يحزن لتركه المنصب، بل استثمر هذه الفرصة لتطوير نفسه والتفرّغ للعلم والتأليف فيه.

المؤلفات التي تركها

ذكر لطفي باشا في مقدمة كتابه "تواريخ آل عثمان" الكتب التي ألّفها باللغتين العربية والتركية، بعد عزله من منصب الوزير الأعظم وقيامه بحج بيت الله الحرام سنة 948هـ، والتي يمكن ذكرها كالتالي:

1- المؤلفات باللغة العربية:

- كتاب زبدة المسائل في الاعتقادات والعبادات
- الكنوز في لطايف الرموز في الأحاديث الأربعين
- رسالة في تصحيح النية والعمل بها
- رسالة في تقرير الأرواح وأين تصير إذا أخرجت من الأجساد
- رسالة في تقرير من أحب لقاء الله من كرهه
- رسالة في تقرير الشهداء وما يتعلق بأمور الآخرة
- رسالة في خصايص أهل السنة والجماعة وفي بيان أهل الأهواء والضلالة
- رسالة في تصحيح صلاة الجمعة وما يتعلق بها من الفضائل والآداب

- رسالة في بيان دخول الحمام وما يتعلق بها والاختضاب وتقليم الأظافير
- رسالة في بيان متى ينقطع معرفة العبد من الناس عند حالت الموت، وفي التوبة وبيانها، وفي التائب من هو
- رسالة في تقرير الصيد والذبايح وفيما يحل ومالا يحل
- رسالة في بيان التداوي والمصايب وتلقين الميت وما يستحب من أحوال المحتضرين عند الموت
- رسالة في بيان أفعال العباد ويعني به الاختيار الجزئي
- رسالة خلاص الأمة في معرفة الأئمة، لم يذكرها لطفي باشا في مقدمة تواريخ آل عثمان، وهي رسالة تتناول شرط قرشية الخليفة بالبحث وتدافع عن شرعية القول بخلافة السلاطين العثمانيين، وستناولها بالبحث والدراسة.

2- مؤلفات باللغة التركية:

- كتاب تنبيه الغافلين وياكيد الغافلين، متعلق بالإيمان المجمل والإيمان المفصّل
- كتاب تحفة الطالبين، متعلق بالإيمان والعبادات
- كتاب حيات ابدي، متعلق بأهل السنة والجماعة وأهل الهوى وألفاظ الكفر
- رساله سؤال وجواب
- رساله نيت، متعلقتان ببعض المسائل المهمة والطب
- كتاب تواريخ آل عثمان، وهم كتاب في التاريخ العثماني يعتبر من الكتب المهمة في بابها.[30]

30 طبع الكتاب طبعة حديثة معتمدة على الطبعة القديمة الصادرة سنة 1341 هجرية، عن مطبعة عامره، باستانبول، Lütfi Paşa, *Tevarih-i Al-i Osman*, Haz. Bekir Manav, (İsparta: Pergole Yayınları,2017)

- رسالة آصف نامه، وهي لم يذكرها لطفي باشا في تواريخ آل عثمان، ولعله ألفها بعد تأليفه هذا الكتاب، وهي رسالة هامة حيث تتضمن آراء للرجل في السياسة وما ينبغي أن تكون عليه وظيفة الصدر الأعظم، وسوف نتناولها بالبحث والدراسة فيما بعد.

والكتاب طبع كما هو باللغة العثمانية، ولم يترجم إلى التركية الحديثة حتى الآن فيما أعلم، وقد ترجمه إلى العربية، محمد عبد العاطي، انظر: لطفي باشا، *تواريخ آل عثمان*، تحقيق محمد عبد العاطي محمد، (القاهرة: دار البشير، 2019).

الفصل الثاني

الفكر الديني لدى لطفي باشا

الدين والدولة في العصر العثماني

كان الدِّين أحد المكوّنات الأساسية للدولة العثمانية، منذ مراحلها الأولى، فكان الشيخ أده بالي (ت.٦٢٦هـ/١٣٢٦م)[31] أحد المرشدين الرئيسين لأرطغرل (ت.٦٨٠/٨٢،١٢٨١)[32] أبي مؤسس الدولة العثمانية، ثم لولده عثمان غازي (١٣٢٤/٧٢٤)[33] الذي قدّمه في كثيرٍ من الأمور، وكان الشيخ الصوفي أده بالي هو أول قاضٍ عثماني ومفتٍ، وكان نسيبه الفقيه دورسون (متوفى بعد ١٣٢٦/٧٢٦) هو ثاني قاض للدولة العثمانية.[34]

وقد كان الشيخ أده بالي حنفيًّا صوفيًّا؛ ومن ثَمَّ فإن المذهب الحنفي المقرون بالتصوّف كان هو المذهب السّائد وسط الأتراك، وقد نقل لنا ذلك ابن بطَوطة (ت. ١٣٧٧/٧٧٩) أثناء وصفه المجتمع التركي حيث يقول: "وجميع أهل هذه البلاد على مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه، مقيمين على السنة، لا قدري فيهم ولا رافضي، ولا معتزلي ولا خارجي ولا مبتدع، وتلك فضيلة خصهم الله تعالى بها".[35]

إضافة إلى ما سبق فإن بلاد الأناضول كانت حضنًا رحبًا للتصوف الفلسفي والإشراقي، كذلك للحركات الباطنية، فوجد تراث ابن عربي (ت. ١٢٤٠/٦٣٨) قبولا كبيرًا، وكثرت عليه الحواشي والتلخيصات، كما كانت مدينة قونيا محضنًا

31 نشأ الشيخ أده بالي في قرامان حيث أتم أول تحصيله العلمي؛ فتلقّى الفقه الحنفي على يد الفقيه نجم الدين الزاهدي، ثم ذهب إلى دمشق، وبعد عودته منها اتجه إلى التصوف فأسس زاوية في بيله جك وبدأ فيها الإرشاد الصوفي، واشتهر وكثر مريدوه، تعرّف عليه عثمان غازي مؤسس الدولة العثمانية في بيله جك، وكان حريصا على زيارة زاويته والاستهداء بآرائه باستمرار، Kamil Şahin, "Edebâli".DIA.

32 مؤسس الدولة العثمانية، انظر: لطفي باشا، تواريخ آل عثمان، ١٠٦.

Fahameddin Başar, "Ertuğrul Gazi", DİA.

33 Halil İnalcık, "Osman I", DİA.

34 Kamil Şahin, "Edebâli".DİA.

35 ابن بطوطة، *تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار*، تحقيق محمد عبد المنعم العريان ومصطفى القصاص، (بيروت: دار إحياء العلوم، الطبعة الأولى، ١٩٨٧)، ص ٢٩٠، ٢٩١.

لتراث جلال الدين الرومي (ت. ١٢٧٣/٦٧٢)، فنظريات التصوف الفلسفي كأمثال: وحدة الوجود والاتحاد والحلول وجدت انتشارًا كبيرًا، أما الحركات الباطنية فيمكن ذكر الحركة البكتاشية العلوية التي كان لها وجود كبير في التاريخ العثماني، وكانوا يشكّلون القوة المسيطرة من الانكشارية العثمانية، ومؤسسها حاجي بكتاش ولي[36] كان قد وُجِد في نفس الوقت (توفي تقريبًا 1271/669) في بلاد الأناضول.

صاحَبَ انتشار التصوف الإشراقي وتَوَغُّل الطُرق الصوفية والباطنية في الأناضول؛ انتشارٌ وتحكّمٌ للعقيدة الماتريدية والمذهب الحنفي في المنطقة، وكان هذا بفعل انتشار أعلام المذهب كأبي اليسر البزدوي (ت.1100/493) وأبي المعين النسفي (ت. 1115/508) وعلاء الدين السمرقندي (ت. 1144/539).[37]

وقد مثَّل القرن الخامس الهجري نقطة الذروة لانتشار المذاهب السنية في العالم الإسلامي؛ ففي بلاد ما وراء النهر لعبت المدارس النظامية التي ابتدأ تأسيسها عام ٤٥٩هـ دورًا أساسيًا في انتشار المذهب الشافعي الأشعري وتشكّله[38]، كما كان لظهور القائد السني صلاح الدين الأيوبي (٥٨٩ هـ/١١٩٣م) دور أساسي في انتشار المذهب السنّي في الشمال الإفريقي وبلاد الشام، وقد قضى على الدولة الفاطمية الشيعية بمؤسساتها، وأنشأ المدارس السنية، وتحوّل القطر المصري خاصة رسمياً إلى المذهب السني، وقد اتبع صلاح الدين في تأسيس المدارس نظام المدارس النظامية، ومن ثم صارت الكلمة العليا للمذهب السني في مساحة كبيرة من الجغرافية الإسلامية في ذلك الوقت، وقد سارت الدولة العثمانية في مدارسها

---

36 Ahmet Yaşar Ocak, "Hacı Bektâş-I Velî", DİA.

37 Mehmet Kalaycı, Mâtürîdî-Hanefî Aidiyetin Osmanlı’daki İzdüşümleri, (*Cumhuriyet İlahiyat Dergisi 20, Sy. 2*) (Aralık 2016 s. 17.
Yusuf Şevki Yavuz, "Mâtürîdiyye", DİA,

38 انظر: جورج مقدسي، *الإسلام الحنبلي*، ترجمة سعود المولى، (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠٠٧)، ص ٥٥.

على هذا النهج، وكانت الكلمة العليا للتراث الأشعري في المدارس العثمانية، جنبًا إلى جنبٍ الاعتراف الرسمي بالمذهب الماتريدي.[39]

نظرات على مؤلفات لطفي باشا الكلامية

1) آراء لطفي باشا الكلامية

كان لطفي باشا مهتمًّا بالبحث في جميع فروع العلوم الإسلامية؛ فكما ألّف في التاريخ والسياسة، ألّف عدة رسائل في الإيمان والكلام[40]، لكن قبل الخوض هنا في عرض آرائه في علم الكلام، نرى القول بأن لطفي باشا "كان متكلِّمًا كبقية المتكلّمين المعروفين" يحمل قدرًا من المجازفة، فكما أسلفنا القول أثناء عرض حياته، فقد مكث الرّجل ردحًا كبيرًا من الزمن متقلِّبًا بين أنواع الوظائف السياسية

---

39 على سبيل المثال كانت الكتب التي تدرس كتاب "تجريد الكلام" لنصير الدين الطوسي، وحاشية الشريف الجرجاني على التجريد، و"وشرح المواقف" لعضد الدين الإيجي، وعقائد النسفي وسيأتي ذكره في البحث لاحقًا، انظر: Mefail Hızlı, *Osmanlı Medreselerinde Okutulan Dersler ve Eserler*, Uludağ Üniversitesi İlâhiyat Fakültesi Dergisi Cilt: 17, Sayı: 1, 2008 s. 39

40 كان المذهبان الماتريدي والأشعري هما أساس الاعتقاد الرسمي للدولة العثمانية، أما في الفقه فكان السائد المذهب الحنفي بين الأتراك، كذلك اتخذ التصوف سمة أساسية في صورة الدولة العثمانية، وكان هذا واضحًا في ذهن السلطان محمد الفاتح (1481/886)، وقد تأثّر بالإمبراطورية التي أسسها تيمور لنك (1405/736) في بلاد ما وراء النهر وتوسّعت حتى أتت إلى قلب بلاد الأناضول، ومن ثم أراد محمد الفاتح أن يحمل تلك الحركة العلمية النشطة في بلاد ما وراء النهر إلى إستانبول درة الدولة العثمانية، وقد اتسم علم الكلام الذي أدخِل في المدارس العثمانية بخلطه المنطق والفلسفة وإغراقه في الحواشي، وكانت هذه إحدى سمات العصر المتأخر للحضارة الإسلامية، فأسس مدارس الصحن الثمانِ وكانت كتب الجرجاني ونصير الدين تجريد العقائد وحاشيته بالإضافة إلى كتاب المواقف للإيجي، إحدى الكتب التي أُدخلت في كتب التدريس بناء على رغبة السلطان الفاتح شخصيًّا، فكانت المتون الأشعرية المتأخرة المثقلة بالحواشي إحدى روافد الدراسة في المدارس العثمانية في ذلك العصر؛ انظر:

Halil İnalcık, *Osmanlı Tarihinde İslamiyet ve Devlet*, (İstanbul: Türkiye İş Bankası Kültür Yayınları), s.4.

Mehmet Kalaycı, Osmanlı'da Eşarilik-Maturidilik İlişkisine Genel Bir Bakış, *İlahiyat Akademi Dergisi* 116.

M. Sait Yazıcıoğlu, XV. XVI. Yüzyıllarda Osmanlı medreselerinde ilm-i kelam öğretimi ve genel eğitim içindeki yeri, *İslam İlimleri Enstitüsü Dergisi*, IV(1980), s. 274.

Fahri Unan, "Sahn-I Semân", TDV.

والحربية والتي ختمها بوظيفة الصدارة العظمى، وتم عزله بعد توليه بثلاث سنوات، وكان عزله هذا إحدى الأسباب المباشرة في انزوائه وانشغاله بالعلم تمامًا، وتأليفه الكثير من المؤلفات التي في أغلبها رسائل صغيرة باللغتين التركية والعربية، باستثناء كتابه المهم "تواريخ آل عثمان"، إذن يأتي السؤال هنا:

"ما هي أهمية عرض آرائه الكلامية التي سطرها في رسائل؟"

وللإجابة على هذا السؤال سنرجع مرة أخرى إلى حياة الرجل؛ فنحن نعرض هنا لعقلية وزير أعظم، شخصية كانت تعتبر أحد الرجال البيروقراطيين في الدولة العثمانية، لم تكن ظهورها طفرة هكذا، بل تربّى في السرايا العثماني وتقلّد مختلف الوظائف، لهذا فيمكننا القول بأن آراءه هذه قد تعتبر الرأي الرسمي أو الوجه الفكري للدولة العثمانية، هذا مع إقرارنا أيضا بأن أمور السياسة قد تحتمل في كثير من الأحيان آراء وأفكارًا ووجهات وأناس وجماعات وطائفات لا تحتملها تلك الرسائل المسطورة في العلوم الإسلامية المختلفة.

سنعرض في هذا الفصل لبعض الرسائل التي ألفها لطفي باشا في علم الكلام، سعيًا لعرضٍ وافٍ لآرائه الكلامية استنادًا إلى ما دونه بنفسه في كتبه.

أوجه الإيمان:

من الرسائل التي دونها في العقائد رسالة بعنوان "رسالة في بيان أصل الإيمان وجوهره وصفاته"[41]، وقد ابتدأ الرسالة بذكر حديث جبريل عليه السلام: "الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره"[42]، ثم ذكر أن الإيمان يقع على ثمانية عشر أوجه كالتالي:

41 Vezir Harman, Halil İbrahim Delen, *Lutfi Paşa'nın İman Risalesi: İnceleme Ve Tahkik*, e-Şarkiyat İlmi Araştırmalar Dergisi, Nisan 2020 Cilt:12 Sayı:2 (27) / April 2020 Volume:12 Issue:2 (27) Sayfa: 321-355.

42 حديث مشهور ورد في كتب السنن، انظر: أحمد بن حنبل، *المسند*، 246/1.

1- الإيمان التقليدي: وقد عرَّفه بأنه الاعتقاد بوحدانية الله تعالى والإقرار بالإيمان به تقليدًا لقول علماء قريته دون دليل أو برهان، فهذ الإيمان لا يُعتمَد عليه بوصف لطفي باشا لكنه معتبرٌ في الشرع، فهو عنده أصل الإيمان يؤمن بالأصول الستة المذكورة سابقًا لكنها دون دليل، والمقلِّد يكون عاصيًا بترك البحث والأدلة التي تدعم إيمانه هذا، مثله مثل فُسَّاق أهل الملة هم في رحمة الله إن شاء عذَّبهم وإن شاء غفر لهم، لكن مآلهم في النهاية إلى الجنة، وهذا مذهب أبي حنيفة والشافعي ومالك وأحمد بن حنبل.[43]

2- الإيمان الاستدلالي: وقد عرَّفه لطفي باشا بالاستدلال "من المصنوع على الصانع ومن الأثر على المؤثِّر"، وعكس ذلك هو ممتنع عقلا، فيما هو معروفٌ بالاستدلال بطريق الأولى.

3- الإيمان التحقيقي: وقد عرَّفه لطفي باشا بأن القلب ينطوي على وحدانية الله وتصديق أحديته، بحيث لو أن العالم كله خالف هذا الإيمان، لا يتزعزع مقدار ذرة.

---

43 أصل فكرة كراهة التقليد أو حرمته سواء أكان هذا في أصول الدين يعني العقيدة والإيمان، أو فروع الدين كمسائل الفقه الفرعية، إنما هو نابعٌ عن ماورد في ذم التقليد في القرآن الكريم، وأنه كان إحدى الطرق إلى الشرك والكفر، وأحد الأسباب الأساسية في امتناع عن الكافرين عن قبولهم الإسلام، فجاء على لسان الكافرين ما سيقولونه يوم القيامة: " وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا"، ونظائر هذه الآيات وما يدل على المعنى واردٌ في النصوص ومتواترٌ، في مقابل هذا قد ورد مدح النظر والبحث، فقد استعمل القرآن دليل التدبرُّ والتفكُّر في خلق الله وفي السماء والأرض والبحث في كل هذا كي يصل المرء إلى وحدانية الله العلي الجلية، كما قال الله تعالى: " أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ، أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ"... إلى آخر الآيات، وبالتالي قال أكثر المتكلمين بأنه إذا جاز التقليد في الفروع الفقهية فإنه لا يجوز بحال في أصول الدين، على رأسهم المعتزلة والماتريدية التي قالت بوجوب النظر وكذلك الأشاعرة، انظر في المسألة، بحث: Tevfik YÜCEDOĞRU, Mukallidin İmanı, *Uludağ Üniversitesi İlâhiyat Fakültesi Dergisi*, Cilt: 14, Sayı: 1, 2005 s. 26.

وانظر رسالة الماجستير: Abdullah DEMR, *Mâtürîdî Kelâm Ekolünde Mukalldn Manı*, Uluda Ünverstes Sosyal Blmler Ensttüsü Temel Slâm Blmler Anablm Dalı Kelâm Blm Dalı, yüksek lisans tezi, s.36.

4- الإيمان الغيبي والحضوري: وقد فسَّره بأنه الإيمان الذي يكون قبل البعث، وهو لا نفع له ما لم يحصل الإيمان الحضوري الذي يكون بمجيء النبي محمد ﷺ؛ لأن بعض الناس آمنوا بمحمد ﷺ قبل البعث فلما جاءته النبوة أنكروا نبوّته؛ وقد يعني لطفي باشا هنا العرب الذين صدّقوا محمدًا وأطلقوا عليه الصادق الآمين ووثقوا فيه وصاحبوه قبل البعث، فلمّا جاءته النبوة كفروا به، يعني بذلك هؤلاء تحديدًا، وإلا فالذين كانوا على الحنيفية كورقة بن نوفل قريب خديجة، فهؤلاء أهل الفترة.[44]

5- الإيمان العقلي: أما الإيمان العقلي فقد قصد لطفي باشا مسألة وجوب النظر العقلي في الإيمان بالله من عدمها، فعزى إلى المذهب الأشعري والمعتزلي وجوب الإيمان بالله تعالى عن طريق العقل، ونقل عن المعتزلة قولهم بأنه يجب الإيمان بكل مسألة عقلا على وجه يمكنه دفع الشبهة، أما عند أهل السنة- بتعبير لطفي باشا ويعني هنا خاصة المذهب الماتريدي- فيقول بأن العقل يُعرف به حسن الأشياء وقبحها، ونقل عن شرح المشارق بأن معرفة الله تعالى واجبة مطلقا بالنص دون العقل، فالعقل معزول على عكس المعتزلة.

6- الإيمان الأبدي: فهو إيمان من تولّد من المسلمين ومات على الإسلام.

7- الإيمان الاختياري: وهو من اختار الإسلام طوعًا من غير خوف من الكفار.

8- الإيمان الكشفي والمقبولي: وهو إيمان الأنبياء والمرسلين؛ والذي يطلب فيه الدليل والبرهان كإيمان إبراهيم عليه السلام حينما قال: "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي".

---

44 أهل الفترة مصطلح يطلق في الغالب على الذين عاشوا في الفترة بين عيسى ومحمد-صلى الله عليهما وسلم- ولم يصلهما تبليغ، أو لم يبلغهم دعوة نبي بشكلٍ عام، انظر: Metin Yurdagür, "Fetret", TDV.

9- الإيمان المطبوع[45] وهو إيمان الملائكة.

10- الإيمان المعصوم وهو إيمان المؤمنين.

11- الإيمان المردود وهو الذي لا يقبله الله من المؤمنين في الظاهر وهم في الحقيقة منافقون.

12- الإيمان الضروري: وقد عرّفه لطفي باشا بأنه الإيمان غير المفيد الذي لا ينفع صاحبه في الدنيا ولا في الآخرة كإيمان فرعون وإيمان قوم صالح حينما شاهدوا العذاب، والمتبادَر إلى الذهن حينما ذكر لطفي باشا مصطلح الإيمان الضروري بأنه الإيمان الأدنى الذي لابد أن يتوفّر عند كل مسلم.

13- الإيمان المنجي: وهو إيمان من لم تبلغه الدعوة، فاستدلَّ بالمخلوقات على الخالق ووحّد الله؛ مثل قُس بن ساعدة وورقة بن نوفل.

14- الإيمان الغيبي: وهو الإيمان المعتبر- كما يقول لطفي باشا- لأن الله لا يُرى في الأساس لذلك نحن نؤمن به غيبًا، وإنما آمنَّا به من خلال آثاره الكونية والشرعية، والحكمة في أن الله لم يكشف الحجاب عن موسى عليه السلام أن إيمان موسى سينتقل من كون إيمانه غيبيا إلى إيمان بالمشاهدة والمعاينة، والمؤمن إنما ينال المراتب العليا بذلك الإيمان الغيبي، وليس بالمشاهدة.

وقد انتقل لطفي باشا هنا إلى مسألة رؤية الله في الآخرة، هل يرى المؤمنون الله في الآخرة أم لا؟ فنقل عن الفوائح المسكية في الفواتح المكّية[46] بأن القلب سيكون بمنزلة العين في الآخرة، فالقلب يعلم ويرى لكنه لا يُدرَك، وعلى هذا فإن الله سوف يُرى بالقلب لكنه لن يُدرَك، تعالى الله عن الإدراك والإحاطة، إذ الإدراك يوزن بالاشتراك.

---

45 ذكر المحققان الإفادة بالعثمانية: "ما جاء على طريقة الخِلقة"، يعني الطبيعة.

46 للشيخ عبد الرحمن بن محمد البسطامي، رسالة لطفي باشا، 442.

15- إيمان المتكلمين: وكذلك الحال في هذا المصطلح لم يحدد لطفي باشا بشكل واضح ما هو المعني من كلمة المتكلمين، وأي متكلمين هل هم المعتزلة أم من الأشاعرة أم من الماتريدية، لا سيما وأن شرح المصطلح بأن أولئك الذين يرون بأن الإيمان يعني التصديق بالأساس، فهو الاعتقاد بالوجود الواجب الله، واتصافه بما يليق من الوحدانية وصفات الألوهية، وكذلك الإيمان بالنبي ﷺ والتصديق به تصديقًا إجماليًا، وقد قُصِد به أصل الإيمان، وقد أشار لطفي باشا بأن هذا الإيمان ليس معتبرًا في الشرع، لأنه إيمانٌ إجمالي لم يُذكر فيه ما يجب الإقرار به في الإسلام.

16- الإيمان المنطقي

17- الإيمان الدوري: وقد سمّى لطفي باشا هذا الإيمان بالدوري بناء على الدور المنطقي الناشيء عما ورد في بعض الكتب من أن الإيمان معرفة بأن تؤمن موقوفة على معرفة الإيمان نفسه، والموقوف على لا شيء موقوف عليه، فيكون الإيمان موقوف على نفسه وهو دور، وقد أنكره السلف وقالوا بأن من قال الإيمان دوري فهو باطل. [47]

18- الإيمان الدلالي: وفيه يذكر لطفي باشا دليلي الحدوث والتمانع في الدلالة على وجود الخالق، فكل محدَث جائز الوجود وما كان جائزَ الوجود فهو جائز العدم، وما كان جائز الوجود والعدم فيستحيل أن يكون محدثًا من نفسه، وعلى هذا فلابد من له من محدِث وهو الله تعالى، والدليل الآخر الذي يذكره هنا لطفي باشا هو دليل التمانع الوارد في قول الله تعالى: "لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا "؛ يقول لطفي باشا:

47 رسالة في بيان أصل الإيمان، ص 339.

"فاعلم أن الصانع للعالم واحد، ولو كان صانعين لثبت التمانع، والتمانع دليل حدوثهما أو حدوث أحدهما، فإن أحدهما لو أراد أن يخلق في شخص واحد حياة والآخر موتا في تلك الحالة، فإما إن حصل مرادهما فهما محال وباطل".[48]

وهكذا فإن لطفي باشا في تصنيفه هذا قد خلط صفاتٍ كثيرة، فتارة ينسب إلى طائفة كطائفة المتكلمين، وتارة ينسب إلى منهج بالرغم من ذكره بعدة طُرق، ففي الغالب أن الإيمان العقلي والإيمان المنطقي يشبه بعضهما بعضًا، كذلك الدلائلي، وهذا التصنيف ليس معروفًا لا عند المتكلمين ولا هو مذكور في كتب الكلام.

ثم ذكر في رسالته اتفاق أهل الملة على أن الإيمان فرض، فمن آمن بالله فقد استحقَّ وعده الوارد في القرآن الكريم؛ حيث يقول الله تعالى: "وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ"، "وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ"[49]، ثم ينقل عن شرح الفقه الأكبر أنه يجب على المرءِ أن يقول: "آمنتُ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشرّهِ من الله تعالى، وقد نقل عن البعض بلفظ "قيل": "إذا بلغ سبع سنين أو عشر سنين وعقِل الإسلام إلا أنه لم يحتلم يخاطَب بالإسلام، فإذا آمن صحّ إسلامُه، وإن لم يُسلم ومات في هذه الحالة دخل النار.

وفي مقابل هذا، فقد نقل لطفي باشا اتفاق أهل الملة على حرمة الكفر بالله وورود الوعيد في حق الذين كفروا بالله تعالى، كما قال الله تعالى في القرآن الكريم: "وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (25) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (26) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (27) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (28) هَلَكَ عَنِّي

---

48 لطفي باشا، رسالة في أصل الإيمان، ص 344.

49 سورة التوبة آية 9.

سُلْطَانِيَهْ (29) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (30) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (31) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (32) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ".[50]

أنواع المكلّفين

ذكر لطفي باشا أن طلب معرفة الله واجب على المكلّف، وقد ذكر أن أنواع المكلفين ثلاثة:

القسم الأول: هو قسمٌ قد كُلِّف من أول الفطرة قطعًا دون شبهة، وهذه الطائفة هي الملائكة وآدم وحواء عليهما السلام.

القسم الثاني: وهو لم يُكلَّف من أول الفطرة قطعًا وهم أولاد آدم عليه الصلاة والسلام.

القسم الثالث: ورد فيه عن العلماء اختلاف هل هم مكلفون أم لا؟، وهم الجانّ وقد رجَّح بأن هؤلاء مكلفون.[51]

الصفات الذاتية

وقد عرّفها لطفي باشا بأنها الصفات التي كانت في وصف ذات الله تعالى دون وصف فعلها، وكل صفات الله تعالى قديمة من غير تفصيل بين الصفات والذات وصفات الفعل، وهذه الصفات قائمة بذات الله لا هي عينه ولا غيره، ويضرب مثلا على ذلك من الواحد، فهو من العشرة لا عين العشرة ولا غيره، وينبّه لطفي باشا على أن الإجابة على أسئلة الصفات والأسماء إنما يكون مقيدًا بذكر الأدلة القرآنية، فإذا سُئل الإنسان عن صفات الله فيمكن أن يجيب بما ورد في آخر سورة الحشر ساردًا أسماء الله الحسني الواردة هناك، ولا يسمح للخوض فيها مكتفيا

50 سورة الحاقة، آيات 26-33.

51 لطفي باشا، رسالة في أصل الإيمان، 340.

بما ورد في القرآن الكريم من قوله تعالى: " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ"، وقد ذكر الصفات الذاتية التي هي الحياة والقدرة والعلم والكلام والسمع والبصر والإرادة التي يشترك مذهبا الأشاعرة والماتريدية في ذكرهما.

الاعتقاد في الملائكة

ذكر لطفي باشا الاعتقاد الموجود في الكتب الكلامية المعروف في الملائكة من أنهم حق والإيمان بهم فرض، وأن لهم سرعة فائقة في الهبوط من السماء إلى الأرض والصعود من الأرض إلى السماء، وذكر بعض "ما رُوي أنّ جبرائيل عليه السلام نزل على نبيّنا محمدٍ صلى لله عليه وسلم سبعةً وعشرين ألفَ مرَّةٍ وعلى سائر الأنبياء لم يَنزِلْ أكثر من ثلاثة آلافِ مرّةٍ، فسأل النبيُّ عليه الصلاة والسلام: أخي جبرائيل أنت أكثرتَ التنزيلَ والعروجَ، فهل لك التضيُّق والتضجُّر في ذلك؟ فقال: لا، وقال: يا رسول لله، إلا في ثلاثة مواضع أحدُها أنّ نمرودَ لماَّ نَصَبَ منجنيقًا ورمى به إبراهيمَ عليه الصلاة والسلام في النار، فجعله هو ينزل عليها، كنتُ في ذلك الوقت في مقامي سدرة المنتهى، فجاء نداءٌ من ربّ العزّة، يا جبرائيل أدرك خليل إبراهيم، فأدركته قبل وقوعه في النار، وثانيها أن إخوة يوسف لما ربطوا يد يوسف ورجليه وطرحوه في الجب، أنا في ذلك الوقت في مقامي، فجاء نداء من رب العزة: أدرك عبدي يوسف، فأدركته فأخذته قبل أن يصل إلى قعره، وثالثها لما كسر الكفار سنك، وحصل الجراحة في وجهك وخرج الدم ليقطر، فجاء خطاب العزة: يا جبرائيل أدرك حبيبي محمدًا لا تقطر دمه على الأرض، وإلا لا تنبت الأرض نباتا أبداً، فنزلت من مقامي، وأخذتُ دمَك على جناحي قبل أن يقطر على الأرض".[52]

52 مثل هذه الرواية لا توجد في كتب الحديث، ووضعها ظاهر، لطفي باشا، رسالة في أصل الإيمان، ص 346.

أما في مسألة تفضيل الملائكة على البشر أو العكس؛ فإن لطفي باشا يقول بأن خواص بني آدم كالمرسلين أفضل من جملة الملائكة، وعوام بني آدم من الأتقياء أفضل من عوام الملائكة، وخواص الملائكة أفضل من عوام بني آدم.

والإيمان بالكتب السماوية فرض وأن ما بداخلها إنما هو كلام الله وليس بمخلوق، أما الأنبياء والرسل فذكر لطفي باشا بأنهم معصومون من الكبائر والصغائر قبل النبوة وبعدها.[53]

أما في مسألة الإيمان فيعتمد لطفي باشا مذهب الماتريدية بأنه تصديقٌ بالجنان وإقرار باللسان، والإقرار شرط في حق الناطق، والتصديق هو الركن الأساس أما الإقرار فهو الدليل عليه، ومن ترك الإقرار وآمن بالقلب وهو قادر على النطق فهو كافر، وعلى هذا فإن الإيمان ثنائي عند الماتريدية بعبارة لطفي باشا، أما عند الأشاعرة والمعتزلة- كما يقول- فإن الإيمان ثلاثي؛ تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان، فتارك العمل لا يكون كافرًا عند الماتريدية، بينما عند الخوارج والمعتزلة يكون كافرًا كما يشير لطفي باشا، والإيمان عند الماتريدية لا يقبل الزيادة والنقصان.

هذا هو مجمل ما يراه لطفي باشا مما ذكره في رسالة "أصل الإيمان"، وبقية الرسالة هي عبارة عن عدة نقول مجتزئة من مصادر مختلفة، كالتعريفات للجرجاني وشرح المشارق ومجمع الحوادث والنوازل والواقعات وفتاوى التاتارخانية، وهي نفس المصادر التي استقى منها رسالته "خلاص الأمة في معرفة الأئمة".

---

53 رسالة في أصل الإيمان، ص 346.

2) الفرق الضالة عند لطفي باشا

كان لطفي باشا رجلا سنّيا منتميا لأهل السنّة، حادًّا على المخالفين، وهذا يتضح من أسلوبه في رسائله، وقد ألّف رسالة في الفرق الضالة المخالفة لأهل السنة، لكن قبل دراسة هذه الرسالة، نرى من المناسب أن نلقي الضوء على هذا النوع من التأليف في التراث الإسلام، أعني التأليف في علم المقالات والفرق الضّالة، لذا سوف نبدأ مِن نشأة هذا العلم، ونذكر أمثلة عليه، ونعرض لبعض المسائل الشائكة فيه.

3) نبذة عن علم المقالات

نشأة علم المقالات

نشأت الفرقة بين المسلمين والتحزُّب في فترة مبكِّرة من التاريخ الإسلامي، ولا نستطيع أن نقول بأن الحرب التي قامت بين الصحابة رضوان الله عليهم لم تكن لها بذورٌ موجودة قبل حدوثها، فقد كان ثمة محبّون لعلي بن أبي طالب وناصرون له على كلٍّ حال، وكانت القبيلة والعشيرة تلعب دورًا هامًّا في المجتمع الإسلامي كالانتساب إلى بني أميّة وبني هاشم، الذي كبُر فيما بعد ومثّل الأولى الدولة الأموية والأخرى الدولة العبّاسية، وكان الصراع بينهما صراعًا طويلًا، أريقت فيه دماء وأزهقت فيه أرواح، وكان في هذا المجتمع الكثير من الفرق، أضف إلى ذلك العوامل الخارجية التي دخلت العقل الفكري الإسلامي وأثرت فيه، على يد المسلمين الجُدد، هؤلاء المسلمون الذين أتوا من ثقافات مختلفة، كالثقافة الفارسية المجوسية، أو المسيحية أو اليهودية، وقد كان بين المسلمين أنفسهم من يقرأ كتب أهل الكتاب وينقل عنهم[54]، وعلى إثر ذلك نشأ ما يسمّى بالإسرائيليات، التي دخلت التراث

54 أشهر من يُذكر في هذا المقام وهب بن منبّه 114هـ الذي عرف بنقله عن كتب أهل الكتب، وقد كان هو نفسه من أصول يهودية يمنية. Mehmet Emin Özafşar, Mahmut Demir, "Vehb B. Münebbih", TDV.

الإسلامي، كما أن حركة الترجمة التي قامت في أواخر عهد هارون الرشيد وبلغت أوجها في عهد المأمون؛ أثارت الكثير من النشاط الفكري في المجتمع الإسلامي.

كل هذه العوامل وغيرها ساعدت على حدوث تفاعل كبير بين المسلمين، ووقوع اختلاف كبير بين الفقهاء والمتكلمين وأصحاب الحديث وغيرهم من فئات النخبة المسلمة، ونشأ على إثر ذلك ما يُسَمَّى بالفرقة والمقالة، فالفرقة مجموعة من المسلمين اجتمعوا على مقالة واحدة ودانوا بها، وقد كان هذا العطف يُطلق في الغالب على الفرقة الكلامية، يعني التي اختلفت في مسائل علم الكلام وأصول الدّين، نظرًا لأهمية أصول الدين، يعني لأن الاختلاف فيه يؤثّر تأثيرًا مباشرًا على الهويّة الإسلامية للإنسان، فاعتقاده في الصحابة يظهر ما إذا كان سنِّيًّا أو شيعيًّا على سبيل المثال، واعتقاده في الأسماء والصفات يُعرَف منه ما إذا كان معتزليًّا أو أشعريًّا أو ماتريديًّا أو من أصحاب الحديث، وهكذا.

لقد مثّل قتل عثمان بن عفّان على يد المعارضين الذين أتوا من مصر والكوفة حدثًا مفصليًّا في التاريخ الإسلامي، فيمكن القول بأنه كان يوجد على الأقل جيشان قويان وفرقتان ظاهرتان؛ فرقة دعمت الفريق العثماني الأموي والأخرى دعمت عليّ بن أبي طالب، وظهر على إثر هذا التشيع وفرق الشيعة؛ حتى قال ميمون بن مهران: "لما قُتل عثمان قال حذيفة هكذا، وحلق بيده، يعني عقد عشرة: «فتق في الإسلام فتق لا يرتقه جبل"[55]، وثمة رواية عن ميمون بن مهران (ت. 726/117) طويلة- نقلها ابن الأعرابي (ت. 952/340) تحكي نشأة الفرق بعد مقتل عثمان بن عفّان يقول فيها: " فلم يزل الناس على عهد أبي بكر وعمر مستقيمين، كلمتهم واحدة، ودعواهم جماعة، حتى قُتل عثمان بن عفان قال كثير بن مروان: فقلت لجعفر بن برقان: فما الذي نقموا على عثمان؟ قال جعفر: قال

55 ابن سعد، *الطبقات الكبرى*، تحقيق إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، 1968)، 80/3، وانظر:
Hinrich Biesterfeldt, Constructing Islam in the "Classical" Period: Maqalat Literature and the Seventy-Two Sects, *Kleine Schriften by Josef van Ess* (3 vols), 1/555.

ميمون: إن أناسا أنكروا على عثمان جاءوا بما هو أنكر منه، أنكروا عليه أمرا هم فيه كذبة، وإنهم عاتبوه فكان فيما عاتبوه أنه وَلّى رجالا من أهل بيته فعاتبهم وأرضاهم، وعزل من كرهوا واستعمل من أرادوا، ثم إن فُسَّاقًا من أهل مصر وسفهاء من أهل المدينة دعاهم أشقاهم إلى قتل عثمان؛ فدخلوا عليه منزله وهو جالس معه مصحف يتلو فيه كتاب الله، ومعهم السلاح، فقتلوه صابرا محتسبا، وإن الناس افترقوا على قتله على أربع فرق، ثم فصل منهم صنف آخر، فصاروا خمسة أصناف: شيعة عثمان، وشيعة علي، والمرجئة، ومن لزم الجماعة، ثم خرجت الخوارج بعد حيث حكم علي الحكمين، فصاروا خمسة أصناف: فأما شيعة عثمان فأهل الشام، وأهل البصرة. قال أهل البصرة: ليس أحد أولى بطلب دم عثمان من طلحة والزبير؛ لأنهما من أهل الشورى، وقال أهل الشام: ليس أحد أولى بطلب دم عثمان من أسرة عثمان وقرابته ولا أقوى على ذلك يعنون معاوية، وأنهم جميعا برئوا من علي وشيعته، وأما شيعة علي فهم أهل الكوفة، وأما المرجئة فهم الشكاك الذين شكوا، وكانوا في المغازي، فلما قدموا المدينة بعد قتل عثمان، وكان عهدهم بالناس وأمرهم واحد ليس فيهم اختلاف فقالوا: تركناكم وأمركم واحد ليس فيكم اختلاف، وقدمنا عليكم وأنتم مختلفون، فبعضكم يقول: قتل عثمان مظلوما، وكان أولى بالعدل وأصحابه، وبعضكم يقول: كان علي أولى بالحق وأصحابه، كلهم ثقة وعندنا مصدق، فنحن لا نتبرأ منهما، ولا نلعنهما، ولا نشهد عليهما ونرجئ أمرهما إلى الله حتى يكون الله هو الذي يحكم بينهما، وأما من لزم الجماعة فمنهم سعد بن أبي وقاص، وأبو أيوب الأنصاري، وعبد الله بن عمر، وأسامة بن زيد، وحبيب بن مسلمة الفهري، وصهيب بن سنان، ومحمد بن مسلمة في أكثر من عشرة آلاف من أصحاب رسول الله ﷺ، والتابعين لهم بإحسان قالوا جميعا: نتولى عثمان وعليا، ولا نتبرأ منهما، ونشهد عليهما، وعلى شيعتهما بالإيمان فنرجو لهم ونخاف عليهم. وأما الصنف الخامس: فهو الحرورية، قالوا: نشهد على المرجئة بالصواب، ومن

قولهم حيث قالوا: لا نتولى عليا ولا عثمان، ثم كفروا بعد حيث لم يتبرؤوا ونشهد على أهل الجماعة بالكفر، قال ميمون بن مهران: وكان هذا أول ما وقع الاختلاف، وقد بلغوا أكثر من سبعين صنفا، فنسأل الله العصمة من كل هلكة ومذلة، وقد كان بعض من خرج من هذه الأصناف دعوا سعد بن أبي وقاص إلى الخروج معهم؛ فأبى عليهم سعد وقال: لا، إلا أن تعطوني سيفا له عينان بصيرتان، ولسان ينطق بالكافر فأقتله، وبالمؤمن فأكف عنه، وضرب لهم سعد مثلا فقال: مثلنا ومثلكم قوم كانوا على محجة، والمحجة البيضاء الواضحة، فبينما هم كذلك يسيرون هاجت ريح عجاجة، فضلوا الطريق، والتبس عليهم، فقال بعضهم: الطريق ذات اليمين فأخذوا فيه، فتاهوا فضلوا، وقال الآخرون: الطريق ذات الشمال فأخذوا فيه فتاهوا فضلوا، وقال الآخرون كنا على الطريق حيث هاجت الريح فنيخ فأناخوا وأصبحوا وذهبت الريح وتبين الطريق، فهؤلاء هم أهل الجماعة، قالوا: نلزم ما فارقنا عليه رسول الله ﷺ حتى نلقاه، ولا ندخل في شيء من الفتن حتى نلقاه، فصارت الجماعة والفئة التي تدعى فئة الإسلام ما كان عليه سعد بن أبي وقاص، وأصحابه الذين اعتزلوا الفتن حتى أذهب الله الفرقة، وجمع الألفة، فدخلوا الجماعة، ولزموا الطاعة، وانقادوا لها، فمن فعل ذلك ولزمه نجا، ومن لم يلزمه وشك فيه وقع في المهالك "[56]

لقد لعب الخلاف على مسألة الإمامة دورا أساسيا في نشأة الفرق الإسلامية كما هو ظاهرٌ في النص السابق؛ وقد عبّر عن ذلك الشهرستاني قائلا: " وأعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة، إذ ما سُلَّ سيفٌ في الإسلام على قاعدة دينية، مثل ما سُلَّ على الإمامة في كل زمان"[57]، فقد نشأ هذا الخلاف فور وفاة النبي ﷺ فيما عرف بحادثة سقيفة بني ساعدة، ثم سرعان ما حُلَّ بتدخل الصحابي عمر بن الخطاب وترشيح أبي بكر الصديق كأول خليفة، وشهد عصر الخلفاء

56 ابن الأعرابي، *المعجم*، تحقيق عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، (السعودية: دار ابن الجوزي، 1997)، 369/1؛ ابن عساكر، *تاريخ دمشق*، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، 1995)، 495/39.

57 الشهرستاني، *الملل والنحل*، (القاهرة: مكتبة الخانجي، دون تاريخ) 22/1.

الثلاثة الأول استقرارًا سياسيا لذا لم يكن التفرّق بين المسلمين حادًّا كما حدث في العصور التالية على ذلك، حتى كبر بمقتل عثمان بن عفان كما سلف الذكر، وبتغلب معاوية بن أبي سفيان على الحكم، شهد التاريخ الإسلامي تحولا أساسيا في مقاليد الحكم ونظامه؛ حيث اعتُرف بنظام المَلَكِية كنظام متبع في المجتمع الإسلامي، فعهد بالمُلك لابنه يزيد، وشهد عصر يزيد بن معاوية ظلما كبيرًا لأهل البيت وللمخالفين له، وكل هذا ساعد في زيادة التفرق بين المسلمين.

كما كانت مسألة الإمامة أحد النقاط الرئيسة في نشأة الخلاف بين المسلمين بشكل عام، فإنها كانت كذلك عند الشيعة بشكلٍ خاص عامل انطلاق للفرق الشيعية؛ ذلك لأن التشيع قد اتخذ من عقيدة الإمامة أصلا لعقيدته، فهي ركن من أركان التشيع، فمن لم يعرف إمامه فقد خرج عن الإسلام، لكن المشكلة كانت في تحديد هذا الإمام، فثمة اتفاق بينهم على نسبه لآل البيت، لكن أئمة آل البيت كانوا منتشرين وكثر، لهذا التف حول كل إمام من الأئمة جماعة من الشيعة وتسموا باسمه وشكلوا عقيدتهم حول هذا الإمام، لهذا فإن أسماء فرق التشيع تتسمى في الغالب بأسماء أئمتهم، فالزيدية هم أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، والجعفرية أتباع جعفر الصادق، والإسماعيلية أتباع إسماعيل ابنه، والاثنى عشرية تسموا بذلك لأنهم آمنوا باثني عشر إماما من آل البيت، حتى محمد بن الحسن العسكري الذين يزعمون بأنه لم يمت واختبأ في السرداب، وأن يومًا سيأتي فيظهر فيه ويملأ الأرض عدلا ونورا كما مُلئت ظلما وجورا.

إضافة إلى مسألة الإمامة، فإن مسألة القدر كانت إحدى المسائل الشائكة التي اختلف حولها المسلمون، ومما يروى "القدر سر من أسرار الله"، فمشكلة القدر كانت ولا زالت مشكلة مستعصية على الحل، فإذا بدأ الحديث عن القدر لا ينتهي، سيدخل في نقاشه مسألة حرية إرادة الإنسان من عدمه، وهل حريته هذه مستقلة عن إرادة الله أم أنها إرادة داخل إرادته، وقد وردت نقاشات لنا عن الفلسفة اليونانية في

هذه المسائل، ومما ينقل أن أول من تكلّم في القدر هو معبد الجهني ت.٦٩٩[58]، وقد كانت هناك حلقة للحسن البصري (ت.٧٢٨) يروى بأن نشأة المعتزلة إنما كانت في هذه الحلقة؛ حيث دار نقاش بين واصل بن عطاء (ت.٧٤٨) والحسن حول مسألة حكم مرتكب الكبيرة، وهذه المسألة مشهورة نقلها كثير ممن تناول مقالات الفرق بالتأليف كالشهرستاني والبغدادي، حيث انزوى واصل بن عطاء وقال الحسن البصري عنه: "اعتزلنا واصل"، لا ننسى أيضا أن فرقة المعتزلة حينما تولّت أمر الحُكم في عهد المأمون مارست ضغطا سياسيا كبيرًا على المسلمين كي يعتنقوا آراء المذهب، فيما اشتهر بمحنة خلق القرآن، تلك المحنة التي كانت إحدى نقاط التحوّل الأساسية في التاريخ الإسلامي.

لقد لعبت حركة الترجمة دورًا أساسيًا في نشأة الفرق الإسلامية، تلك التي ابتدأت في أواخر عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد، ووصلت أوجها في عهد المأمون الذي أسس مؤسسة علمية تعرف ببيت الحكمة وكان الفيلسوف المشهور الكندي أحد المشرفين على مشاريع الترجمة في هذه المؤسسة، وبدخول الفلسفة اليونانية- بما كانت تحويه من فروع علمية شتى- المحيط الإسلامي زاد النقاش الفكري حول تلك العلوم ونشأ على إثرها تنوع آخر بين المذاهب الإسلامية، إضافة إلى هذا فقد كان كثير من المترجمين الذين تضطلعوا بمهمة الترجمة من غير المسلمين، سواء أكانوا من المسيحيين السريان أو غيرهم، كما لعب العنصر الفارسي الإيراني دورًا آخر في هذا التنوّع.

انعكست دراسة الفلسفة اليونانية على الفكر الإسلامي بشكل كبير؛ فاختلطت بالعلوم الإسلامية والأفكار المذهبية، ولا أدل على ذلك من مذهب الإسماعيلية الذي انتشر في القرنين الرابع والخامس الهجريين، ذلك المذهب الذي اتخذ من

58 Steven C. Judd, Ghaylan al-Dimashqi: The Isolation of a Heretic in Islamic Historiography, *International Journal of Middle East Studies*, Vol. 31, No. 2 (May, 1999), 161-163.

التأويل الباطني أساسًا لعقيدته، وأضاف- مع هذا- العناصر الشيعية التقليدية، أما إيمان الإسماعيلية خاصة في بحث الألوهية فهو متشبع بالفلسفة اليونانية.

يعتبر مصطلح الخوارج مصطلح سياسي بامتياز؛ فالخوارج أطلق على من هم ضد السلطة الحاكمة، لهذا فلم يكن لهم لونٌ واحد، بل ليس للخوارج نظامًا عقديا كالذي عند الشيعة أو المعتزلة أو غيرهم.

وفي نهاية الأمر فإن التحزّب هو أحد الحاجيات الإنسانية، فالإنسان دائما يركن إلى جماعة تحميه، وركونه إلى هذه الجماعة قد يكون لسبب أنه ولد في أحضان هذه الجماعة ولم ير غيرها، أو أنه تعرّف على من ينتمي لأعضائه فدخل فيها عن نقاش أو غير نقاش حبا وعاطفة، أو يكون ردة فعلٍ لضغط سياسي كما نشهد هذا كثيرا في أيامنا هذه.

علم المقالات لغة واصطلاحا

المقالة أحد المصادر من الفعل قال، "قال يقول قولا، وقيلا وقولة ومقالا ومقالة"[59]، فقد عُرف علم المقالات بـ"مقالات الفرق" وبـ"الملل والنِّحل"[60]، وقد وردت كلمة "ملة" في القرآن الكريم بمعنى "الدين والشريعة"، كما في قوله تعالى: " مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ"[61] بمعنى دين عيسى أو دين قريش الذي وجدوا عليه آباءهم، قوله تعالى: "وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ

---

59 ابن منظور، *لسان العرب*، مادة قال.

60 انظر: حاجي خليفة، *كشف الظنون*، (بغداد: مكتبة المثنى، 1941)، 1821/2.

61 سورة ص، آية 7.

وَيَعْقُوبَ"[62]، أي دين آبائي وشريعتهم، كما وردت بنفس المعنى في غير هاتين الآتين[63]، أما النحلة فهي في اللغة تعني "الدين"، وجاءت بمعنى "الدّعوى".[64]

وقد ذكر طاشكبرى زاده (ت.1561/968) تعريفًا لعلم مقالات الفرق قائلا: "وهو علم باحث عن ضبط المذاهب الباطلة المتعلقة بالاعتقادات الإلهية، وهي على ما أخبر به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عن هذه الأمة اثنتان وسبعون فرقة"[65]، وسيأتي الكلام على حديث الاثنتين وسبعين فرقة بشيء من التفصيل.

مصطلحات: الفرقة، الجماعة، السواد الأعظم، فئة الإسلام

من أولى المصطلحات التي نشأت في هذا الصدد مصطلح الفرقة، والفرقة أتت من لفظ "تفرّق"، ومعناه معروف، وقد وردت في القرآن الكريم مشتقات الكلمة 29 مرة، وفي عمومهم ذم للفرقة والانقسام والتحزُّب، إلا في موضع واحد ورد في سورة التوبة في قوله تعالى: "وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ" فوردت الكلمة تحمل معنىً إيجابيًّا.

وقد استُعمل مصطلح الفرقة في تاريخ المقالات والمذاهب الإسلامية في فترة مبكرة من التاريخ الإسلامي، وربما كان السبب الأساس لانتشار المصطلح والدلالة به على مجموعة من المسلمين قد خالفوا العامة أو الجماعة بمفهوم ما، ما ورد في الحديث المشهور: "افترقت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين

---

62 سورة البقرة، آية 38.

63 انظر في ذلك، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، معجم *ألفاظ القرآن الكريم*، (القاهرة: مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، 1990)، 1085/2.

64 انظر: ابن منظور، *لسان العرب*؛ الجوهري، *الصحاح*، مادة "نحل".

65 طاشكبرى زاده، *مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم*، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1985)،298/1.

فرقة"، ومن ثم استُعملت الكلمة فنجد النوبختي– من أعلام القرنين الثالث والرابع الهجريين– يؤلّف كتابا بعنوان "فرق الشيعة".

والجدير بالذكر أن اسم أي فرقة كان ينشأ بناءً على عدة أسباب، منها ما يكون نسبة للمكان، ومنها للشخص، ومنها للاعتقاد الذي اعتنقه أصحاب الفرقة، ولا شكّ أن أسماء الفرق والمذاهب بحاجة إلى ضبطٍ ورسم واضح، لأن كثير من الأسماء وردت في كتب المقالات وهي تُطلق على مذهب واحد، يذكر Hinrich Biesterfeldt مثالا لفرقة المرجئة فقد كانوا يسمون بالجهمية بخراسان، وبالغيلانية بسوريا، والشامرية بالبصرة، والوضاحية بالكوفة، وكل هذه الألقاب تدل على فرق مختلفة ومجموعة مختلفة من البشر ليس بينهم أي فرق ملحوظ من الناحية العقدية.[66]

مفهوم الفرقة الناجية

نشأ المصطلح من الحديث الوارد في الثلاث والسبعين فرقة، وقد اعتبرت كل طائفة نفسها الفرقة الناجية، حتى عُدّت الزيدية من الفرقة الناجية[67]– بعبارة حاجي– خليفة– ومن المصطلحات التي ترادف الفرقة الناجية، مصطلح السواد الأعظم، ومن الملفت للنظر أن ابن منظور اللغوي الشهير (ت.1311/711) قد عرّف مصطلح السواد الأعظم بالتالي: "والسَّوادُ الأَعظمُ من الناس: هم الجمهورُ الأعظمُ والعدد الكثير من المسلمين الذين تجمعوا على طاعة الإمام وهو السلطان"، فخصَّ تميّز السواد الأعظم باجتماعهم على السلطان، وأكّد عليه لاحقًا قائلا: "قيل: السواد الأَعظمُ جُمْلَة الناس ومُعْظَمُهم التي اجْتَمَعَتْ على طاعة السلطان وسلوك المنهج القويم؛ وقيل: التي اجتمعت على طاعة السلطان وبَخِعَت لها، بَرّاً كان أَو

66 Hinrich Biesterfeldt, Constructing Islam in the “Classical” Period: Maqalat Literature and the Seventy-Two Sects, 1/486.

67 انظر: *كشف الظنون*، 1821/2.

فاجراً، ما أَقام الصلاةَ؛ وقيل لأَنَس: أَين الجماعة؟ فقال: مع أُمرائكم"[68]، وقد سُمُّوا بالسّواد الأعظم لأن عددهم كبير فإذا اجتمعوا في الأرض تسودُّ بهم الأرض.[69]

وقد انتشر هذا المصطلح في العراق وفي أواسط آسيا، لا سيما وقد ألّف أبو القاسم الحكيم السمرقندي الحنفي (ت.953/342) كتاب السَّواد الأعظم، وكان السبب من تأليف الكتاب كثرة جدل المبتدعين واتباع الهوى في سمرقند وبخارى وما وراء النهرين، فاجتمع الفقهاء والعلماء من سمرقند والبخارى وما وراء النهرين، وقالوا: "إن أسلافنا وآبائنا قد أجمعوا على هذه السنة، والآن حصلت الأهواء المختلفة ونحن الآن على خوف، وأوصلوا الكلام إلى أمير خراسان، فأحيل الأمر إلى أبي القاسم السمرقندي وقيل له: "جد لنا طريق السنة والجماعة وما كان عليه النبي الكرم ﷺ ؛ فألف هذا الكتاب، فجاء به إلى أمير خراسان وعرضه عليه فاستحسنوه جميعا، وقالوا: إن هذه هي الطريقة الصحيحة للسنة والجماعة، وأمر أمير خراسان بترجمة الكتاب إلى الفارسية.[70]

ومن تلك المصطلحات التي نشأت في المئة الثانية من الهجرة مصطلح "فئة الإسلام" وقد ورد هو الآخر في سياقٍ سياسي، بمعنى الانضمام إلى الأمير ونبذ الخروج على السلطان.[71]

الجدير بالذكر هنا أن المجتمع الإسلامي كان مجتمعًا منفتحًا إلى حدٍّ كبير على الأقل في المدن الكبيرة، فكانت هناك كثيرٌ من الآراء والمذاهب الفكرية تطوف هنا وهناك، وكان ثمة نشاط بين الفرق والمذاهب المختلفة وردود من هنا وهناك، ونشأ من ذلك ما يسمّى بالعقيدة، فكان كثير من الأئمة حريصين على أن يثبتوا

---

68 انظر: ابن منظور، *لسان العرب*، مادة "سود".

69 انظر: ابن فارس، *مقاييس اللغة*، مادة سود.

70 Bkz. Muhammed Aruçi, "*Es-Sevâdü'l-A'Zam*", TDV İslâm Ansiklopedisi.

71 الطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، (بيروت: دار التراث، 1387هـ)، 309/7.

عقيدتهم في كتاب أو رسالة يعنونون لها بالعقيدة أو السنة أو ما شابه[72]، فلم تكن ثمة مؤسسة بابوية كما هو حادث في المسيحية تحكم بصحة اعتقاد معين وبهرطقة الاعتقادات الباقية.[73]

حديث الاثنين والسبعين فرقة، ومفهوم الفرقة الضّالة

يعتبر حديث افتراق الأمة على ثلاث وسبعين فرقة من أكثر الأحاديث المشهورة في التاريخ الإسلامي، وقد تداول الحديث الفرق الإسلامية المختلفة لإضفاء المشروعية ومحاولة إثبات تلك الفرقة أنها الفرقة الناجية، والباقي في النار، وقد قسم بعض الباحثين هذه الروايات كالتالي:

1- روايات تذكر افتراق الأمة بشكل عام وهي وردت في الترمذي وابن ماجه والحاكم:

وهذه الروايات تقول فقط بأن الأمة ستنقسم إلى ثلاث وسبعين فرقة، لكن لم تذكر مصير هذه الفرق. من بينها رواية بعدة طرق عن أبي هريرة (ت. ٥٨/٦٧٧) عن النبي ﷺ: "افترقت اليهود على إحدى . أو اثنتين . وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى . أو اثنتين . وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة".[74]

---

72 انظر على سبيل المثال لا الحصر: كتاب القدر وما ورد في ذلك من الآثار، لعبد الله بن وهب بن مسلم القرشي المصري المتوفى 197هـ، طبع دار العطاء بالرياض، تحقيق عمر بن سليمان الحفيان 1406هـ، كتاب السنة لأحمد بن حنبل المتوفى 241هـ، ت. عبد الإله الأحمدي، طبعة دار طيبة 1420هـ، كتاب السنة لأبي بكر بن أبي عاصم الشيباني المتوفى 287هـ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي 1400هـ، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لهبة بن الحسن بن منصور الطبري اللالَكائي المتوفى 418هـ تحقيق د. أحمد سعد حمدان دار طيبة بالرياض، الحجة في بيان المحجة لأبي القاسم بن محمد بن الفضل الأصبهاني التيمي المتوفى 535هـ، تحقيق محمد بن ربيع المدخلي ومحمد بن محمود أبو رحيم، طبع دار الراية الطبعة الثانية 1419هـ، وغيرها من المصنفات.

73 Hinrich Biesterfeldt, Constructing Islam in the “Classical” Period: Maqalat Literature and the Seventy-Two Sects, 1/485.

74 رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة والحاكم.

2- روايات تذكر مصير الفرق من بينها واحدة في الجنة والآخر في النار:

ففي هذه الروايات ذُكر أن فرقة واحدة من هذه الفرق ستدخل الجنة وباقي الفرق ستدخل النار، لكن لم تذكر تلك الروايات سمات الفرق التي ستدخل النار أو الفرقة التي ستنجو من النار وتدخل الجنة، وهذه الروايات وردت عن معاوية بن أبي سفيان (ت. ٦٧٩/٦٠) عن النبي ﷺ: " ألا إن من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفرق على ثلاث وسبعين: ثنتان وسبعون في النار".[75]

كذلك وردت رواية عن أنس بن مالك (ت. ٧١١/٩٣) عن النبي ﷺ: " إن بني إسرائيل قد افترقت على اثنتين وسبعين فرقة، وأنتم تفترقون على مثلها، كلها في النار إلا فرقة "[76]

3- روايات تذكر وصف الفرقة التي ستدخل الجنة (الفرقة الناجية):

وفي هذه الروايات ذُكِرت وصف تلك الفرقة التي ستدخل الجنة والتي اشتهر منها لقب الفرقة الناجية. وهذه الروايات وردت في أبي داود وابن ماجه والترمذي.

4- روايات تذكر أن كل الفرق ستدخل النار.

5- روايات تفيد بنجاة الفرقة التي ستتبع الجماعة.77

إن الرؤية التي تشكّلت من خلال هذه الروايات أن الأمة الإسلامية ستقع في الافتراق أكثر مما وقعت فيه الأمم السابقة عليها، وكل الفرق التي ستحدث في الأمة الإسلامية ستكون في النار، عدا واحدة من هذه الفرقة، وهي التي ستكون في الجنة والتي أطلق عليها الفرقة الناجية، وصف هذه الفرقة من الروايات أنها على

75 رواه الدارمي.

76 أخرجه أحمد في المسند.

77Ahmet Keleş, “73 Fırka Hadisi Üzerine Bir İnceleme”, Marife (Ehl-i Sünnet Özel Sayısı), yıl: 5, sy. 3, Konya, Kış 2005, ss. 25-45.

Mevlüt Özler, İslam Düşüncesinde 73 Fırka Anlayışı, (İstanbul: Rağbet Yayınları, 2010).

السنة، واعتقادها اعتقاد النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة، وكذلك هي الجماعة التي ستكون متمسّكة بالجماعة حينما تقع الفتنة بين المسلمين.

أما من الناحية الحديثية فلن نخوض فيه كثيرًا، لكن يمكن القول بأن هذا الحديث برواياته المتعددة قد طعن في صحته عدد كبير من العلماء، من بينهم ابن تيمية الذي قال:

"مع أن حديث الثنتين والسبعين فرقة ليس في الصحيحين، وقد ضعفه ابن حزم وغيره، لكن حسنه غيره أو صححه، كما صححه الحاكم وغيره، وقد رواه أهل السنن، وروي من طرق وليس قوله "ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة" بأعظم من قوله تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ اليَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً " وقوله: " وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَاناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً ". وأمثال ذلك من النصوص الصريحة بدخول من فعل ذلك النار، ومع هذا فلا نشهد لمُعَيَّن بالنار، لإمكان أنه تاب أو كانت له حسنات محت سيئاته أو كفّر الله عنه بمصائب أو غير ذلك كما تقدم، بل المؤمن بالله ورسوله باطنا وظاهرا الذي قصد اتباع الحق وما جاء به الرسول إذا أخطأ ولم يعرف الحق كان أولى أن يعذره الله في الآخرة من المتعمد العالم بالذنب، فإن هذا عاص مستحق للعذاب بلا ريب، وأما ذلك فليس متعمدا للذنب بل هو مخطئ والله قد تجاوز لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان".[78]

لم يتخذ المعتزلة هذا الحديث أصلا من أصول تأليفهم لكُتُب المقالات كما فعل الأشاعرة ومدرسة الحديث مؤخّرًا، لكننا على أي حال يمكن أن نقول بأن أول

78 ابن تيمية، منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية، تحقيق محمد رشاد سالم، (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٩٨٦)، ٢٤٩/٥، وقد درس حاكم المطيري الحديث من ناحية السند دراسة مستفيضة وخلص إلى انه لا يصح سندًا، نشر هذه الدراسة في مجلة جامعة صنعاء للقانون الدراسات الإسلامية في العدد العاشر، وقال في خاتمة بحثه: " وعلى كل فكل طرق هذا الحديث مناكير وغرائب ضعيفة ومنكرة، وأحسنها حالا حديث أبي هريرة وهو حديث حسن، مع تساهل كبير في تحسينه لتفرد محمد بن عمرو به، وهو صدوق له أوهام خاصة في روايته عن أبي سلمة عن أبي هريرة، ولهذا كان القدماء يتقون حديثه كما قال يحي بن معين"، انظر الدراسة في مثبتة في موقعه الالكتروني.

من وصلنا عنه قد تحدّث في هذا الحديث واتخذه أصلا في تصنيفه للمذاهب وعرضه لمقالاتهم هو خشيش بن أصرم فيمن نقل عنه الملّطي في كتابه "التنبيه والرد" الذي عرضناه سابقًا، فذكر هناك عدد الفرق ثلاث وسبعين فرقة في الإسلام، ورد على كل هذه الفرق بأدلة من القرآن، وذكر مذهب الفرقة الناجية، ثم بعد ذلك نجد أبا مطيع مكحول النسفي (ت. ٣١٨/٩٣٠) وهو إيراني معاصر لأبي القاسم الكعبي، وقد استطاع في كتابه "الرد على أهل البدع والأهواء الضالة" ترتيب الطوائف الاثنتين والسبعين لتوضيح عقيدة الفرقة الناجية كما يرى.

ويمكن القول بأن دخول الحديث أدبيات علم المقالات كان متأخرًا إلى حدٍّ ما؛ حيث إن لدينا عددًا لا بأس به من كتب المقالات ترجع إلى القرنين الثالث والرابع، ككتاب "التحريش" لضرار بن عمرو الذي رغم تعرّضه في هذا الكتاب إلى مقالات الفِرق لم يذكر الحديث، ويتخذه دليلا، أو يتخذ من الحديث طريقة لتنصيف الفرق كما حديث فيما بعد، كذلك الكتاب الأهم "مقالات الإسلاميين واختلاف المصلّين" لأبي الحسن الأشعري، فرغم أن الأشعري عاش في القرنين الثالث والرابع الهجريين، إلا أننا لم نجد في كتابه صديً لحديث الثلاث والسبعين فرقة.

وقد جعل في مقدمة الكتاب أصول الخلاف ترجع إلى عشرة؛ "الشيع والخوارج والمرجئة والمعتزلة والجهمية والضرارية والحسينية والبكرية والعامة وأصحاب الحديث والكلابية"، كذلك لم نجد صدىً للحديث عند النوبختي– من أعلام القرنين الثالث والرابع الهجريين– في كتاب "فرق الشيعة"، وكذلك الأمر نفسه عند أبي القاسم البلخي (319هـ) في كتابه "المقالات"، وأبي الحسين الملطي (ت. 377هـ) في "التنبيه والردّ"، وكذلك الأمر نفسه عند المقدسي (ت. 380هـ/990م) في "أحسن التقاسيم".

أما عبد القاهر البغدادي (ت. 429هـ) فقد اتخذ من هذا الحديث دليلاً وصنّف الفرق بناء عليه؛ حيث يقول: "في كيفية افتراق الأمة ثلاثا وسبعين وفى

ضمنه بيان الفرق الذين يجمعهم اسم ملة الاسلام في الجملة"[79]، واحتفل بالحديث جدا فذكره بأسانيده المتعددة ورواياته المختلفة وقال: "للحديث الوارد على افتراق الأمة أسانيدٌ كثيرة، وقد رواه عن النبي ﷺ جماعة من الصحابة كأنس بن مالك وأبي هريرة وأبي الدرداء وجابر وأبي سعيد الخدري وأبي بن كعب وعبد الله بن عمرو بن العاص وأبي أمامة وواثلة بن الأسقع وغيرهم"، ثم قال عبد القاهر البغدادي معتمدًا على هذا الحديث ومقررا لمبدأ الفرقة الناجية: "وقد روي عن الخلفاء الراشدين أنهم ذكروا افتراق الأمة بعدهم فرقًا، وذكروا أن الفرقة الناجية منها فرقة واحدة، وسائرها على الضلال في الدنيا والبوار في الآخرة"، وعنى البغدادي بهذا الاختلاف في أصول الدين حصرًا حيث يقول: "وقد علم كل ذي عقل من أصحاب المقالات المنسوبة إلى الإسلام أن النبي عليه الصلاة والسلام لم يرد بالفرق المذمومة التي هي من أهل النار فرق الفقهاء الذين اختلفوا في فروع الفقه مع اتفاقهم على أصول الدين، لأن المسلمين فيما اختلفوا فيه من فروع الحلال والحرام على قولين:

أحدهما: قول من يرى تصويب المجتهدين كلهم في فروع الفقه، وفرق الفقه كلهم عندهم مصيبون.

والثاني: قول من يرى في كل فرع تصويب واحد من المختلفين فيه، وتخطئة الباقين، من غير تضليل منه للمخطئ فيه.

وإنما فصل عليه الصلاة والسلام بذكر الفرق المذمومة فرق أصحاب الأهواء الضالة الذين خالفوا الفرقة الناجية في أبواب العدل والتوحيد، أو في الوعد والوعيد أو في بابي القدر والاستطاعة، أو في تقدير الخير والشر، أو في باب الهداية والضلالة.... ويستمر البغدادي في ذكر مسائل المعتزلة على أنها مسائل أهل الضلال والابتداع... ثم يختتم هذا قائلا: "فصح تأويل الحديث المروي في افتراق

---

79 عبد القاهر البغدادي، *الفرق بين الفرق*، (بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1977)، ص 8.

الأمة ثلاثا وسبعين فرقة إلى هذا النوع من الاختلاف دون الأنواع التي اختلفت فيها أئمة الفقه من فروع الأحكام في أبواب الحلال والحرام، وليس فيما بينهم تكفير ولا تضليل فيما اختلفوا فيما اختلفوا فيه من أحكام الفروع".[80]

ولهذا يبدو أن القرن الخامس الهجري هو بداية لظهور الحديث بقوة في كتب المقالات واعتباره عنوانًا لكتب المقالات، وتصنيف الفرق على أساسه، كذلك اتُّخذ الحديث أساسًا في تصنيف الفرق من قبل أبي المظفر الإسفراييني (ت.471هـ).[81]

وقد استشكل فخر الدين الرّازي ورود العدد ثلاث سبعين فرقة في الروايات المذكورة آنفا، ورد على هذا الاستشكال كالتالي:

"سؤال: فإن قيل إن هذه الطوائف التي عددتهم أكثر من ثلاث وسبعين، ورسول الله- عليه الصلاة والسلام- لم يخبر بأكثر؟ فكيف ينبغي أن يعتقد في ذلك؟ والجواب عن هذا أنه يجوز أن يكون مراده- عليه السلام- من ذكر الفرق الكبار، وما عندنا من الفرق ليست الفرق العظيمة، وأيضًا فإنه أخبر أنهم يكونون على ثلاث وسبعين فرقة لم يجز أن يكونوا أقل وأما إن كانت أكثر فلا يضر ذلك، كيف ولم نذكر في هذا المختصر كثيرًا من الفرق المشهورة ولو ذكرناها كلها مستقصاة لجاز أن يكون أضعاف ما ذكرنا، بل ربما وجد في فرقة واحدة من الروافض وهم الإمامية ثلاث وسبعون فرقة".[82]

وبمرور الزمن أصبح هذا الحديث عمدة لمن يصنف في المقالات والمذاهب الإسلامية، وأصبح هذا الحديث يمثّل خريطة واضحة للبحث في الفرق كما فعل أبو محمد اليمني (من وفيات القرن السادس الهجري) الذي قال في مقدمة كتابه: "فإني لما رأيت الناس قد غفلوا عن أديانهم، واستخفوا بمعادهم، واشتهروا في فساد

---

80 البغدادي، *الفرق بين الفرق*، ص ٢٥-٢٦.

81 الإسفراييني، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، (لبنان: عالم الكتب، 1983)، ص 14.

82 الرازي، *اعتقادات فرق المسلمين والمشركين*، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، (القاهرة: مكتبة مدبولي، دون تاريخ)، ص ٨٣.

مذاهبهم بالإصغاء إلى أهل البدع والأهواء... أحببت أن أجمع مختصرًا أذكر فيه عقائد الثلاث والسبعين فرقة التي ذكرها رسول الله ﷺ...."[83]

4) نبذة عن كتب المقالات والمذاهب

بعدما حدثت الفتنة بين الصحابة واشتدّت الحروب التي استمرّت حتى فيما بعد عصر الصحابة، خرجت من رحم كل هذا العديدُ من الطوائف والمذاهب، همّت كل طائفة تستدعي الأدلة والشواهد التي تدلُّ على صحة ما ذهبت إليه، وكانت هذه الأدلة تارة من القرآن وتارة من السنة وتارة من أقوال الصحابة وخيار الناس، نشأ من هذا الاتجاه نوعان من التآليف، تأليفٌ في بيان العقيدة الصحيحة[84] وفقًا لكل فرقة، هذا التأليف يتضمّن- في غالب الأمر- بيان ما تعتقده الطائفة والفرقة، بشكلٍ موجزٍ في بداية الأمر، فلم تكن التآليف في القرنين الأول والثاني مطوّلة وهذا الأمر لم يقتصر على مجال أصول الدّين بل في مجالات أخرى أيضا، وهذا البيان يكون مدعومًا بالأدلة من النصوص، النوع الآخر من التأليف يكون في التحذير من الفرق المخالفة لتلك الفرقة التي ترى نفسها على الاعتقاد الصحيح، هذا التحذير هو الذي كان أحد الأسباب الأساسية في نشأة علم المقالات وتاريخ المذاهب، وكان سببًا أساسيًا في التأليف فيه.

---

83 أبو محمد اليمني، *عقائد الثلاث والسبعين فرقة*، تحقيق محمد بن عبد زربان الغامدي، (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ٢٠٠١) ١/ ٢، وقد وضّح المحقق في مقدمة عمله أنه ليس للكتاب عنوان محدد يعرف به، انظر: ١٩/١.

84 نحن نحتاط هنا في استعمال كلمة العقيدة وما يفهم من ورائها، إذ المقصود عقيدة الفرقة الصادرة عنها التأليف، إضافة إلى هذا فإن كثيرًا من بنية هذه العقيدة كانت مبنية على عملية رد الفعل من الفرق المخالفة؛ وأوضح مثالٍ على هذا إدخال مسألة المسح على الخفّين في العقيدة، فرغم ان المسألة هي تنتمي إلى المجال الفقهي بالدرجة الأولى، إلا انها كانت من إحدى العلامات الأساسية لأهل السنة، فذكرت في كتب العقيدة، وقال سفيان الثوري: "يا شعيب بن حرب، لا ينفعك ما كتبت لك حتى ترى المسح على الخفين دون خلعهما أعدل عندك من غسل قدميك"، وكذلك ذكر المسألة أبو حنيفة في الفقه الأكبر، وأبو الحسن الأشعري في الإبانة، والطحاوي في العقيدة الطحاوي، وابن بطة في الإبانة الصغرى وغيرهم، انظر: اللالكائي، *أصول السنة*، ١٥٤/١.

كان هذا التحذير تحت عنوان "التحذير من الفرق الضالّة أو المذاهب الضالّة" فالاعتقاد يبني على شيئين: "معرفة الخير" يعني المذهب الصواب واتباع هذا المذهب، و"معرفة الشر" يعني المذهب الضالّ والابتعاد عن هذا المذهب، وقد نظر في الناحيتين كلٌّ من علمي الكلام وتاريخ المذاهب.

سوف نقدِّم هنا عرضًا موجزًا لأهم كتب المذاهب والمقالات التي وصلتنا، ونتناول كل واحدة منها بتعليق موجزٍ يشير إلى بعض محتوياته ومميزاته ونحوه.

- كتاب المقالات لزفر بن الهذيل صاحب أبي حنيفة (١٥٨هـ/٧٧٥م)

وقد ذكر هذا الكتاب حاجي خليفة (١٠٦٨هـ /١٦٥٧م) في كشف الظنون لكن لم يذكر عنه شيئا ولم يصلنا فيما أعلم.[85]

- كتاب التحريش لضرار بن عمرو الغطفاني (٢٠٠هـ /٨١٥ م)

وضرار بن عمرو كان من المعتزلة وانشق عنهم بعدة آراء حتى انتمت له فرقة وسمِّيت باسمه "الضرارية"[86]، وقد تناول في كتابه "التحريش" ما يقارب من 45 مسألة ما بين الفقه والكلام والتزكية وغيرها من الموضوعات، وطريقته في عرض هذه المسائل أن يذكر كل مسألة في صورة أن الناس ذهبوا إلى فقيه يسألونه عن

---

85 حاجي خليفة، *كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون*، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، دون تاريخ)،١٢٨٢/٢.

86 قال أبو الحسن الأشعري في المقالات "ذكر قول الضرارية": "والذي فارق ضرار بن عمرو به المعتزلة قوله أن أعمال العباد مخلوقة وأن فعلاً، واحداً لفاعلين أحدهما خلقه وهو الله والآخر اكتسبه وهو العبد، وأن الله عز وجل فاعل لأفعال العباد في الحقيقة وهم فاعلون لها في الحقيقة، وكان يزعم أن الاستطاعة قبل الفعل ومع الفعل وأنها بعض المستطيع، وأن الإنسان أعراض مجتمعة وكذلك الجسم أعراض مجتمعة من لون وطعم ورائحة وحرارة وبرودة ومجسة وغير ذلك، وأن الأعراض قد يجوز أن تنقلب أجساماً، وأبى ذلك أكثر الناس، وأن الإنسان قد يفعل الطول والعرض والعمق وإن كان ذلك أبعاضاً للجسم، وكلن يزعم أن كل ما تولد عن فعله كالألم الحادث عن الضربة وذهاب الحجر الحادث عن الدفعة فعل لله سبحانه وللإنسان، وكان يزعم أن معنى أن الله قادر أنه ليس بجاهل ولا عاجز وكذلك كان يقول في سائر صفات البارئ لنفسه. وحكي عنه أنه كان ينكر حرف ابن مسعود ويشهد أن الله سبحانه لم ينزله وكذلك حرف أبي بن كعب وأنه كان يزعم أنه لا يدري لعل سرائر العامة كلها كفر وتكذيب قال: ولو عرضوا علي إنساناً لوسعني أن أقول لعله يضمر الكفر قال وكذلك إذا سئلت عنهم جميعاً قلت لا أدري لعلهم يسرون الكفر، وكان يزعم أن الله سبحانه يخلق حاسة سادسة يوم القيامة للمؤمنين يرون بها ماهيته أي ما هو وقد تابعه على ذلك حفص الفرد وغيره"، أبو الحسن الأشعري، *مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين*، ص 282.

تلك المسألة، وهذه المسائل تتنوع بتنوع طبيعة السائلين وانتمائهم، فالخوارج يسألون الفقيه عن مرتكب الكبيرة، والفقراء يسألون عن الفقر، والسلاطين يسألون عما يخصهم من سياسة العامة، والأغنياء يسألون عن الغنى والترف، وكان ضرار بن عمرو حريصا في كتابه على أن يظهر شخصية ذلك الفقيه فقيه السوء المداهن لكل تلك الفرق والمجيب لهم بما يحبونه ويهوونه، وقد ذكر ضرار أسماء كثير من الفرق التي كانت في عصره كأهل السنة والجماعة والحشو والشكاك والجلسية والمعتزلة والصفرية والخوارج والعوام وغيرهم.[87]

- كتاب الاستقامة في السنة والرد على أهل البدع والأهواء لخشيش بن أصرم النسائي (ت. 253 هـ)

نقل منه أجزاء الملَطي في "التنبيه والرد" ونُشر مؤخرًا بتحقيق عبد المجيد جمعة وطبع في دار نهج السلف للنشر والتوزيع.

- كتاب المقالات لأبي علي الحسين بن علي الكرابيسي (ت. ٢٤٨هـ /٨٦٢م)

والكرابيسي من أصحاب الإمام الشافعي وهو أحد رواة مذهبه القديم في العراق، وكتابه هذا لم يصلنا، لكن اعتمد عليه عبد القاهر البغدادي كثيرًا خاصة في تكفيره للخوارج وطوائف الغلاة الأخرى[88]،وشبه هذا يوجد الكثير من كتب المذاهب والمقالات لم تصل إلينا، بل وصلت نتف منها في كتب وصلت إلينا اليوم ونشرت بين أيدي الناس، ولم نتعرض لهذه الكتب بذكرها بالتفصيل.[89]

- كتاب المقالات أبو القاسم البلخي (ت.٣١٩ هـ /٩٣١ م)

---

87 ضرار بن عمرو الغطفاني، *كتاب التحريش*، تحقيق حسين خانصو ومحمد كسكين، (إستانبول: شركة دار الإرشاد، 2014)؛ رامي محمود، *قراءة في كتاب التحريش لضرار بن عمرو الغطفاني (200 هـ 815م)*، İstanbul Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi Arşiv Sayı 35 Sayfalar 281 – 292.

88 عبد القاهر البغدادي، *الفرق بين الفرق*، ص ١٤.

89 انظر مثلا قائمة محمد عثمان الخشت في مقدمته للفرق بين الفرق، ص ١٤-١٩.

وقد ذكر حاجي خليفة أنه ابتدأ بتأليف هذا الكتاب سنة ٢٧٩ هـ[90]، وهذا الكتاب له أهمية كبيرة، فصاحبه من أئمة المعتزلة، له اضطلاعٌ بالمذاهب الكلامية والمذاهب المختلفة، يقول ياقوت الحموي: " وناهيك من فضله وتقدمته إجماع العالم على حسن تأليفه من الكتب الكلامية، وتصانيفه الحكمية التي بذت أكثر كتب الحكماء، وصارت ملاذاً للبصراء، وعمدة للأدباء، ونزهة في مجالس الكبراء التي هي أشهر في ديار العراق منها في ديار خراسان. وأئمة الدنيا مولعون بها، مغرمون بفوائدها".[91]

وهذا الكتاب يشبه كتاب أبي الحسن الأشعري فكلاهما أُلِّف في نفس الفترة، وكلاهما يعطينا صورة عامة عن الفكر الإسلامي في القرون الأولى الهجرية، سواء أكانت الكلامية أو الفقهية أو غيرها، وقد التزم صاحبه بموضوعية كبيرة في نقل آراء المذاهب، ففي أحايين قد لا تشعر بأن صاحبه من المعتزلة، وقد علل هذا قائلا: "لأن المراد هو وصف المقالات، وإنا لا نستقبح حكاية وصف مقالاتهم، فكذلك لا نستقبح حكاية ما حكوا، وإذا وجدنا لأصحابنا أو غيرهم عبارة سيئة حكيناها على وجهها ولم نتكلف عبارة غيرها، إذ كنا إنما قصدنا الانتفاع بهذا الكتاب والنفع دون المفاخرة بحسن وصفه".[92]

- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين أبو الحسن الأشعري (ت.324 هـ /936 م)

وهذا الكتاب يحمل أهمية خاصة تنبع من مكانة مؤلّفه الأشعري المعروف، والتي تتبعه أحد أكبر الفرق الكلامية الموجودة في التاريخ الإسلامي وحتى الآن، أما الكتاب فيعد بحجمه وفترة تأليفه أحد الموسوعات الهامّة التي تعطينا فكرة عن

90 حاجي خليف، *كشف الظنون*، ١٢٨٢/٢.

91 ياقوت الحموي، *معجم الأدباء*، تحقيق إحسان عباس (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣)، ١٩١/٤.

92 أبو القاسم عبد الله بن محمود البلخي، *كتاب المقالات ومعه عيون المسائل والجوابات*، تحقيق حسين خانصو، راجح كردي، عبد الحميد كردي، (بيروت: دار الفتح، إستانبول: كرامار، جامعة ٢٩ مايو، ٢٠١٨)، ٨.

المجتمع الإسلامي أو العالم الإسلامي وقت حياة المؤلف، إضافة إلى هذا ؛ الدّقة التي اتسم بها المؤلف في عرض آراء الفرق الإسلامية المختلفة والموضوعية وعدم إهمال الكثير من الآراء، وقد كان هذا واضحًا في ذهن المؤلّف والقصد من تأليفه للكتاب؛ حيث شرح في مقدمته أن كثيرًا من الناس قد دفعتهم العصبية للتشنيع على مخالفيهم فنقلوا عنهم ما لم يقولوه وهذه ليست طريقة الربانيين؛ يقول:

"أما بعد؛ فإنه لابد لمن أراد معرفة الديانات والتمييز بينها من معرفة المذاهب والمقالات، ورأيت الناس في حكاية ما يحكون من ذكر المقالات، ويصنفون في النحل والديانات، من بين مقصر فيما يحكيه، وغالط فيما يذكره من قول مخالفيه، ومن بين معتمد للكذب في الحكاية إرادة التشنيع على من يخالفه، ومن بين تارك للتقصي في روايته لما يرويه من اختلاف المختلفين، ومن بين من يضيف إلى قول مخالفيه ما يظن أن الحجة تلزمهم به، وليس هذا سبيل الربانيين ولا سبيل الفطناء المميزين؛ فحداني ما رأيت من ذلك على شرح ما التمست شرحه من أمر المقالات، واختصار ذلك وترك الإطالة والإكثار، وأنا مبتدئ شرح ذلك بعون الله وقوته".[93]

- التنبيه والرد على أهل البدع والأهواء الملَطي (ت. 377/هـ987م):

وآراء الملَطي قريبة من آراء أهل الحديث في مسائل الأسماء والصفات؛ لهذا اتُّهم من قبل البعض بالتجسيم والتشبيه، وليس الرجل كذلك إنما هو على عقيدة أصحاب الحديث، وقد بدأ أبو الحسين الملطي بذكر أقوال الرافضة والمعتزلة والمرجئة والشراة والخوارج، وتكمن أهمية الكتاب في أنه قد كُتب في فترة مبكّرة نسبيًّا، ثم إنه نَقَل من كتاب مهم هو في عداد المفقودات اليوم، هذا الكتاب المعنون بـ"الاستقامة في الرد على أهل الأهواء" لخُشيش بن أصرم[94]، فكان هذا الكتاب أحد

93 أبو الحسن الأشعري، *مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين*، تحقيق هلموت ريتر، (دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا)، 1990)، ص 1.

94 قال الذهبي: "خشيش بن أصرم، أبو عاصم النسائي الحافظ، مصنف كتاب " الاستقامة " في الرد على أهل البدع، سمع: عبد الرزاق، وعبد الله بن بكر السهمي، وروح بن عبادة، وطبقتهم، وعنه: أبو داود والنسائي، وأبو بكر بن أبي داود،

المصادر الأساسية لتناوله لمسألة الفِرق والرد على الشبهات التي ترد على عقائد أهل الحديث.[95]

- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي البشاري (ت. 380هـ/990م)

ألّف المقدسي كتابه قاصدًا به في الأساس المسح الجغرافي للعالم في عصره، وطبيعة قصده هذا تجعله يتناول المسائل المطروحة في كتابه تناولا بانورامياً وإحصائياً وصفياً شاملاً قدر الإمكان؛ وقد انعكس هذا على تناوله لمسألة المذاهب والفرق الدينية الموجودة في عصره، فاعتنى بإحصائها ووصف توزّعها، مما يزيد كتابه فرادة عن كتب المقالات الأخرى، فعلى سبيل المثال ذكر في بداية الفصل المعنون بـ"ذكر المذاهب والذّمة" المذاهب المستعملة اليوم يعني في عصره، فقال: اعلم أن المذاهب المستعملة اليوم في الإسلام التي لها خاص وعام ودعاة وجمع ثمانية وعشرون مذهبا؛ أربعة في الفقه، وأربعة في الكلام، وأربعة في الحكم فيهما، وأربعة مندرسة، وأربعة في الحديث، وأربعة غلب عليها أربعة، وأربعة رستاقيّة".[96]

وهذا من الممكن أن يعطي رؤية عامّة عن المذاهب الإسلامية التي كانت منتشرة في القرن الرابع الهجري، وقد ذكر بعد هذا تفصيلا لتلك المذاهب، فأما المذاهب الفقهية فهي الحنفية والمالكية والشفعوية والداودية، وأما الفرق الكلامية فذكر منها المعتزلة والنجارية والكلابية والسالمية، وأما الفرق التي لها فقه ولها كلام في آن واحد فهم الشيعة والخوارج والكرامية والباطنية، وأما أصحاب الحديث فهم

وأحمد بن عبد الوارث العسال، وعلي بن أحمد علان، ومحمد بن أحمد بن سليمان الهروي، وجماعة.وثقه النسائي. وله رحلة إلى مصر، والشام، والعراق، واليمن، توفي في رمضان سنة ثلاث وخمسين بمصر، الذهبي، *تاريخ الإسلام*، 76/6؛ وقد وصفه في السير بأنه إمام حافظ حجة... كان صاحب سنة واتباع"، الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، 251/12، فالرجل عقيدته هي عقيدة أهل الحديث، وقد اعتمد عليه الملطي في نقد الشبهات التي وردت على أصحاب الحديث من قبل الفرق الآخرى.

95 المَلَطي، *التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع*، عني بتصحيحه س. ديدرينغ، (بيروت: المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، 2009)، ص. ح.

96 المقدسي البشاري، *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم*، (القاهرة: مكتبة مدبولي، 1991)، ص 37.

الحنبلية والراهوية والأوزاعية والمنذرية، وأما المندرسة فالعطائية والثورية والإباضية والطاقية، وهكذا، لكن تقسيمه هذا يتابع بكثير من كتب المقالات التي قبله وبعده ويقارَن به.

- الفَرق بين الفِرَق لعبد القاهر البغدادي (٤٢٩هـ/١٠٣٧م)

وعبد القاهر البغدادي يعتبر إحدى نقاط التحول في تاريخ كتب المقالات والمذاهب، فمن حيث أسلوبه وعقيدته؛ فقد اعتمد العقيدة الأشعرية واعتبر ما سواها من فرق الضلال المخالفة، واعتمد في صدر الكتاب حديث افتراق الأمة على ثلاث وسبعين فرقة وبنى على ذلك الحديث تقسيمه للفرق، وبناء على العقيدة الأشعرية كان ينقل آراء الفرق المخالفة لهم، ويعرض مناهجهم ويتبعها بنقده لآراء هذه الفرق ومقولاتها، وبيان بطلانها كما يرى، وأسلوبه لم يخل من انتقادات عليه من حيث الشدة والتكفير ونحو ذلك.

إضافة إلى هذا فقد كان يصل الأمر إلى السب أحيانًا فحينما كان يعرض لآراء أتباع عمرو بن عبيد قال: "هؤلاء أتباع عمرو بن عبيد ابن باب مولى بني تميم، وكان جده من سبي كابل، وما ظهرت البدع والضلالات في الأديان إلا من أبناء السبايا"، كذلك لم يتورع عبد القاهر البغدادي عن اتهام خصومه في أعراضهم، مما أخرجه عن حدود الأدب واللياقة في العرض والنقد، قال على سبيل المثال حينما عرض لرأي ثمامة بن الأشرس في السبي: "كان يحرم السبي، لأن المسبي عنده ما عصى ربه إذا لم يعرفه، وإنما العاصي عنده من عرف ربه بالضرورة ثم جحده أو عصاه" ثم يعلق عبد القاهر البغدادي على هذا الرأي قائلا: وفي هذا إقرار منه على نفسه بأنه ولد زنى، لأنه كان من الموالى، وكانت أمه مسبية"[97]، وهذا الأسلوب الذي اتسم به عبد القاهر البغدادي به من التعصب

97 عبد القاهر البغدادي، *الفرق بين الفرق*، تحقيق محمد عثمان الخشت، (القاهرة: مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع، دون تاريخ)، ص ١١، ١٢.

للمذهب الأشعري ما به، كذلك من الحدة والشدة والخروج عن الأدب المعهود في كتب السلف ما به، وقد أثّر هذا الأسلوب فيمن بعده مع الأسف.

- الفِصَل في الملل والنحل لابن حزم (١٠٦٤/٤٥٦)

وميزة كتاب الفصل هو أن ابن حزم لم يقتصر على الفرق الإسلامية فقط بل تجاوز حديثه إلى نقد كتب أهل الكتاب، بل كان عرضه لعقائد أهل الكتاب أكثر من عرضه لعقائد الفرق الإسلامية، ولم يعتمد ابن حزم على حديث الثلاث والسبعين فرقة، بل كان فطنا بأن كثيرًا من الأحاديث التي تستعمل في هذا الصدد إنما تستخدم من طرف الفرق الإسلامية كأداة للدفاع والهجوم فيما بينها، يقول ابن حزم: "وكذلك جميع ما ورد في ذم القدرية والمرجئة والأشعرية، فإنها أحاديث ضعيفة غير قوية".

- الملل والنحل الشهرستاني (١١٥٣/٥٤٨)

والملل والنحل من الكتب الفريدة في علم المقالات، فالمؤلف استعمل طريقة في ترتيبه لكتابه مستوحاة من الطريقة الإيرانية، فأسلوب التصنيف الذي اتبعه في الملل والنحل إنما هو مأخوذ من طريقة الحساب الديواني الإيراني، فقد كان قريبًا من هذا الشأن، إضافة إلى الموضوعية والدقة في نقل الآراء والمذاهب المختلفة، وهذا كان واضحًا جدًّا خاصة في عرضه لكتاب حسن الصباح الفصول الأربعة، فقبل ترجمته لأجزاء من الكتاب قال: "ونحن ننقل ما كتبه بالعجمية إلى العربية، ولا معاب على الناقل، والموفق من اتبع الحق واجتنب الباطل، والله الموفق والمعين".[98]

98 الشهرستاني، *الملل والنحل*، ١٩٥/١، وانظر: رامي محمود، *رجال جماعة الحشاشين وعقيدتهم*، مجلة ميزان الحق، كلية الإلهيات جامعة إزمير، ٢٠٢١.

Toby Mayer, *Keys to the Arcana, Keys to the Arcana: Shahrastani's Esoteric Commentary on the Qur'an*, (London: Oxford University Press in Association with The Institute of Ismaili Studies), 2009.

ماذا يقول لنا علم المقالات

إن الاطلاع على كتب المقالات وما فيها من فرق وآراء ومذاهب مختلفة، تتناقض بعضها مع بعض في كثيرٍ من الأحيان، حتى ليُخيّل إلى المرء أنه لا يوجد رأي من الآراء لم يُذكَر أو لم ينقل عن طائفة من الطوائف أو فرقة من الفرق، الاطلاع على كل هذا يعمّق فهمنا لشكل المجتمع الإسلامي خاصة في القرون الأولى، كذلك شكل الحكومة التي كانت ترأس هذا المجتمع، تلك الحكومة التي يتزعمها أشخاص يحكمون بالشريعة لكن لا يمثِّلون حكومة ثيوقراطية في الوقت نفسه، هذا يتضح جليا إذا قارنّا هذا مع حكم الكنيسة في المجتمع المسيحي، فليس هناك مكان في المجتمع الإسلامي لمثل المجامع المسكونية[99] في التاريخ المسيحي، نعم كان هناك ضغطٌ سياسي يحدث في أغلب فترات التاريخ الإسلامي، فكثيرًا ما تداخلت السياسة في الدين، والدين في السياسة، لكن هذا الضغط كان يحمل صفة البشرية في أكثر أحواله، بمعنى أن مخالفه لم يكن مخالفًا لله مباشرة، نعم كانت هناك أقوال تستعمل ومذاهب تُستخدَم هنا وهناك، لكن لم تأخذ صفة الكنيسة.

إن علم المقالات يقول لنا بأن المقالة التي كانت تُنقل عن فرقة من الفرق كانت تخضع تحت البحث والأخذ والرد، فقد كانت المناظرة والحوار إحدى الوسائل الأساسية للتعايش والتواصل في المجتمع الإسلامي، كما كانت في الوقت نفسه وسيلة أساسية للوصول إلى الحقيقة التي كان ينشدها المسلم، وقد حفلت كتب المقالات والتاريخ والكلام بكثير من تلك المناظرات، بل اتُّخِذ أسلوب المناظرات كأسلوب للتأليف والتصنيف في الحضارة الإسلامية، وتطوّر أثناء الكتابة إلى "قيل وقال" أو "فإن قالوا... قلنا"، فلم يكتف المؤلف أثناء كتابته بعرض الآراء وسرد

99 Ömer Faruk Harman, "Konsil", TDV.

الأدلّة فقط، بل كان يستحضر دائمًا أسلوب المناظرة كوسيلة لتجلية مسألته ومحاولة لإظهار طريق الحق فيها.

إن أصحاب المقالات المتقدّمين لم يفترضوا أثناء عرضهم للمقالات كُفرَ من تناولونهم في كتبهم، ولم يكونوا حريصين على إظهار ضلال وفسق وبدع وكفر من يخالفهم أثناء عرض المقالة والمذهب، بل كان أكثر الحرص منصرفاً إلى نقل الرأي والمذهب بأسلوب هادئٍ وموضوعي، وخير مثال على هذا كتاب أبي الحسن الأشعري "مقالات الإسلاميين واختلاف المصليين"، وهذا لا شكَّ في أنه وفّر لنا خزينة كبيرة للآراء التي نشأت في القرون الأولى، وأعطانا صورة عن التكوين الاجتماعي لتلك العصور، كما أن دراسة هذه الآراء يساعدنا كثيرًا في فهم تطوّر تلك الآراء والمذاهب، واختفائها واندثارها وانتشار بعضها، وأسباب كل هذا، وكل هذا يصبُّ في مسألة فهم التاريخ الإسلامي والعقل الإسلامي فهمًا أعمق.

ولم يكن الأمر مقتصرًا على الاختلافات داخل الدين الإسلامي فقط؛ بل عاشت طوائف كثيرة من اليهود والنصارى وغيرهم في المجتمع الإسلامي، وكان مقابل مقامهم داخل المحيط الإسلامي أن يدفعوا الجزية[100]، فتوفّر لهم الحماية والأمان على أنفسهم، وهذا المدفوع المالي كان يقابله عدة مدفوعات مالية أخرى تؤخذ من المسلمين داخل المجتمع الإسلامي كالزكاة والخراج وغيرها مما هو معروف في كتب الفقه.

إن علم المقالات يقول لنا بأن المجتمع الإسلامي كان مجتمعًا مفتوحًا شديد التنوع فكريا، لكن دعنا نقول بأن الأمر قد أخذ في التطوّر ابتداءً من القرن السادس الهجري، وانعكس هذا أيضا على علم المقالات، فكتابا أبي الحسن الأشعري

100 قال رشيد رضا في المنار: "والتحقيق في تفسير (حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) أن المراد بالصغار خضوعهم لأحكامنا" ومثل هذه الآيات ينبغي قبل عرضها دراستها دراسة متانية في سياقها التي نزلت فيه، ومقارنتها بالأحداث المذكورة في كتب التفسير والسير المصاحبة للآية، ولرشيد رضا تفصيل في تفسير المنار عن الجزية. محمد رشيد رضا، *تفسير المنار*، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990)، 258/10.

والبلخي "المقالات" ليس ككتاب البغدادي "الفرق بين الفرق"؛ في كثير من المستويات، سواء في أمانة النقل أو في طريقة العرض والنقد، ينضم إلى هذا أبو حامد الغزالي أيضا في كتابه "فضائح الباطنية".

لقد اضطلع علم المقالات بمهمة تاريخية، تمثلت هذه المهمة في تكوين خزينة غنية لأفكار ومذاهب وأديان من عاشوا في المحيط الإسلامي، ومهمة النقل والحفظ هي إحدى ميزات الحضارة الإسلامية الخاصة، نبعت بالأساس من علم الحديث، أما علم المقالات فهو العلم الذي لم يأخذ حظه من الدراسة حتى الآن في الحقل الأكاديمي، فهو خزينة غنية يمكن أن تخرج منها الكثير من التصورات السوسيولوجية / الاجتماعية والسياسية، والدينية، والمذهبية وغيرها.

5) رسالة لطفي باشا في الفرق الضالة

ألف لطفي باشا في بيان الفرق الضالة المفارقة لأهل السنة، وقد استند في رسالته على حديث الثلاث والسبعين فرقة سالف الذكر، فصدّر به رسالته، بزيادته المعروفة عن الفرقة الناجية "ما عليه أنا وأصحابي"، وقد كان استقرّ هذا الحديث واشتهر في ذهن المسلم في عصر لطفي باشا، وأُلّفت حوله مؤلفات واتخذت بناءً عليه مواقف، كما سبق الذكر، وبعد ذكر هذا الحديث ذكر لطفي باشا خصال تلك الفرقة المسمّاة بـ "أهل السنة والجماعة"، يقول:

"وإن هناك خصالًا إذا وُجدت في المسلم فهو من أهل السنة والجماعة؛ الأولى: القيام بالصلوات الخمس في جماعة، الثانية: ألا يذكر أصحاب رسول الله ﷺ لا بذمٍّ ولا نقصٍ، الثالثة: عدم الخروج على السلطان بالسلاح، الخصلة الرابعة: عدم الشكّ في الإيمان، الخامسة: الإيمان بأن الخير والشر من تقدير الله تعالى فهو من لوازم الإيمان، السادسة: عدم الجدال والنزاع في المسائل المتعلقة بالدين، السابعة: عدم تكفير أحدٍ من أهل التوحيد، الثامنة: عدم ترك الصلاة على

أحد من أهل القبلة، التاسعة: وجوب المسح على الخفين، العاشرة: الصلاة خلف البر والفاجر".

ثم بعد بيان أهل السنة ووجوب الانتساب، شرع بشكل مختصر في ذكر الفرق الضالة، وقد ترجمنا رسالته من العثمانية وجعلناها في آخر هذه الدراسة.

التجديد في الدين

احتلّت فكرة التجديد في الدين مساحة هامّة في تاريخ الفكر الإسلامي، وقد نبعت الفكرة من الحديث القائل: إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها"[101]،وفي حقيقة لأن النبي ﷺ هو آخر نبي ختمت به الأديان، كان محلّه علماء ومجددون يحيون الإسلام وينفضون عنه الغبار، لأنه لن يكون هناك نبيٌّ بعد النبي ﷺ، لكن ما المقصود بالتجديد كمفهوم وهل هو قاصرٌ على الأمور الدينية أم العسكرية أم الحياتية الاجتماعية، فهذا ما لم يكن واضحًا في التراث الإسلامي.

وفكرة التجديد كانت موجودة في الفكر الإسلامي منذ وقت مبكِّر؛ فمن المعروف أن محمد بن شهاب الزُّهري (توفي ١٢٤) وكذلك أحمد بن حنبل (ت. ٢٤١) الذي ساق الحديث السابق بمروياته وطرقه المختلفة ثم ذكر من يراه مجدد القرن الأول ومجدد القرن الثاني[102]، وقد اهتمّ بها المحدّثون بطبيعة الحال في شروحهم للحديث، لكن المشاهد ان كل طائفة كانت تدعيها لأئمتها التجديد على حدّ قول ابن كثير: "قد ادّعى كلُّ قوم في إمامهم أنه المراد بهذا الحديث، والظاهر أنه يعم حملة العلم من كل طائفة وكل صنف من أصناف العلماء؛ مفسرين ومحدّثين وفقهاء ونحاة ولغويين"، أما ابن الأثير فذكر نماذج في جامع الأصول

101 أبو داود، السنن، *كتاب الملاحم*، ١٠٩/٤.

102 بسطامي محمد سعيد، مفهوم تجديد الدين، (جدة: مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ٢٠١٥)، ١٨، ١٩.

لمن يراهم مجددين حيث يقول "تكلموا في تأويل هذا الحديث، وكل أشار إلى القائم الذي هو من مذهبه، وحمل الحديث عليه، والأولى العموم، فإن (من) تقع على الواحد والجمع، ولا يختص أيضاً بها الفقهاء، فإن انتفاع الأمة يكون أيضاً بأولي الأمر، وأصحاب الحديث، والقراء، والوعاظ، لكن المبعوث ينبغي كونه مشاراً إليه في كل من هذه الفنون،ففي رأس الأولى من أولى الأمر: عمر بن عبد العزيز، ومن الفقهاء محمد بن الباقر والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله والحسن وابن سيرينَ وغيرهم من طبقتهم، ومن القُراء: ابن كثير، ومن المحدِّثين الزهري. وفى رأس الثانية من أولى الأمر: المأمون، ومن الفقهاء: الشافعي واللؤلؤي من أصحاب أبى حنيفة، وأشهب من أصحاب مالك، ومن الإمامية: على بن موسى الرضا، ومن القراء: الخضرمي، ومن المحدثين: ابن معين، ومن الزهاد: الكرخي، وفي الثالثة من أولي الأمر: المقتدر، ومن الفقهاء: ابن سريج الشافعي، والطحاوي الحنفي، والخلال الحنبلي، ومن المتكلمين: الأشعري، ومن المحدثين: النسائي، وفي الرابعة من أولى الأمر: القادر بالله، ومن الفقهاء: الإسفراييني الشافعي، والخوارزمي الحنفي، وعبد الوهاب المالكي والحسين الحنبلي، ومن المتكلمين: الباقلاني، وابن فورك، ومن المحدثين: الحاكم، ومن الزهاد: الثوري، وهكذا يقال في بقية القرون".[103]

ونظرة ابن الأثير (ت.٦٠٦ هـ/١٢١٠م) هذه تعتبر هي الأشمل من بين ما ذكره كثير من العلماء، فالرجل لم يستثن أحدًا لا من الفقهاء ولا من المحدثين، لا من السلف ولا من الأشاعرة، وحتى ضمَّ إليهم الإمامية، وأولي الأمر، لهذا فهي نظرة تستحق الاعتناء.

وسمات المجدد لم تُذكَر بشكلٍ واضحٍ في مصدر من المصادر الإسلامية، لكن المتفق عليه هنا أنه يحيي ما مات من السنة، وينفض الغبار عن الدين، ويعيد

103 ابن الأثير، *جامع الأصول في أحاديث الرسول*، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، 1972، 319/11.

له الحياة، وهذا في نواحٍ شتى سواء أكان في الفقه بأن يكون ضليعًا في الفقه بلغ رتبة الاجتهاد، تاركًا بصمة لمن بعده، يعوّلون في الفقه عليه كالشافعي، أو في مجالات أخرى كالسياسة كما فعل عمر بن عبد العزيز على سبيل المثال، وممن ناقش مسألة التجديد ضمن مؤلّفاته الحافظ ابن عساكر (ت. ٥٧١هـ/١١٧٦م)، في "تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري"[104]، وكذلك تاج الدين السبكي (ت.٧٧١/١٣٧٠) في "طبقات الشافعية"[105]، وكذلك مؤخّرا هناك من أفرد مسألة التجديد بالتأليف كجلال الدين السيوطي (ت.٩١١هـ/١٥٠٥م) فألف رسالة سمّاها "التنبئة بمن يبعثه الله على رأس كل مائة".[106]

كان لطفي باشا محبّا للعثمانيين مخلصًا لهم أيما إخلاص، فكما يقول: "أما طائفة العثمانيين فعقيدتهم طاهرة ونقية، وهم المسلمون السنة الذين تزينوا بمكارم الأخلاق، وبقانون السلاطين السابقين، وبحكم الخواقين عالي الشأن، وهم الحكام الذين يستحقون التاج والعرش، لأنهم زينوا حكمهم بالشريعة، وبسنة حضرة النبي المطهرة، أما في وقت الحرب والغزو فكانوا أبطالا يضرب بهم المثل... ويتدفقون مثل السيل على الكفار الأشرار وعلى الملاحدة الكفار، ويقضون عليهم ويبيدونهم من على وجه الأرض...".[107]

وقد تطرّق لطفي باشا إلى فكرة التجديد في الدين في كتابه "تواريخ آل عثمان" فذكر الحديث القائل: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها"، واعتبر أن مجدد القرن الأول هو النبي ﷺ، وأن مجدد القرن الثاني عمر بن عبد العزيز، والقرن الثالث المعتصم بن هارون الرشيد، في الدولة

104 ابن عساكر، تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، (بيروت: دار الكتاب العربي، 1414)، 52.

105 تاج الدين السبكي، *طبقات الشافعية*، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، (القاهرة: دار هجر، 1413)، 398/3.

106 السيوطي، *التنبئة بمن يبعثه الله على رأس كل مائة*، تحقيق عبد الحميد شانوحة، دار الثقة، دون تاريخ.

107 لطفي باشا، *تواريخ آل عثمان*، ص ٨٤.

العباسية لأن أخاه محمد الأمين قد أحدث بدعًا كثيرةً، واعتنق المأمون مذهب الرفض والاعتزال، وقال بأن القرآن مخلوق، أما المعتصم فقد قضى على هذا نسبيا كما يرى لطفي باشا، وقضى كذلك على بدعة بابك خرمي (٨٣٨/٢٢٣)[108] التي ظلّت عشرين عامًا، أما مجدد القرن الرابع فاعتبر لطفي باشا الخليفة العبَّاسي "القادر بالله أحمد بن إسحاق بن المقتدر" هو من جدد هذا القرن، وقد كان للقادر جهدٌ واضحٌ في محاربة فعاليات الدولة الفاطمية ومحاولتها لنشر التشيّع، ومجدد القرن الخامس الهجري هو محمد بن ملك شاه نسل السلاجقة، الذي كان معروفا بالدين والتدين وموصوفا بالعدل والأمانة.

أما مجدد القرن السادس الهجري فهو السلطان غازان خان بن أرغون خان بن هولاكو خان من نسل جنكيز خان، والذي بإسلامه فرح المسلمون شرقًا وغربًا بمحوه للبدع، والقرن الذي يليه مجدده هو عثمان غازي ملك الأتراك، ومجدد القرن التاسع هو السلطان سليم الأول وقد أطال لطفي باشا في سيرته، فكانت تربطه علاقة قوية مع السلطان سليم، فقال بأن سليم أحيا سنة رسول رب العالمين، فالعالم آنذاك كان مليئا بالفساد والفتنة، وهو الذي استطاع ان يوقف المدّ الشيعي الذي كان يقوم به الشاه إسماعيل، وبظهوره قوية شوكة أهل السنة.[109]

والملاحظ هنا على ذكر لطفي باشا للمجددين أنه ركّز بشكل أساسي على ولاة الأمر والسلاطين، وهذا لأن لطفي باشا كانت شخصية قيادية عسكرية بالأساس، لهذا وقع اهتمامه على هذا الجانب، الشيء الثاني الملاحظ هنا أن لطفي باشا ركّز بشكل أساسي على العثمانيين في القرون القريبة منه، وهذا لحبه المتناهي للعثمانيين- كما أسلفنا القول- .

108 المعروف عن بابك أنه دعى إلى الإباحية وكانت له فرقة مسماة بالبابكية/الخرمية، وقد كان مصدر تهديد كبير للدولة العباسية عند ظهوره، انظر: النديم: *الفهرست*، تحقيق رضا تجدد، ٤٠٦.

https://iranicaonline.org/articles/babak-korrami
Hakkı Dursun Yıldız, "Bâbek", TDV.

109 لطفي باشا، *تواريخ آل عثمان*، ٨٧-١٠١.

وفكرة التجديد في رأينا لا تقتصر على العلوم الشرعية فقط، بل ينبغي أن تمتد إلى كل العلوم، وهذا يرجع بالأساس إلى تعريفنا لكلمة "الدين"، فمعنى الدين هنا لا يقتصر بالأساس على العلوم الشرعية فقط، فإننا إذا قلنا بأن الإسلام دين ودنيا، ولا فصل بين علوم دين وعلوم دنيا، فسنعترف إذن بأن التجديد في الدين كما يكون في الحديث والفقه والتصوف، يكون أيضًا في الفيزياء والكيمياء والأحياء والرياضيات وغيرها، كما كان الأمر في ولاة الأمور، فقد أدخل العلماء أمر ولاة الأمور والسياسة الصالحة في مسألة التجديد، من هذا الباب، ذلك لأن نفعهم وأثرهم يطال عامّة المجتمع، فالأمر نفسه ينطبق على العلوم الحديثة.

الفصل الثالث

الفكر السياسي لدى لطفي باشا

لقد تكوّنت لدى لطفي باشا تجربة سياسية كبيرة نتيجة مختلف الوظائف السياسية والعسكرية التي قام بها والتي اختتمت بتوليه صدارة الدولة العثمانية، فقد كان مشغولا بالإدارة المركزية والسياسة الخارجية فترة وزارته، كما أعطته الحملات البرية والبحرية التي شارك فيها كقائد للقوات البحرية فكرة كافية عن إدارة الجيش والبحرية، وقد قام بعمل كثيرٍ من الإصلاحات حينما تولّى الصدارة العظمي في الفترة ١٥٣٩- ١٥٤١م، وقد أشار إلى أنه حينما تولّى الصدارة العظمي كان الديوان العالي في حالة يُرثَى لها، وقد سعى بكل ما أوتي من إمكان أن يصلح هذه الفوضى كما يقول:

"وحينما تولّى هذا الحقير منصب الوزارة؛ وجدتُ أحوال الديوان العالي في حالة يُرثى لها، وخلال **سبع سنوات**[110] توليتي هذا المنصب سعيت قدر الإمكان في تنظيم أحواله".[111]

فخلال السبع سنوات هذه سعى لطفي باشا أن يصلح ما وجده من فساد كالرشوة والتقاعس عن العمل ونحوه في الدولة العثمانية، كذلك يروي في "آصف نامه" أنه حينما كان في منصب الوزارة سعى في توفير قسم من أموال الراتب، حيث يقول:

"ولله الحمد، فإن الدولة العثمانية كافية لتقوم بهذا الإحسان، وقد كان هذا الحقير يحصِّل 15000 حملا آقجه لمطبخي ولمصاريف رجالي، وخمسة أحمال لخزانتي، وخمسة أحمالٍ للصدقة، وكنت أُطعِم الفقراء والمشايخ الصلحاء مرتين في الأسبوع، لروح حضرة صاحب الرسالة صلوات الله عليه وسلامه الشريفة، وكنت حينما أدعوهم نناقش ونتشاور في الأمور وأطلب نصيحتهم ودعاءهم، كما حصّلتُ الكثيرَ من أموال الغنائم والأعشار الحلال في الحروب، فكنتُ أنفِقُ هذه الأموال في

110 كأن هناك أمرًا لم أفهمه، فبينما يذكر لطفي باشا في مقدمة آصف نامه انه خلال توليته للوزارة العظمي سبع سنوات، يكاد يكون اتفاقًا بين من تناولوا حياته على أنه ولي الوزارة العظمى ثلاث سنوات.

111 لطفي باشا، *آصف نامه*، المقدمة.

وقتها على الفقراء وفي أمور الخير، فالحمد لله الذي أطعمنا وأكرمنا، فالطمع وادٍ قبيح، والقناعة كنزٌ لا يفنى ومنافعها كثيرة، اللهم ارزقنا من القناعة، ويسر لنا من الشفاعة"

ورغم ذلك أتى من بعده في نهب الأموال وأكلها بطرق غير مشروعة، وقد لاحظ حينما أتى للوزارة بأن خزانة الدولة تعاني من اختلال وفوضى، ورأى حينذاك أن خزانة الدولة المركزية كانت تستمدّ أموالا من خزانة الأقاليم والمقاطعات الخارجة عن إستانبول، فسعى في إصلاح هذا، يقول:

"وقد ناسبَ جلوسُ السلطان سليمان خان على العرش نقصان الكثير من أموال الخزينة، فكان أحيانًا لم يكف الأمر فيُلجأ إلى الخزينة الخارجية، وقد كان هذا سببًا في كثيرٍ من الاضطراب والاختلاط، فيجب حتمًا أن تكون الأموال الداخل للخزينة أكثر من الخارجة منها، وقد سعيتُ قدر الإمكان في تدبير أمور الدولة حتى لا تقع في اختلاط".

نبّه لطفي باشا على حفظ أموال الناس وخاصة حقوق اليتامى، وقال بأن الدولة ينبغي أن تحمي هذه الحقوق، وعلى السلطان أن يحمي ممتلكات الناس، ولا ينبغي أن تصادر الدولة أموال الناس بغير حق، فهذا يهدد بقاء الدولة، ولا ينبغي الاستيلاء على تركات الناس وأموالهم حين الوفاة، فينبغي إرجاء هذه الأموال حتى يظهر ورثتها. وقد ضرب مثالاً على العدل في هذه الأمور من السلطان سليم الأول- نموذجه المفضل- وقال بأنه في عهده كانت أموال المتوفين تنظر لمدة سبع سنوات فإن لم يظهر لها وارث تودع في خزينة الدولة.

ومن ضمن الإصلاحات السياسية الداخلية التي قام بها لطفي باشا هو إزالة عادة اضطهاد الرسل (حاملي البريد) للفقراء، فسعى في إبقائهم في مكان بعيد عن الفقراء كي يتخلصوا من شرهم، كما أشار هو إلى ذلك، فقد كان هؤلاء الرسل في الدولة التركية يصادرون خيول الناس دون إذن أصحابها.

ونظام الرسل المسمى بالتركية أولاق Ulak في الدولة العثمانية أو الساعي والبريد، كما أُطلق عليه قديمًا، هو نظام قديم معروف عند الأتراك، وقد عرّف في قاموس اللغات التركية على أنه "هو ساعي البريد الذي يخرج مسرعًا بأمر من السيد ويظل يجري ويجري حتى يلقى حصانًا آخر فيسلمه"، وقد كان لهؤلاء طرق معروفة يسلكونها كطرق السكة الحديد اليوم، وعلى طول هذه الطرق كانت توجد استراحات، وتوجد في هذه الطرق أيضًا من يسعون في خدمة هؤلاء الرسل، لهذا كانوا يستعملون كثيرًا من الأحصنة ووفقا للطفي باشا كان هؤلاء الرسل يستولون على أحصنة ليست لهم، وهذه العادة– عادة الاستيلاء على الخيل عن طريق وضع اليد– قد أخذها الأتراك عن المغول حينما استولى المغول على بلاد الأناضول.

وقد كان هؤلاء الرسل الذين يخدمون في نظام أولاق، يمنحون حق امتياز الخيل من الناس كما يشاؤون بحكم أولاق الذي يأخذونه من السلطان، ثم تطور الأمر بعد ذلك فدخل في هذا الأمر الكثير من رجال الدولة كالوزراء وأمناء الخزانة والأغاوات وغيرهم، فكان هؤلاء يمنحون حكم أولاق لمن يشاؤون من سادة الأقاليم وأمراء السناجق، فمن كان لديه حكم أولاق من هؤلاء كان يحق له أخذ ما يشاء من الخيل، فكان هؤلاء الرسل يتركون خيولهم المتعبة ويختارون ما يشاؤون عن طريق وضع اليد من الخيل الجيدة، وإذا كان الخيل الذي يركبونهم متعبًا أو مريضًا يتركونهم ويأخذون أي حصان يجدونه في الطريق، وعلى هذا وصف لطفي باشا هذا بـ"اضطهاد الرسل أو بظلم الرسل"، وأقدم حكم أولاق وصل إلينا كان في شهر شعبان ٨٨٧ (أكتوبر ١٤٨٢) مُنِح من طرف السلطان بايزيد الثاني، وفي هذا الحكم يُمنح لمن يقوم بهذه الوظيفة أولاق من استراحة إلى الاستراحة الأخرى في الطريق.

وحينما تولّى لطفي باشا الوزارة العظمى أراد أن يحلّ هذه المشكلة وما لحقها من فساد، فأزال لطفي باشا نظام أولاق وأعاد النظر في نظم الاستراحات، وأبدل

نظام أولاق بنظام إنعام، في هذا النظام الذي وضعه لطفي باشا حاول أن يكون الأمر أكثر ضبطًا، يُكتَب فيه اسم الرسول وإلى أي دائرة ينتمي إليها، وما سبب سفره، ومن الذي أعطى الأمر بسفره، وهل هذا السفر ذهابٌ أم عودة؟، وما هي أول استراحة سوف يعرّج عليها وما هي آخر استراحة سوف ينتهي بها، كذلك سعى في ضبط أمور الخيل التي يستعملونها، فينبغي أن يوفَّر لهؤلاء الرسل في الاستراحات خيل على قدر حاجتهم، وتُمنح الخيل بناء على فرمانات سواء أكانت في الأناضول أو في الروملي.[112]

الإمامة والخلافة عند لطفي باشا

لم يخض لطفي باشا ميدان السياسة والحرب بتجاربه فقط، بل خاضه بقلمه، وترك لنا عدة رسائل في السياسة تحمل قدرًا كبيرًا من الأهمية، من تلك الرسائل رسالة "إغاثة الأمة بمعرفة الأئمة"، والدين والكلام الإسلامي أحد أركان السياسة في التاريخ والحاضر، بل هما وجهان لعملة واحدة، سنعتني قليلا بمسألة الإمامة والخلافة هنا ونفرد لها فصلا، ونسلط الضوء على رسالة لطفي باشا هذه، لنرى أحد المواضيع الحيوية التي لم ينقطع عنها النقاش إلى يومنا هذا، "هل يجب أن يكون الخليفة على المسلمين قرشيًا أم لا؟"، سنترك الإجابة على هذا السؤال الآن، لنعود إليه لاحقاً، ونأخذ الأمر من أوله.

لقد ظهر منصب الخليفة بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام، الذي هو موكَّلٌ بتسيير أمور العباد بشكلٍ يستقيم مع أوامر الشرع، وقد حدث نزاعٌ في ذاك الوقت على من سيكون هذا الخليفة، مما هو مشهورٌ بحادثة السقيفة، واستقرَّ الرأي– بعد الشدِّ والجذب– على أبي بكر الصدِّيق، لكي يكون أول حاكمٍ في الدولة

112 للمزيد عن نظام أولاق، يمكن الاطلاع على مادة أولاق في موسوعة المعارف الإسلامية التركية: Yusuf Halaçoğlu,"Ulak", TDV.

الإسلامية بعد الرسول الكريم، لم يكن يوجد شكلٌ واضحٌ للنظام الذي ستكون عليه الدولة الإسلامية، وكذلك لم يكن شكلا مُحدّدًا مفصَّلا بمن سيكون القائم على رأس هذا النظام.

لكن فيما يخص الشخص الذي سيكون على رأس هذا النظام الحاكم، وردت عدة أدلة دينية استند إليها فقهاء ومتكلمون وخرجوا بما سُمِّي فيما بعد بـ "شروط الإمامة أو الخلافة".

كلما تأخّر الزمان كلما زادت الألقاب التي كان يحملها من يكون على رأس جماعة المسلمين أو جماعة من المسلمين، فبالإضافة إلى الخليفة والإمام الأكبر، نشأ الأمير والسلطان والملك والصاحب ونحوه، إلا أن لقبي "الخليفة" و"الإمام" احتفظا بين المسلمين بنوعٍ من القدسية، لذا اعتنى هؤلاء المتكلمون في هذا الشأن بشروط من سيتولّى هذا المنصب أكثر من غيره، كان من ضمن هذه الشروط أن يكون الخليفة الإمام من نسْلٍ قرشي، فقال بهذا الشرط الأكثرية من المتكلِّمين والفقهاء، كما قال فريق آخر بعدم ضرورة هذا الشرط في الخليفة الإمام، فيكفي أن يكون مسلمًا عادلا وهكذا.

كان الأمراء أصحاب الممالك الصغيرة أو السلطنات المستقلة عن مركز الخلافة، يعلنون التبعية لمركز الخلافة التماسًا للشرعية الدينية والقبول بين جموع المسلمين، وكان في بعض الأحيان تُعلَن خلافة مستقلة عن الخلافة الموجودة في ذاك الوقت، كما حدث مع الخلافة الفاطمية التي قامت في المغرب العربي، وزحفت إلى مصر وأعلنت خلافتها وانتسابها إلى البيت النبوي والنسل الفاطمي، فهي إذن خلافة شرعية، فكان الحلُّ لدى الخلافة العباسية المعاصرة لها هو إعلان أن الفاطميين وما أعلنوه من خلافة ليست صحيحة وأنهم كاذبون، فنسبهم ليس صحيحًا وبهذا خلافتهم الفاطمية ليست شرعية، فلا يحق لأحد أن يدعمهم بل تجب

محاربتهم والقضاء عليهم، ورويدًا رويدًا تحوّلت الخلافة في الأزمنة المتأخرة إلى مسألة رمزية ليس لها أي قوة حقيقية.

حينما ظهرت الدولة العثمانية على الساحة وقامت تُوسِّع من سيطرتها جغرافيًا، احتاجت– كما احتاجت الدول من قبلها– إلى الشرعية الدينية، فأخذ سليم الأول عهدًا من الخليفة العباسي بتسيير الأمور، كما قال هو في الخطاب الذي بعثه إلى طومان باي، كما سيأتي لاحقًا، وبمرور الوقت وبالتقدم العسكري للعثمانيين غطّت الدولة العثمانية العالم الإسلامي تقريبًا، وفتحت أجزاءً من أوربا، ونشأ على هذا التوسُّع جدلٌ في الأوساط الإسلامية، حول ما إذا كان السلطان العثماني هو خليفة إسلامي معترف به دينيًا، أم أنه سلطان وحاكم لكن ليس خليفة.

ظهر هذا النزاع على السطح في عهد السلطان سليمان القانوني– ويعتبر هذا العهد أقوى عهود الدولة العثمانية– فذكر البعض مقولة النسفي في عقيدته عن شروط الخليفة: "ويكون من قريش ولا يجوز من غيرهم"، وكذلك التفتازاني في أثناء شرح مقولة النسفي أتى بنماذج من الدول التي قامت في التاريخ الإسلامي، ابتداء من أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ثم الدولة الأموية والدولة العباسية، والإيماء بأن حال الدولة الإسلامية بعد سقوط العباسيين قد اختلف[113]، وعلى هذا حدث اختلاف في الرأي؛ بين من يرى أن السلطان العثماني له السمع والطاعة لكن ليس بخليفة لأنه غير قرشيٍّ، وآخر يرى أن السلطان العثماني له السمع والطاعة، وهو متغلِّب بالسلطة والقهر، وعليه فهو خليفة شرعي، حتى لو لم يكن قرشيًا، وكان من بين هذا الفريق الصدر الأعظم لطفي باشا، الذي ألَّف رسالة في شرط قرشية الإمام خصيصًا، وقد تناول هذا الفصل دراسة لطفي باشا لهذه المسألة.

---

113 التفتازاني، *شرح العقائد النسفية*، تحقيق: علي كمال، (بيروت: دار إحياء التراث، دون تاريخ)، 143، قارن بابن حزم، الفصل، 75/4.

سنبتدئ بتعريف الخلافة والإمامة، ثم نلقى الضوء على مسألة شروط الإمامة والتي من بينها شرط قرشية الإمام أو الخليفة، وعرض لآراء المتكلمين في المسألة، وبعدها بدأ البحث رويدًا رويدًا في التمهيد للدخول العثماني ساحة النقاش، فكشف عن رمزية الخلافة، قوتها التي كانت تأمر وتنهي وترسل الجيوش وتقيم الحروب والمعاهدات، إلى مسألة هشة في نهاية أمرها، يلجأ إليها الأمير أو الحاكم المتغلِّب كي يلتمس شرعية لحكمه في القطعة التي اقتطعها من الخريطة الإسلامية في ذاك الوقت.

ألقى هذا الفصل الضوءَ على رسالة "خلاص الأمة في معرفة الأئمة"، فعرض للباحثين الذين أشاروا للرسالة أو أخذوها بالبحث والتحليل، ثم درس محتوى الرسالة، فذكر مصادر المؤلف التي استقى منها رأيه، والحجج الأصلية التي استند عليها الصدر الأعظم لطفي باشا لإثبات رأيه القائل بعدم ضرورة قرشية الخليفة الإمام.

1) تعريف الإمامة والخلافة

الإمامة في اللغة تدور حول معاني الرياسة والتقدُّم وإعطاء المثال للآخرين، فالإمام هو الرئيس، أمَّ القوم تقدَّمهم فكان عليهم رئيسًا، وأمَّهم في الصلاة أي كان إمامًا يقتدون به ويفعلون بفعله[114]، أما في الاصطلاح فالتعريفات التي وردت إلينا كثيرة؛ أشهرها تعريف الماوردي للخلافة بأنها: "موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا"[115] وابن خلدون بأنها: "خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا"[116]، أما القاضي عبد الجبار فقد رأى بأنها "اسمٌ لمن له الولاية

114 انظر: ابن منظور، *لسان العرب*، (بيروت: دار صادر، 141هـ)، مادة أمم.

115 الماوردي، *الأحكام السلطانية والولايات الدينية*، تحقيق د. أحمد مبارك البغدادي، (الكويت: دار ابن قتيبة، 1989م)، 3.

116 ابن خلدون، *المقدمة*، تحقيق الدكتور عبد السلام الشدادي، خزانة ابن خلدون، بيت الفنون والآداب بالمغرب، الطبعة الأولى، 2005م، لابن خلدون 1 / 323

علـى الأمـة والتصـرف فـي أمورهم، علـى وجـه لا يكـون فـوق يـده يـد، احترازًا عـن القاضـي والمتولـي، فإنهما يتصرّفان في أمر الأمة ولكن يد الإمام فوق أيديهم" [117]، وبهذا يتبين أن الخلافة هو المنصب الأعلى في حكم الدولة الإسلامية، التي بيد صاحبها مقاليد الحكم والتصرُّف، وصاحب القوة الحقيقية في تسيير أمور الدولة.

2) وجوب الإمامة والنص عليها

أكثر الفرق الإسلامية تتفق على مبدأ ضرورة وجود خليفة أو حاكم أو إمام، يضـبط أمـور النـاس ويرعـى مصـالحهم، يقـيم الشـعائر الدينيـة ويحقـق المصـالح الدنيوية، وفي هذا يقول ابن حزم: "اتفق جميع أهل السنة، وجميع المرجئة، وجميع الشيعة، وجميع الخوارج على وجوب الإمامة، وأن الأمة واجب عليها الانقياد لإمام عـادل، يقـيم فـيهم أحكـام الله، ويسوسـهم بأحكـام الشـريعة التـي أتـى بهـا رسـول الله صلى الله عليه وسلم، حاشا النجدات من الخوارج فإنهم قالوا: لا يلزم النـاس فرض الإمامـة، وإنما عليهم أن يتعاطوا الحق بينهم"[118]، غير أن الخلاف بين فرق السنة والشيعة هو اعتبار هذا البحث من أصول الإيمان من عدمه وحول سمات هذا الإمام ونحوه، فبالنسبة لأهل السنة تعتبر مسألة الخلافة أو الإمامة ليست من أصول الدين، أما الشـيعة فالإمامــة بحـث أصـلي مـن أصـول الـدين، لـذا نـرى ابـن تيميـة (ت. 728هـ/1328م) حينمـا بـدأ فـي انتقـاد كتـاب ابـن المطهـر الحلِّـي (ت. 1325/726م)، قال في مقدمة نقض قول ابن المطهَّر الشيعي بأن الإمامة أهم أركان الإيمان، فوضَّح ابن تيمية أنها ليست أصلا من أصول الإيمان، وأن أصول الإيمـان هـي الإيمـان بـالله وبرسوله... إلـخ، وأن العبـادات العمليـة أهم أيضًـا مـن مسألة الإمامة كالصلاة والزكاة ونحوه.[119]

117 القاضي عبد الجبار، *شرح الأصول الخمسة*، 750.

118 ابن حزم، *الفصل في الملل والنحل*، (القاهرة: مكتبة الخانجي، دون تاريخ)، 145/4.

119 ابن تيمية، *منهاج السنة النبوية*، تحقيق محمد رشاد سالم، (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1986م)، 74/1.

3) معاني الخلافة والإمامة والسلطنة والإمارة

بدأت مسألة الخلاف في مسألة قيادة الأمة الإسلامية، بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام، حينما اجتمع الأنصار في بادئ الأمر في سقيفة بني ساعدة، واختاروا سعد بن عبادة رئيسًا عليهم، والتحق بهم ركبٌ من الصحابة على رأسهم عمر بن الخطاب وأبو بكر الصديق، واختُتم الأمر بتولّي أبي بكر لناصية الخلافة[120]، فنشأ لقب الخلافة مطلَقًا على أبي بكر الصديق، فسُمِّي الخليفة، ولم يستعمل هذا في حياة النبي عليه الصلاة والسلام بهذا المفهوم، وقد كان لقب الخليفة في حياة الصديق بمعنى أن أبا بكر هو خليفة رسول الله، وقيل له: خليفة رسول الله، ثم لما مات أبو بكر وخلفه عمر بن الخطاب قيل: خليفة خليفة رسول الله، فلما استثقل الناس ذلك أُطلق عليه بطريقةٍ ما "أمير المؤمنين" واستحسنه الناس وظلّ دارجًا[121]، ومن هنا ظهر لنا لقبٌ آخر هو "أمير المؤمنين"، وهذا إن دلَّ على شيء فإنه يدلُّ على أن المجتمع الإسلامي كانت لديه مبادئ عامة واضحة مثل الشورى والعدالة وإقامة شرع الله ونحوها، هذه المبادئ إذا توفّرت في الحاكم وفّى الحاكم غرضه، أيا كان اسم هذا الحاكم سواء كان خليفة أو أمير المؤمنين، والنبي لم يترك قبل موته للمسلمين وصية يصف فيها الشكل الواضح التفصيلي للحكم من بعده، بل كان الأمر عودًا لهذه المبادئ التي ذكرناها.

---

120 انظر الحادثة بتفصيلها في؛ محمد بن إسماعيل البخاري، *الجامع الصحيح*، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، (بيروت: دار طوق النجاة، 1422هـ)، الحديث رقم 6830.

121 يروي ابن سعد في طبقاته قائلا: "أنه لما مات أبو بكر رضي الله تعالى عنه وكان يُدْعَى خليفة رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قيل لعمر: خليفة خليفة رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، فقال المسلمون: من جاء بعد عمر قيل له: خليفة خليفة خليفة رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فيطول هذا، ولكن اجتمعوا على اسم تدعون به الخليفة، يدعى به من بعده من الخلفاء، قال بعض أصحاب رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: نحن المؤمنون وعمر أميرنا، فدعي عمر (أمير المؤمنين) فهو أول من سمي بذلك"، ابن سعد، *الطبقات الكبرى*، تحقيق إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، دون تاريخ)، 290/3.

بعد موت عمر تولّى عثمان ومن بعده عليٌّ ثم معاوية، ونشأ خلاف على الحكم زُهقت من أجله أرواح وسالت دماء، حتى قال الشَّهْرَستاني 1153/548: " وأعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة، إذ ما سُلَّ سيفٌ في الإسلام على قاعدة دينية، مثل ما سُلَّ على الإمامة في كل زمان".[122]

كلّما تضاعف هذا الخلاف تضاعفت معه الأسماء والألقاب التي صاحبت الحاكم، فواقعيًّا قد صاحب هذا الخلاف ألقابٌ أُخرى كثيرة، وبتأخر الزمان زادت هذه المترادفات، فمع الإمامة يوجد لقب الخلافة وأمير المؤمنين، ثم نشأ بعد ذلك ألفاظ كثيرة كالسلطان والإمارة والمملكة وغيرها[123]، ويبدو أن لفظ الخلافة كان خاصًّا بأهل السنة- وإن ورد في كتب السنّة لفظ الخلافة والإمامة الكبرى واستعمال كلٍّ منهما مكان الآخر، فقد أطلق على أبي بكر الصدِّيق من هذا الباب، أمَّا لفظ الإمامة فعلى تفسير ابن خلدون أن الشيعة خصَّوا عليًّا بهذا اللقب "الإمامة"- والتي هي أخت الخلافة- تعريضًا بمذهبهم في أنه أحق بالإمامة من أبي بكر وسائر من أتى بعده، ويرى ابن خلدون أن لقب الإمام كان لقبًا مؤقتا قبل أن يكون الإمام في موقع السلطة، فإذا انتقل الإمام من موقع المعارضة الخفية إلى موقع السلطة، واستولوا على الدولة؛ حوّلوا هذا اللقب من إمام إلى أمير المؤمنين، وضرب مثالا على ذلك شيعة بني العباس وغيره.[124]

---

122 الشهرستاني، *الملل والنحل*، (القاهرة: مكتبة الخانجي، دون تاريخ) 22/1.

123 انظر في ذلك: ابن خلدون، *المقدمة*، 409/1، وأشار ابن خلدون هناك إشارة دقيقة حينما قال بعد ذكر الخليفة والإمام: "وسماه المتأخرون سلطانا حينما فشا التعدد فيه، واضطروا بالتباعد وفقدان شروط المنصِب إلى عقد البيعة لكل متغلِّب" المقدمة 366/1، وهذا ينطبق أيضًا على سائر الألقاب التي انتشرت في التاريخ الإسلامي كما هو مثبت أعلاه كالمملكة والإمارة ونحوه.

124 ابن خلدون، المقدمة، 409/1، 410، وانظر: محمد عمارة، *الإسلام وفلسفة الحكم*، (القاهرة: دار الشروق، 1989م)، ص 28.

4) الشروط الواجب توفّرها في الخليفة

ذكر المتكلمون والفقهاء شروطًا لمن يتولّى أمر رياسة الأمة، من بينهم الماوردي الذي ذكر في كتابه شروط الإمام سبعة، من بينها العدالة والعلم وسلامة الحواس والأعضاء والرأي المفضي إلى سياسة الرعية والشجاعة ونحوه، وأخيرًا النسب، وقال بأن نسب الخليفة لابد أن يكون من قريش، فقد ورد النص بذلك عن النبي عليه الصلاة والسلام: "الأئمة من قريش"، وانعقد الإجماع عليه[125]، وكذلك الأمر عند ابن حزم (ت. 456هـ/1064م) الذي ادّعى تواتر الحديث الوارد في هذه المسألة[126]، والباقلاني (ت. 402 هـ/1013م) الذي أشار أثناء تحدثه عن شروط الإمام قائلا: "يجب أن يكون على أوصاف منها أن يكون قرشيًا في الصميم".[127]

وادّعاء الماوردي- وغيره كثير- الإجماع على هذا الشرط، ناقضه ما ورد عن فريق من المتكلمين الذين يرون بأن توفّر هذا الشرط ليس ضروريًّا فيمن يتولّى أمر المسلمين، وقد ذكر منهم الماوردي المعتزلي ضرار بن عمرو (ت. 200هـ/815م)[128]، وغيره من المعتزلة والخوارج[129]، ولم يقتصر الأمر على الفرق غير السنية، بل رأى بعض متكلمي السنة إشكالية حقيقية في هذا الحديث وتواتره-

---

125 الماوردي، *الأحكام السلطانية*، (القاهرة: دار الحديث، دون تاريخ)، ص 20.

126 ابن حزم، *الفصل*، (القاهرة: مكتبة الخانجي، دون تاريخ)، 74/4.

127 الباقلاني، التمهيد، 181، وقد قال الباقلاني -مع من قال- بوجوب قرشية الإمام، في أكثر من موضع في كتبه، غير أن ابن خلدون قد نسب القول بعدم اشتراطية قرشية الخليفة للباقلاني فقال: "*من القائلين بنفي اشتراط القرشيّة القاضي أبو بكر الباقلانيّ لما أدرك عليه عصبيّة قريش من التّلاشي والاضمحلال واستبداد ملوك العجم من الخلفاء فأسقط شرط القرشيّة، ومن هنا اشتُهر نسبة هذا القول للباقلاني في أكثر من موضع، وما وصلنا من كتب الباقلاني تشير إلى أنه يقول بقرشية الخليفة كالجمهور*"، انظر: التمهيد، 181، وذكر في الموسوعة الفقهية: " وخالفهم في ذلك أبو بكر الباقلاني وجماعة من العلماء واحتجوا بقول عمر: لو كان سالم مولى أبي حذيفة حيًّا لوليته"، *الموسوعة الفقهية*، صادر عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، (الكويت: دار السلاسل، 1404هـ) 219/6.

128 رامي محمود، قراءة في كتاب التحريش لضرار بن عمر الغطفاني 200-815، *مجلة كلية الإلهيات جامعة استانبول*، 2016، 281.

129 ابن حجر العسقلاني، *فتح الباري شرح صحيح البخاري*، (بيروت: دار المعرفة، 1379هـ)، 119/13.

حديث الأئمة من قريش- وادّعاء الإجماع على المسألة، منهم إمام الحرمين الجويني (ت. 478هـ/1085م) الذي أشار إلى أن المسألة ليس لها تبريرًا عقليًّا، بل هو تخصيص من الله لقريش بهذا الشرف، رغم اعترافه بأن الحديث حديث آحاد لا يفيد العلم باشتراط النسب القرشي على مذهبه[130]، وصرّح في كتابه الإرشاد باحتمال عدم ضرورة هذا الشرط في الإمامة، فقال: "ومن شرائطها عند أصحابنا أن يكون الإمام من قريش... وهذا مما يخالف فيه بعض الناس، وللاحتمال فيه عندي مجال، والله أعلم بالصواب"[131]. وكذلك استشكل هذا الإجماع والتواتر المدَّعى الآمديُّ (ت. 631هـ/1233م) ففعل قريبًا مما فعله الجويني؛ قرَّر شرط قرشية الإمام في كتابه "الأبكار" على بيانٍ منه بتحرُّجه قائلا: "ولولا انعقاد الإجماع على ذلك لكان الشرط في محل الاجتهاد"، ثم يعود ليتخلّص من هذا التحرّج كليًا في كتابه "غاية المرام" قائلا: "ولَعَمْري إن مثل هذا الشرط واقع في محل الاجتهاد"[132]، وكذلك قال ابن حَجَر العَسْقَلاني (ت. 852هـ/1449م)، الذي رأى بأن من يدّعي الإجماع في هذا الشأن عليه أن يفسّر بعض الروايات التي جاءت خلاف ذلك، من بينها ما جاء عن عمر بن الخطاب حين موته، فأشار إلى أن من نقل الإجماع في هذا الشأن كأنه في ورطة سيحتاج إلى تأويل أخبار أخرى جاءت مناقضة لهذا الأخبار، يقول: " قلتُ: ويحتاج مَنْ نقل الإجماعَ إلى تأويل ما جاء عن عمر من ذلك؛ فقد أخرج أحمد عن عمر بسند رجاله ثقات أنه قال: "إن أدركني أجلي وأبو عبيدة حي استخلفته"، فذكر الحديث وفيه "فإن أدركني أجلي وقد مات أبو عبيدة استخلفت معاذ بن جبل" الحديث، ومعاذ بن جبل أنصاري لا نسب له في قريش"، ثم ذكر تأويلا مناسبًا لهذا؛ "فيحتمل أن يقال لعل الإجماع انعقد بعد

---

130 الجويني، *غياث الأمم في التياث الظلم*، تحقيق عبد العظيم الديب، (القاهرة: مكتبة إمام الحرمين، 1401هـ)، ص 81.

131 الجويني، *الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد*، تحقيق: أحمد عبد الرحيم السايح وتوفيق على وهبة، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 2009)، 328.

132 حسن الشافعي، *الامدي وآراؤه الكلامية*، (القاهرة: دار السلام، 1998)، 508.

عمر على اشتراط أن يكون الخليفة قرشياً، أو تغير اجتهاد عمر في ذلك والله أعلم".[133]

5) قرشية الخليفة وتاريخية المسألة

التنازع على لقب الخلافة

تبين لنا من النُّقُول المختصرة لآراء السَّابقين بخصوص اشتراطية قرشية الإمام الخليفة، أنه رغم أن الجمع الغفير كان متفقًا على شرط قرشية الإمام، كان ثمة فريقًا من العلماء المسلمين ذي الأسماء الثقيلة، لم يقنعهم هذا النقل، وصرّحوا بأن الأمر فيه أخذٌ وعطاء، وقد احتُجَّ بجانب ما ذُكِر من حديث عمر، بحديث النبي عليه الصلاة والسلام: " اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل حبشي كأن رأسه زبيبة "[134]، فاستُدلَّ بهذا الحديث على أن الخليفة قد يكون عبدًا حبشيًا غير ذي قيمة بين الناس، وهذا ما حدث في كثير من الأزمان من التاريخ الإسلامي.

إننا لو انتقلنا إلى الواقع التاريخي للأمة الإسلامية على مر عصورها، سنجد أن مسألة قرشية الخليفة قد تحققت في فترات قليلة من التاريخ الإسلامي، من الممكن أن نطبق ذلك على دولة الخلافة الراشدة، لكن كلما تأخر الزمن تنوّع شكل نظام الحكم، ويشمل ذلك ما يطلق على رأس هذا النظام من أسماء وألقاب، فبنظرة عامة سنجد أن هناك أناسًا قد حكموا في التاريخ الإسلامي ليسوا من نسل قريش فقط، بل لم يكونوا عربًا بالأساس، كدولة المماليك في مصر على سبيل المثال، ومن المعلوم أن أمر الخلافة العباسية قد تحوّل في آخر عهوده إلى رمزٍ ليس أكثر، فكان الخليفة العباسي لا حول له ولا قوة، وإنما يأتي من يأتي إلى الحكم

133 ابن حجر، *فتح الباري*، 119/13.

134 البخاري، صحيح البخاري، رقم 693.

بالغلبة، ثم يذهب إلى الخليفة العباسي فيعترف الخليفة العباسي به، راضيًا أو مرغمًا، ثم يكون حكمًا على المسلمين.

هذا بالرغم من أن سلاح "الأئمة من قريش" قد استخدِم في مراحل عدة من التاريخ الإسلامي، ومن الأمثلة المشهورةِ على هذا، مجيء الفاطميين من المغرب الأوسط، إلى مصر، وإعلانهم الدولة الفاطمية التي بدأت في التوسّع والتوغّل حتى أصبحت تهدد أنحاء الشام، وسيطرت على أجزاء من الحجاز، وهنا تستخدم الخلافة العباسية سلاح النسب، كي تثبت أن الدولة الفاطمية ليست خلافة شرعية، ذلك لأن من يتولّى أمرها ليسوا من نسل قريش، نستطيع أن نذكر هنا المحضر الذي كتب بأمر الخليفة العباسي القادر بالله 402هـ/1011م- 422هـ/1031م وقد كان هذا الخليفة قويًا ناصرًا لطرف أهل السنة، وشحذ كثيرًا من العلماء والأشراف كي يمضوا على هذا المحضر، وظل له الأثر البالغ لمن جاء بعده[135]، وقد أشار

---

135 ابن الجوزي، *المنتظم في تاريخ الملوك والأمم*، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية الطبعة الأولى، 1412هـ/1992م) 82/15، وقد ذكر في السنة السابقة على عمل المحضر مباشرة أن أبا المنيع قرواش بن المقلد –وقد كان حاكما للموصل والكوفة وشقي الفرات- جمع أهل الموصل وأظهر عندهم طاعة الحاكم بأمر الله الفاطمي وأظهر لهم الدعوة إلى الفاطمية وعرض عليهم قبول ذلك، فقبلوا منه، مما يبين أن هذه السنوات كانت تشهد نشاطا ملحوظا لدعاة الفاطمية مما أدى إلى ردة فعل قوية من قبل الطرف السني سواء أكان أشعريا أو حنبليا. انظر المنتظم 74/15-77، وقد صور هذا الذهبي أيضا في السير قائلا: "*وفي هذا الوقت انبثت دعاة الحاكم –يعني الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي- في الأطراف، فأمر القادر بعمل محضر يتضمن القدح في نسب العبيدية وأنهم منسوبون إلى ديصان بن سعيد الخرمي، فشهدوا جميعا أن الناجم بمصر منصور بن نزار الحاكم حكم الله عليه بالبوار، وأن جدهم لما صار إلى الغرب تسمى بالمهدي عبيد الله، وهو وسلفه أرجاس أنجاس خوارج أدعيء، وأنتم تعلمون أن أحدا من الطالبيين لم يتوقف عن إطلاق القول بأنهم أدعياء، وأن هذا الناجم وسلفه كفار زنادقة، ولمذهب الثنوية والمجوسية معتقدون، عطلوا الحدود، وأباحوا الفروج، وسفكوا الدماء، وسبوا الأنبياء، ولعنوا السلف، وادعوا الربوبية، وكتب في المحضر الشريف الرضي، والشريف المرتضى، ومحمد بن محمد بن عمر، وابن الأزرق العلوي، والقاضي أبو محمد بن الأكفاني، والقاسم أبو القاسم الجزري، والشيخ أبو حامد الإسفراييني، وأبو محمد الكشفلي وأبو الحسين القدوري وأبو علي بن حمكان*"، سير أعلام النبلاء، حقق بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، (بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، 1405هـ/1985م) 132/15، وهذا النشاط الفاطمي لم يقتصر على هذه الفترة، بل امتدّت للفترات التي تليها، كما سيأتي لاحقًا من تدخل السلطان السلجوقي طغرل بك وسعيه لوقف المد الفاطمي وتهنئة الخليفة العباسي له.

الجويني أثناء بحثه مسألة الأئمة من قريش، إلى هؤلاء الفاطميين- المارقون في فسطاط مصر - الذين ادّعوا نسبًا لهم، فنشروا الضلالة واقتحموا المهاوي والمعاطب[136]، والغزالي ت. 1111/505 ذكره هنا ضروريٌّ؛ فتأليفه لفضائح الباطنية كان من هذا الباب، دعمًا للخلافة العباسية ومحاولة لإسقاط الدولة الفاطمية.[137]

وأيًا ما كان الأمر، فإن مثل هذه النقاشات باتت في حيّزها النظري لا تخرج منه، وكانت الكلمة أولًا وأخيرًا للسلطان المتغلّب، الذي كان خيارًا ثانيًا لجميع المتكلمين في حديث "الأئمة من قريش"، فإذا لم يتوفّر في الإمام المتغلّب أن يكون نسله من قريش، فله الحكم بحكم تغلّبه.

انتقال الأمر إلى العثمانيين

تعتبر دولة السلاجقة هي الدولة التي نشأت عنها الإمبراطورية العثمانية، وأشهر الحكّام السلاجقة هو طُغْرُل بك بن سَلْجُوق ت. 1063/455، الذي يعتبر المؤسس الحقيقي لدولة السّلاجقة، وتعدُّ سنة 1055/447 سنة فاصلة؛ بحيث استطاع طُغْرُل بك إنهاء الحكم البويهي، وأعلن تبعية السّلاجقة للخلافة العبّاسية،

136 الجويني، *غياث الأمم*، 81.

137 لا ننسى هنا أن الغزالي قد ألف كتابه هذا *فضائح الباطنية* بأمر من الخليفة المستظهر بالله 512/ 1118 ، والكتاب يسمّى المستظهري أو فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية، وجعل الغزالي الباب التاسع من كتابه معنونًا "في الدلائل والبراهين على صحة إمامة الخليفة العباسي المستظهر بالله"، فضائح الباطنية ص 487-512، *"الباب التاسع في إقامة البراهين الشرعية على أن الإمام القائم بالحق الواجب على الخلق طاعته في عصرنا هذا هو الإمام المستظهر بالله حرس الله ظلاله*"، هذا الدعم الديني للسياسة القائمة لم يقتصر على الطرف السني، بل كان الطرف المضاد له في عصره هكذا بل أكثر، فالفاطميون كانوا أئمة إسماعيلية يُعتَقد فيهم العصمة الخالصة التي تشبه عصمة الأنبياء، وقد ألف غير واحد من الدعاة الإسماعيلية رسائل لدعم الدولة الفاطمية، كما فعل الداعي الإسماعيلي الكرماني حينما ألف رسالته في الإمامة المسماة بالمصابيح، فقد ألف هذه الرسالة خصيصًا لتأييد سلطة الحاكم بأمر الله وإضفاء الشرعية عليها، ولكي يثبت ذلك ابتدأ أولا بإثبات وجود الله ثم الرسالة ثم الإمامة، ومن ثَمَّ إثبات صحة إمامة الحاكم بأمر الله، انظر: حميد الدين الكرماني، *المصابيح في إثبات الإمامة*، تحقيق مصطفى غالب، (بيروت: دار المنتظر، 1996)، 14، 15.

وقد كان احتفل به الخليفة العبَّاسي احتفالا لا مزيد عليه، فاستطاع أن ينتصر على أرسلان البسَاسيري 1060[138]،ومن ثم كان لطغرل بك الدعم الديني واعترافه بالخلافة العباسية والتبعية لها، وهكذا كان السلاطين السلاجقة يقرِّون بتبعيتهم للخلافة العباسية، ولم ترد منهم أي محاولة لإلغاء هذه الخلافة أو انتسابها لأنفسهم.[139]

بلغ الحكم العثماني أوج قوته في عهد السلطانيين ياوز سليم الأول 1520 وابنه سليمان القانوني 1566، وقد شنَّ سليم الأول حملات لضمِّ مصر تحت الإدارة العثمانية حتى نجح أخيرًا، وانتهي الصراع والتنافُس السِّياسي بين المماليك والعثمانيين في موقعتي مَرْج دَابِق 1516/922 والرِّيدَانية 1517/922، وأخذ سليم الأول جمعًا ممن كان في مصر ونفاهم إلى إستانبول، من أصحاب الصناعات، وممن يُخشى منهم القلاقل والاضطرابات، وكان على رأس هؤلاء الخليفة العباسي، فاستولوا على الخليفة المتوكِّل على الله، وذلك لكي يستفيدوا من مكانته عند الناس، ويستغلّوا ذلك في القبض على طومان باي، وقد استمرّ السعي في القبض على طومان باي، حتى تمَّ ذلك وقُتِل في مارس 1517.[140]

ومنذ هذا الوقت نشأ جدال في الأوساط الفكرية حول ما إذا تسلّم سليم الأول الخلافة بشكل رسمي أم لا ؟ وهل يُطلَق على سليم الأول لقب إمام وخليفة ؟، وقد

---

138 أبو الحارث أرسلان البساسيري من المماليك الأتراك الذين أصبحوا فيما بعد أحد القادة المهمين في آخر عهود الدولة البويهية، استطاع الخليفة الفاطمي المستنصر بالله 1094/487 أن يستميله بالأموال والذخائر فثار على الخليفة العباسي، وأقام الخطبة للمستنصر بالله لمدة عام 1058/450، انظر: الذهبي، *العبر في خبر من غبر*، (بيروت: دار الكتب العلمية، دون تاريخ)، 289/2.

Erdoğan Merçil, *Besâsîrî*, TDV İslâm Ansiklopedisi,(İstanbul, 1992), c.5, s. 528,529.
Ferhad Deftary,*The Ismailis Their History and Doctrins*, (New York, 2007), 195,196.

139 Casim Avci, *Hilâfet*, TDV İslâm Ansiklopedisi, c.17, s.541

140 ابن إياس، *بدائع الزهور*، 77/5-148، والمجلد الخامس من تاريخ ابن إياس يحمل أهمية خاصة في فترة الدخول العثماني لمصر؛ فابن إياس قد شهد هذه الفترة بنفسه، وسجل كثيرا من أحداثها، وتعقّب كل ذلك من قريب، وسجّله يومًا بيوم، وباعتبار أن ابن إياس ينتمي في نسبه للأمراء المماليك، فإن انتقاداته وما ذكره تجاه العثمانيين، يعطينا إمكانية لفهم كيف كان تفكّر النُّخب في القطر المصري تجاه الدخول العثماني.

انتشرت حادثة في العصور التالية على عهد سليمان القانوني، هذه الحادثة مفادها أن سليم الأول قد تسلَّم أمر الخلافة بشكل رسمي من الخليفة العباسي المتوكل. ونشأ خلاف بين الباحثين حول هذه الحادثة وصحة وجودها، فأوزون تشارشلي Uzunçarşılıيرى بأن سليمًا قد تسلَّم الخلافة من الخليفة العباسي عن طريق حفل رسمي، واعتبارًا من ذاك الوقت حتى أربعة قرون عُرف السلاطين العثمانيين بين المسلمين بالخلفاء، أما خليل إنالجيك Halil İnalcık فإنه يقول بأن مسألة انتقال الخلافة من آخر خليفة ذي نسل عباسي إلى سليم الأول في شكل حفل رسمي؛ ترجع إلى رواية مُختَرَعة انتشرت في القرن الثامن عشر، وإن هناك دلائل على اكتفاء ياوز سليم بلقب "خادِم الحَرَمين الشَّرِيفين"، وقد أفرد فاروق سُومَر Faruk Sümerهذه المسألة بالبحث والتحليل، فبحثها من خلال النظر في المصادر القديمة والحديثة في دراسة مستقلة، وخلُصَ من المسألة قائلا: "لم يرد في أي من مصادر معاصرة لفترة ياوز سليم، أي معلومة متعلقة بأنه كحاكم عثماني أثناء مجيئه إلى مصر، تسلّم الخلافة بشكل رسمي من آخر خليفة عباسي المتوكل على الله محمد، بل إن المصادر التركية المعاصرة لحادثة سفر سليم إلى مصر والتي تناولت الأمر؛ كالفتح نامات fetihnameler والروزنامات ruznameler والوقائع ناماتvakayinameler ، مثل هذه المصادر التركية وغيرها لم يرد فيها ذكر ياوز سليم كخليفة على الإطلاق، وذلك يدلُّ على عدم أهمية التلقُّب بلقب الخليفة في تلك المصادر، وكما هو معروف فقد نُفِي الخليفة مع مصريين آخرين إلى إسطنبول، ووفقًا لبعض الروايات بعضها تقول بجامع السلطان أيّوب وأخرى تقول بجامع آيا صوفيا؛ أن الخليفة شرع في تسليم الخلافة بشكل رسمي في حفل مَهيب، ثم أُودِع في حبس يدي قلعه Yedikule، جزاء ما اغتصبه من الأموال والنقود."[141]

141 أفرد فاروق سومر هذه المسألة في بحث مستقل، كما تناولها غيره من الباحثين، ينظر:
Faruk Sümer, *Yavuz Selim Halifeliği Devraldı mı?*, Belleten, Aralık 1992.

بغض النظر عن هذه الحادثة، فإننا نرى أن سليم الأول لم يكن يرى في نفسه أنه خليفة، بل كان مأذونًا له من الخليفة، كبقية السلاطين والأمراء الذين في عهده، وقد جاء هذا نصًّا في خطابه الذي نقله لنا ابن إياس- شاهد العيان على أحداث دخول العثمانيين في مصر- فقد قال بأن الخطاب الذي أرسله سليم الأول إلى طومان باي قد أشيع في أرجاء مصر وسبَّب قلاقلَ واضطرابات عميقة، وأشار ابن إياس إلى أن هذا الخطاب قد جاء غالب ألفاظها باللغة التركية، كما نقله لنا بالعربية مخاطبًا طومان باي ما يلي: "من مقامنا السعيد إلى الأمير طومان باي، أما بعد فإن الله تعالى أوحى إليّ بأن أملك الأرض والبلاد من المشرق إلى المغرب كما ملكها الإسكندر ذو القرنين"... وكذلك نقل ابن إياس- وهو ما يهمنا هنا- ما يشير إلى أن سليم قد أخذ الإذن من الخليفة قائلا: "وقد تولّيتُ المُلْكَ بعهدٍ من الخليفة ومن قضاة الشرع"[142]، هكذا قال سليم بنفسه أنه قد أخذ إذنًا من الخليفة بتولّي الملك.

إننا نرى استعمال كلمة الخلافة مِن قِبَل مَنْ حول السلاطين مِن العلماء والقضاة وغيرهم، على الأقل يمكن القول بأن هذا الاستعمال قد اشتهر بعد وفاة سليم الأول[143]، أي في عهد سليمان القانوني، فنرى بأنه ابتداءً من ذلك الوقت اتخذ اللقب صفته الشرعية وثقله المعنوي الديني؛ إذ لم يعد للخليفة العباسي لا ذكر ولا وجود، والأمثلة على هذا كثيرة جدًّا، من بينها على سبيل المثال لا الحصر، أبو السعود أفندي (982هـ/1574م) وهو أحد أقطاب الدولة العثمانية، وقد عمل في وظيفة شيخ الإسلام، وكان على رأس جهاز الإفتاء والمؤسسة الدينية في الدولة

Ramazan Yıldırım, *20. Yüzyıl İslam Dünyasında Hilafet Tartışmaları*, (Ankara: Ankara Yayınları,2004), 35.

142 ابن إياس، *بدائع الزهور في وقائع الدهور*، (القاهرة: نشر محمد مصطفى، 1961) 124/5.

143 أشار عزمي أوزجان إلى أن لقب الخليفة استعمل من قبل السلاطين العثمانيين ابتداء من السلطان مراد الأول وحتى سليم الأول، وأحال إلى عدة مراجع انظرها هناك، لكن السؤال هنا هل كانت كلمة الخليفة تستعمل بمعناها وثقلها الديني والسياسي ذلك الوقت؟، انظر: Azmi Özcan, *HİLÂFET*, TDV İslâm Ansiklopedisi, C. 17, s.564.

العثمانية ما يربو على الثلاثين عامًا، فها هو حينما يؤلف تفسيره الكبير المسمى بـ "إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم"، يهديه إلى السلطان سليمان القانوني قائلا في مقدمته العربية الفصيحة، وهو يضفي على القانوني أنواعًا من المدح والثناء:

"قاصم القياصرة وقاهر القروم، سلطان العرب والعجم والروم، وسلطان المشرقين وخاقان الخافقين، **الإمام المقتدر بالقدرة الربانية، والخليفة المعتز بالعزة السبحانية، المفتخر بخدمة الحرمين الجليلين المعظمين**، وحماية المقامين الجميلين المفَخَّمَين، ناشر القوانين السلطانية، عاشر الخواقين العثمانية، السلطان ابن السلطان السلطان، سليمان خان بن السلطان المظفر المنصور والخاقان الموقر المشهور صاحب المغازي المشهورة في أقطار الأمصار والفتوحات المذكورة في صحائف الأسفار، السلطان سليم خان بن السلطان السعيد والخاقان المجيد السلطان بايزيد خان، لا زالت سلسلة سلطنته متسلسلة إلى انتهاء سلسلة الزمان، وأرواح أسلافه العظام متنزهة في روضة الرضوان".[144]

فقد تضمنت هذه الألقاب التي خلعها الرجل على السلطان سليمان القانوني لقب الخليفة والإمامة، وأردف أبو السعود أفندي هذا اللقب بأنه خادم الحرمين الشريفين، فهو يستحق هذا اللقب عن جدارة، ولا شك أن استعمال أبي السعود لهذا يدلُّ على شيوع استعمال لقب الخليفة، بجانب هذا فإن ثمة وثائق عدة أشارت إلى سليمان القانوني مُشفَّعة اسمه بلقب الخليفة.[145]

أخيرًا ثمة رأي معتبر يتعلق بلقب الخليفة واستعماله من قبل السلاطين العثمانيين؛ يفيد بأن لقب الخليفة لم يكن يستعمل بشدة وبكثرة من طرف الحكام العثمانيين في أوج قوة الإمبراطورية العثمانية، إذ لم يكن هناك احتياج لاستعماله في تلك الفترات، فكانت شرعية القوة وبسط السلطان مصطحبة معها الشرعية

144 أبو السعود أفندي، *إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم*، (بيروت: دار إحياء التراث، دون تاريخ)، 5/1.
145 Azmi Özcan, *Hilâfet*, s.564.

الدينية الضمنية للقائم على الحكم، لكن مع ضعف الإمبراطورية العثمانية لجأ الحكّام إلى مثل هذه الألقاب لتثبيت حكمهم وسيطرتهم على جموع المسلمين بعد تعرّض الإمبراطورية لهزّات عسكرية وسحب أراضٍ من تحت سيطرتهم، لقد حدث هذا الأمر على سبيل المثال في عهد السلطان عبد الحميد الأول، وقد أشار نلينو C.A. Nallino [146] إلى أن عبد الحميد الأول قد استعمل مثل هذه الألقاب أثناء المراسلات التي حدثت بينه وبين كاثرين الثانية إمبراطورة روسيا لمعاهدة كوتشوك كاينارجي[147] Küçük Kaynarca Antlaşması في 21 يوليو 1774، كما دعم هذا الرأي غير واحدٍ من الباحثين الأتراك.[148]

التعريف برسالة " خلاص الأمة في معرفة الأئمة "

ثارت مسألة قرشية الخليفة أو الإمام في عهد السلطان سليمان القانوني، فانبرى الصدر الأعظم لطفي باشا كي يناقش هذه المسألة في رسالة مستقلة، وهي "خلاص الأمة في معرفة الأئمة"، وقد قال في مقدمتها موضِّحًا الغرض الرئيس من هذه الرسالة:

"هذه رسالة مرتبة في بيان كيف يكون حالة الأمة، من بعد الخلفاء العباسية إلى الآن، ومن بعدُ، وهل يجوز إطلاق اسم الإمام والخليفة للسلاطين إذا كانوا من غير قريش؟"[149]

وقد عمَد لطفي باشا إلى تأليفها بالعربية، لأن المخاطبين بهذه الرسالة في المقام الأول هم العرب، فالمشكلة أثيرت في أوساط عربية، والخليفة كان عربيًّا،

146 C.A. Nallino, Notes on the Nature of the “Caliphate” in General and on the Alleged “Ottoman Caliphate”. Rome, 1919, 16.

147 انظر تفاصيل هذه المعاهدة: محمد فريد، تاريخ الدولة العثمانية العلية، (القاهرة: مؤسسة هنداوي، 2012)، 234

148 انظر هذا الرأي بتوسُّع:

Ramazan Yıldırım, *20. Yüzyıl İslam Dünyasında Hilafet Tartışmaları*, 66-70.

149 الصدر الأعظم لطفي باشا، *خلاص الأمة في معرفة الأئمة*، دراسة وتحقيق الدكتورة ماجدة مخلوف، (القاهرة: دار الآفاق العربية، القاهرة، 2001)، 38.

والشرط الذي هو محل النقاش، هو عربية أصل الخليفة من غيره، فللطفي باشا مؤلفات أخرى بالتركية[150]، وقد كتب هذه الرسالة في مرحلة متأخرة من حياته، كما أثبت ذلك في آخر المقدمة سنة 961 هجرية.[151]

وقد نالت الرسالة اعتناء باحثين؛ من بينهم جِبّ في بحثه Lutfi Paşa on the Ottoman Caliphate [152]، وأصدر منها أجزاء باللغة الإنجليزية، وكذلك عمل على الرسالة خلوصي ياوز Hulusi Yavuz [153]، وقد قدّم الرسالة في مؤتمر أولا ثم اشتغل عليها ونشرها في قسم مستقل من كتابه Osmanlı Devleti ve lslamiyet[154]، وقد نشرت الرسالة بالعربية "ماجدة مخلوف" مع دراسة تضمنت حياة لطفي باشا والمراجع التي استقى منها كتابه وغيره، وكذلك عمل عليها ونشرها مترجمة بالتركية في رسالته لنيل الماجستير محرم جحجا Muharem Jahja[155]، كذلك أشار إليها باحثون كثُر لم يفردوها بالبحث بل في كتبهم سواء للتاريخ أو من ناقش منهم مسألة الخلافة وانتقالها للعثمانيين.

150 انظر على سبيل المثال، من مؤلفات لطفي باشا باللغة التركية العثمانية: لطفي باشا، *آصف نامه*، تحقيق رودلف تشودي، برلين 1910، باللغة العثمانية.

151 لطفي باشا، خلاص الأمة، 68.

152 Oriens, Vol. 15 (Brill, 1962), pp. 287-295

153 *Hulusi Yavuz, Sadrıazam Lütfi Paşa Ve Osmanlı Hılafeti*, Marmara Üniversitesi, İlahiyat Fakültesi Dergisi, Sayı 5-6, 1987-1988.

154 Hulusi Yavuz, *Osmanlı Devleti ve lslamiyet* , (İstanbul: lz Yayıncılık, 1991), s. 73.

155 Muharem Jahja, Lutfi Paşa'nın Halasü'l-Ümme Fi Ma'rifeti'l-E'imme Risalesi'nin tahkik, tahlil ve tercümesi, Yüksek Lisans Tezi, 2003.

لغة الرسالة

تعتبر لغة الرسالة التي كتبها لطفي باشا، لغة سهلة واضحة، لم تتسم بالانسيابية أو التعمّق[156]، في الوصف والرسم، بل كانت جملًا بسيطة واضحة، وأثناء كتابته بالعربية وقع في بعض الأخطاء النحوية، كقوله في المقدمة "ناصر إلى دين الله"، والصواب "ناصر دين الله"[157]، واستعمال الياء بدل من التاء في قوله: "فامتثلت بالتماسهم الجلية العلية، وتتبعت الكتب المعبرة، التي يفرق بين الحق والباطل"[158]، وكذلك إضافة أل التعريف في غير موضعها منها؛ "الفتاوى القاضي خان" والصواب "فتاوى قاضي خان"[159]، كما سار بعد ذلك في أمثاله، وقوله: "ولا من هاشمي" والصواب "ولا من هاشم" أو "ولا هاشمي"[160]، وهذه الأخطاء ليست بكثيرة مقارنة مع ما كتبه بالعربية.

إثارة المشكلة بين أوساط العرب "هل السلطان العثماني خليفة وإمام أم لا؟!"

لقد أشار لطفي باشا إلى أن جماعة من "أشرف الأشراف لدفع الشبهة وإزالة الشك وتحصيل اليقين، ومنهم بعض الفضلاء لأجل الإلزام، احتجاجًا بقول عمر النسفي وسعد الدين التفتازاني"[161]، وقوله هذا يدل على أن مثل هذه المسألة أُثيرت بين أوساط علمية، وقد قالوا بأن أمر الأمة الإسلامية ليس واضحًا بعد الخلفاء العباسية؟، وذلك لأن الأئمة من قريش، ثم أشار بالتحديد إلى قول عمر النسفي (ت.537هـ/1142م) والتفتازاني (ت. 792هـ/1390م)، وكلا الرجلين كانت وفاته

---

156 قارن مثلا لغة لطفي باشا، بلغة أبي السعود أفندي التركي، في تفسيره إرشاد العقل السليم، وكلاهما قد عاش في نفس الفترة الزمنية، هذا مع التنويه على أن لطفي باشا كان يعمل كوزير أعظم في الدولة العثمانية، أما أبو السعود فقد كان يعمل بوظيفة شيخ الإسلام، يعطي الفتاوى ويرتب قوانين الدولة المستندة على الأوامر الدينية.

157 لطفي باشا، *خلاص الأمة*، 37.

158 لطفي باشا، *خلاص الأمة*، 39.

159 لطفي باشا، *خلاص الأمة*، 39.

160 لطفي باشا، *خلاص الأمة*، 45.

161 لطفي باشا، *خلاص الأمة*، 38.

متقدّمة على التوسّع العثماني الذي حدث بمجيء السلطان ياوز سليم (ت. 926هـ/1520م) وابنه السلطان سليمان القانوني (ت. 973هـ/1566م)، لكن اختيار لطفي باشا- وفي الغالب المرجع الذي كان يقصده هو شرح العقائد النسفية للتفتازني- يدل على أن التفتازاني وشرحه لعقائد النسفي كان مرجعًا لكثير من المتفقهين في ذاك العصر، أما قول عمر النسفي فيقول عن شروط الإمام: "ويكون من قريش ولا يجوز من غيرهم، ولا يختص ببني هاشم، وأولاد على رضي الله عنه"، أما التفتازاني ففي أثناء شرح ذلك أتى بنماذج من الدول التي قامت في التاريخ الإسلامي، ابتداء من أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ثم الدولة الأموية والدولة العباسية، فكل هذا تم في إطار الشرط الذي سلف ذكره، فكل هؤلاء كانوا قرشيين.[162]

عرض موجز لرسالة خلاص الأمة في معرفة الأئمة

المحاججة الأصلية في الرسالة هي إثبات جواز أن يكون الخليفة أو الإمام- وهما لقبان لشخصٍ واحد- من نسلٍ غير قرشي، وبناء على جواز هذا؛ فإنه يُطلَق على سلاطين الدولة العثمانية الخلفاء والأئمة، يبدأ لطفي باشا رسالته بعد حمد الله والثناء عليه، والصلاة والسلام على رسول الله، بإضفاء أنواع الثناءات على السلطان سليمان القانوني، فهو "إمام الوقت، القائم مقام رسول الله، ناصر إلى دين الله، المستغني عن الأوصاف والألقاب... ألا وهو السلطان بن السلطان بن السلطان، سليمان خان بن سليم خان بن بايزيد خان".[163]

ثم بعد ذلك يدخل لطفي باشا في بيان المقصود من كتابته لهذه الرسالة، وهو ما أشيع من أن بعض الفضلاء قالوا بعدم جواز إطلاق لقب الخليفة أو إمام على

162 التفتازاني، *شرح العقائد النسفية*، تحقيق الأستاذ علي كمال، (بيروت: دار إحياء التراث، دون تاريخ)، 143، قارن بابن حزم، *الفصل*، 75/4.

163 لطفي باشا، *خلاص الأمة*، 37.

سلاطين الدولة العثمانية، وأنه قد كتب الرسالة في هذا الشأن، وقد اقتنع الصدر الأعظم لطفي باشا، بترجيح الجواز، وقبل أن يدلف في استعراض كيفية الاستدلال على الصحة، شرع في بيان المصادر التي استند إليها في الجواز، وقد تنوّعت مصادره، ويمكن أن نذكرها هنا كما ذكرها كالتالي:

المصادر الفقهية

1- فتاوى قاضي خان[164]
2- فتاوى مجمع الحوادث والنوازل والواقعات
3- فتاوى النوازل لأبي الليث
4- فتاوى التارتارخانية
5- فتاوى المحيط
6- فتاوى الوجيز
7- فتاوى البزازية
8- جامع الفتوى
9- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع
10- الهداية
11- المختارات
12- التوفيق
13- ذخيرة العقبى
14- زبدة المسائل

164 سركيس، *معجم المطبوعات العربية والمعربة*، (القاهرة: مطبعة سركيس، 1928)، 498/2، لم يذكر لطفي باشا هذه المراجع مشفوعة بذكر مؤلفيها كاملة، لذا فإن تثبيت مؤلفيها أمر يعتريه التخمين، وانظر معلومات عن هذه المؤلفات بحواشي ماجدة مخلوف على رسالة لطفي باشا، خلاص الأمة، 39، 40، 41.

مصادر في الحديث

1- الأحاديث شرح المشارق

2- المصابيح

3- شرح شرعة الإسلام

مصادر أخرى

1- تاريخ ابن جرير الطبري[165]

2- الفوائح المسكية في الفواتح المكية

3- التعريفات

4- القاموس

ومجموع هذه المصادر إحدى وعشرين مؤلفًا في الفقه والتاريخ والحديث واللغة، ولطفي باشا لم يتدخل كثيرًا في الرسالة بقدر ما نقل من هذه المصادر نقولا تؤيد رأيه ووجهة نظره القائلة بجواز وجود خليفة إمام من غير نسل قرشي.

مرتكزات لطفي باشا في إثبات ادعائه

من خلال قراءة رسالة الصدر الأعظم لطفي باشا، نستطيع أن نقول بأنه قد ارتكز على عدة أسس في إثبات رأيه القائل بجواز أن يكون الخليفة غير قرشي، وارتفاع هذا الشرط من أساسه، هذه الأسس تتوزع على عدة نقاط.

أ- التعريف للخليفة والإمام

انطلق لطفي باشا للتدليل على صحة رأيه من تعريف كلمتي الخليفة والإمام، وفي تعريفه لكليهما، مزج بين التعريف الاصطلاحي واللغوي وبين الوظائف التي يقوم بها من يحمل هذين اللقبين؛ وبالتالي فالخليفة هو الإمام وهو السلطان، وهو

165 وقد ذكره لطفي باشا هكذا:"وتواريخ جرير الطبري". ص 41.

من يدبِّر مملكة الإسلام بإنصاف، والمراد من الخليفة هو الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر.[166]

ب- العبرة بالغلبة والقهر

لقد أومأنا في صدر هذا البحث إلى أن كثيرًا من المتكلمين قد اتخذوا من خيار الغلبة والقهر وسيلة أخرى لالتماس الشرعية للسلطان القائم، فالسلطان القائم إن فقد كثيرًا من الشرائط التي لابد أن تكون متوفرة فيه، فإن استقرار سلطانه وسيطرته هي وحدها كفيلة بأن تتسم بالشرعية وتلزم الرعية بالطاعة له، هذه الشرائط على رأسها القرشية، فالسلطان حتى إن لم يكن قرشيًا، فإن سيطرته على محيطه، وقوته وقهره وغلبته، فهي في حد ذاته كفيلة بأن تتسم بالشرعية، وتلزم من حوله من الرعية بأن يطيعوا ويسلموا له، ومن ثَمَّ فإن لطفي باشا قد اتخذ هذه الوسيلة وكررها في رسالته، مرجعًا له لصبغ الشرعية على السلطان حتى إن لم يكن قرشيًا.

ففي تعريفه للسلطان أشار لمعنى الغلَبة التي يحدث بها السلطان، وقد رأينا هذا كثيرًا في مراحل التاريخ الإسلامي، فالغالب المسيطر دائمًا هو القوة والسلاح والقهر، وبعد تحقق هذه الوسيلة يقيم السلطان العدل ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بمعرفته وقوته وقهره[167]، هذا رغم اعتراف لطفي باشا بأن السلطان يتحقق بإحدى أمرين بالمبايعة والأخرى بالقهر، إلا أن الأمر بالوسيلة الأخيرة يكون أكثر عملية وواقعية من الأولى[168]، وقوة هذا الشرط، أي قوة الفرض بالأمر الواقع تصل إلى حد رفع شرط الإسلام نفسه، "والإسلام ليس بشرط فيه (أي في السلطان الذي تقلَّد)، وبلاد الإسلام التي في أيدي الكفرة، لا شك أنها بلاد الإسلام لا بلاد الحرب"، وينطبق هذا الأمر على شرط العدالة، "وكذلك العدالة، ليست بشرط

166 لطفي باشا، *خلاص الأمة*، 43.

167 لطفي باشا، *خلاص الأمة*، 44.

168 لطفي باشا، *خلاص الأمة*، 45.

لصحة الإمامة والإمارة"، ومن ثم يتبين خطأ عمر النسفي- كما يقول لطفي باشا- الذي اشترط القرشية في الإمام أو الخليفة[169]، والملاحظ هنا أن الفارق بين لطفي باشا وعمر النسفي وكذلك شارحه التفتازاني، أن الأخيرين ينظِّران للأمر، ويضعان شروط الخليفة كما ورد في عامّة الكتب السابقة عليهما، أما لطفي باشا فكان ينظر إلى الأمر بعملية وواقعية أكثر منه نظريًا، فالأمر في الأول والآخر هو تغلُّب، فإذا تغلَّب الحاكم وحكم بأمر الله فهو إذن خليفة وإمام.

ج- الاحتجاج بالكتب المذكورة في الرسالة

ابتدأ لطفي باشا رسالته بذكر الكتب التي سيعتمد عليها[170]، والتي قالت جميعها بأن شرط القرشية ليس ضرورة في إقامة الخليفة[171]، وقد جوّز أصحاب هذه الكتب المذكورة أن يطلق اسم الخليفة والإمام على السلطان والوالي والأمير[172]، وقول عمر النسفي مخالفًا لإجماع أصحاب الكتب المذكورة.[173]

د- تأويل ما ورد "الأئمة من قريش"

إن نظر لطفي باشا إلى أمر الخلافة بواقعية الخلافة، دفعه إلى تأويل ما ورد في حديث "الأئمة من قريش"[174]، ورغم فهم كثيرٍ من العلماء بأن الحديث يفيد بأن الخليفة لابد أن يكون قرشيًا، إلا أن كلمة "الإمام" في معناها اللغوي، تحتمل كثيرًا من المعاني بخلاف معنى الخليفة، فالإمام هو القدوة والمقدَّم على غيره، غير أن لطفي باشا يُرجع هذا الحديث إلى سياقه الذي كان فيه، فالحديث ورد أثناء النزاع

169 لطفي باشا، *خلاص الأمة*، 45.

170 لطفي باشا، *خلاص الأمة*، 39.

171 لطفي باشا، *خلاص الأمة*، 45.

172 لطفي باشا، *خلاص الأمة*، 42.

173 لطفي باشا، *خلاص الأمة*، 46.

174 ورد هذا الحديث بألفاظ وروايات في مراجع مختلفة؛ أحمد بن حنبل، المسند، 318/19، 249/20، النسائي، السنن، 405/5 وكتب أخرى: "الأئمة من قريش، ولهم عليكم حق، ولكم مثل ذلك، ما إذا استرحموا رحموا، وإذا حكموا عدلوا، وإذا عاهدوا وفوا، فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين ".

الذي حدث بين فريق من الأنصار وآخر من المهاجرين، وقد نقل لطفي باشا الحكاية عن ابن جرير الطبري: "لما مات عليه الصلاة والسلام وقعت الاختلاف بين المهاجرين والأنصار، وقصد الأنصار أن ينصبوا إماماً من الأنصار، فجاء أبو بكر وعمر– رضي الله عنهما– إلى مجلس الأنصار، فقال أبو بكر: يا جماعة الأنصار كيف يكون الأمام من غير قريش، أما سمعتم قول النبي– عليه الصلاة والسلام– : (الأئمة من قريش)، فقبل الأنصار هذا الحديث عن أبي بكر– رضي الله عنه– ثم بايعوه"[175]، ومن ثَمَّ فإن لطفي باشا يرى أن تطبيق هذا الحديث كان في أوائل الزمان، في الصدر الأول من الإسلام، ومعنى الحديث وحكمه محمول عليه، وليس محمولاً على الواقع المعاصر[176]، لأن الأمر صار فيما بعد بالغلبة والغصب والقهر، وليس بالاختيار.

إن الذين يُصرِّون أن تكون الأئمة والخلفاء والحكام والسلاطين المسلمون من نسل قريش، إنما هم شابهوا الروافض الإمامية والإسماعيلية وغيرهم، الذين يقولون بأن الإمامة تكون بالنص، وأنها لابد أن تكون في آل البيت، في أسماء معينة مثل الحسين الشهيد بكربلاء، ومن بعده علي السخيّ، ومن بعده محمد الباقر، وهكذا، على اختلاف فرقهم ومذاهبهم.[177]

هـ– الاحتجاج بالأدلة الدينية

لقد استخدم لطفي باشا مجموعة من الأحاديث من قبيل: "من مات ولم يعرف إمامه مات ميتة الجاهلية"، و"اسمعوا وأطيعوا وإن تأمَّر عليكم عبدٌ حبشي"، وبهذه الأحاديث وأمثالها فإنه يحرم الخروج على السلطان ويلزم السمع والطاعة أيًّا كان الأمر[178]، حتى إن لطفي باشا يرفع كل الشروط عن ذلك السلطان المتغلِّب الذي

---

175 انظر: محمد بن جرير الطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، (بيروت: دار التراث، 1387 هـ)، 201/3.

176 لطفي باشا، خلاص الأمة، 47.

177 لطفي باشا، *خلاص الأمة*، 49.

178 لطفي باشا، *خلاص الأمة*، 49.

يجب على رعيته الاستسلام له والاتباع، ومن ضمن هذه الشروط، شرط الإسلام نفسه، فإذا تغلّب السلطان الكافر على البلاد المسلمة فإن هذا ليس يعني بأن البلاد تكون بلاد الحرب، بل تبقى على حالها بلاد الإسلام.[179]

إن العنصر الأساسي في مناقشة لطفي باشا لمسألة قرشية الإمام أو الخليفة من عدمها، هو عنصر الغلبة والقهر، وقد تبيّن لنا هذا مما سبق، فهو استعمل مبدأ الغلبة التي أتى بها السلطان، كي يبرر له الطاعة، وإضفاء لقب الخلافة والإمامة عليه، وبالتالي فلا يجوز لأي أحد الخروج عليه، ومن ثم فإن السلطان سليمان القانوني هو خليفة وإمام معترف به من قبل جماهير المسلمين، كما يلزمهم السمع والطاعة له، وقد جاء في الحديث: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة من يجدد لها"، وأمر تجديد الدين ليس مقصورًا على العلماء، "بل تارة يكون عالـمًا، وتارة يكون خليفة، وتارة يكون مقدَّمًا أو ملكًا مطاعًا، وقد يكون في الوقت الواحد خليفة وملك وأسير"[180]، وكما ابتدأ الصدر الأعظم لطفي باشا رسالته بإضفاء أنواع الثناء على السلطان سليمان القانوني، والاعتراف له بالإمامة والخلافة، نقل عن صاحب كتاب "شرح المشارق"، أن السلطان سليمان القانوني هو "إمام الزمان مع الشرائط المعتبرة في إقامة الدين، وحراسة الإسلام".[181]

أخيرًا، فإن مسألة الاعتراف بالخلافة والإمامة الشرعية تبدو أنها ظهرت في عصر سليمان القانوني، ومن بعده، فهناك دليل على أن ياوز سليم الأول لم يرى نفسه خليفة، بل جاء في خطابه الذي أرسله إلى طومان باي، بأنه قد أخذ الإذن من الخليفة[182]، كما سلف بيانه في البحث، لكن نشأ فيما بعد ما اشتُهر من حادثة تسلُّم سليم الأول أمر الخلافة العباسية، بشكل رسمي، واعتقادنا أن سليم الأول لم

179 لطفي باشا، *خلاص الأمة*، 64.

180 لطفي باشا، *خلاص الأمة*، 66.

181 لطفي باشا، *خلاص الأمة*، 66.

182 ابن إياس، *بدائع الزهور في وقائع الدهور*، (القاهرة: نشر محمد مصطفى، 1961) 124/5.

يكن يرى أمر الخلافة أمرًا هامًّا بالنسبة له؛ إذ واقع الأمر آنذاك أن الخليفة العباسي لم يكن غير اسم، حتى الرمز الإسلامي المتمثّل في الخلافة قد زال وبهُت، ولو كانت مثل هذه الحادثة حقيقة بالفعل، لذكرها الذين تعرّضوا للمسألة، وعلى رأسهم لطفي باشا- الذي نحن بصدد دراسته-، فمن غير المعقول أن يناقش مسألة شرعية أن يقال للسلطان العثماني خليفة وإمام من عدمه، دون أن يذكر هذه الحادثة إن كانت حقيقة، فعدم ذكرها له يدعونا للشك في مثل هذه الحادثة، هذا بالإضافة إلى أنه لا يوجد في أي مصدر ممن تناول فترة سليم الأول ودخوله مصر سواء باللغة العثمانية أو بالعربي، ذكر لهذه الحادثة كما سبق الإيماء إلى ذلك.

منصب الصدر الأعظم ماهيته وتاريخه

عندما نعرف لطفي باشا بأنه "الصدر الأعظم"؛ فإنه ينبغي علينا ألا نكتفي بتعريف "الصدر الأعظم" بأنه المنصب الأرفع في الدولة العثمانية بعد السلطان، إذ إننا نتعرض لتشريح شخصية بوزن لطفي باشا، فإنه يتوجب علينا أن نتعمق في التعريف بالمنصب؛ ليكتمل تصور القارئ عن لطفي باشا باعتباره كان رجل الدولة الأرفع في فترة تعتبر هي أوج قوة الدولة العثمانية، خاصة وأنه قد دَوَّن كتابًا ركز فيه على وظيفة الصدر الأعظم متحدثًا فيه عن هذه الوظيفة ومقومات شاغلها، وهو ما سنعرضه من خلال نظرة تاريخية عامة، ثم نتبعها بعرض رؤية لطفي باشا من خلال كتابه "آصف نامة".

كيف تكون الصدارة العظمي

يقال بأن بداية تسمية الوزير كانت في عهد عثمان غازي وأورهان غازي حيث بدأ شخص مساعد في أمور الدولة، ثم لما جاء عهد السلطان مراد الأول اتخذ وزيرًا آخر لنفسه، وبدأ تسمية الأول وزير أعظم[183]، وقد انتشرت كلمة "الصدر الأعظم" اعتبارًا من أواخر القرن السادس عشر، والتي معناها قمة الهرم البيروقراطي في الدولة العثمانية، وفي هذا الوقت ورد استعمال كلمة "الصدر الأعظم" في المصادر، من ذلك ما ورد في "غزوات نامه" التي ترجع إلى عهد السلطان مراد الثاني كل من عبارتي "الوزير الأعظم" و"الصدر الأعظم"[184]، أما في عهد السلطان محمد الفاتح (ت. 886هـ/1481م) فقد ورد ذكر الوزير الأعظم بشكل واضح في "قانون نامه"؛ فهو على رأس الوزراء والأمراء في الدولة، وهو الموكّل بالتصرف في كل أمور الدولة بشكلٍ مطلق، وكان من أشهر من تولّى وظيفة الصدارة العظمى عائلة جاندرلي Çandarlı Ailesi؛ وقد تولّى من هذه العائلة خمس أفراد هذه الوظيفة، فاشتهرت في تاريخ الدولة العثمانية وتفرّدت بهذا، كان ذلك في الفترة ما بين (١٣٦٤ إلى ١٤٩٩)، في عهد كل من: السلاطين مراد الأول وبايزيد الأول ومراد الثاني ومحمد الفاتح وبايزيد الثاني.

كان نفوذ الصدر الأعظم في الدولة العثمانية كبيرًا، بحيث كان من الحالات القليلة في التاريخ العثماني التي كان يتم فيها عزل الوزير الأعظم، فلا يعزل الوزير الأعظم من وظيفته لأي سبب هكذا؛ وقد وضّح السلطان محمد الفاتح صلاحيات الصدر الأعظم كما سبق بأنه وزير السلطان المطلق، فله باسم السلطان أن يصرِّف أمور الدولة الدينية والدنيوية، ويسعى في الحفاظ على نظام الدولة العام، والإشراف على إقامة الحدود والجزاءات كالحبس والقصاص والتعزير وما شابه،

183 İsmail Hakkı Uzunçarşılı, Osmanlı Devleti'nde Merkez ve Bahriye Teşkilatı, Ankara 1988, 111.
184 Mehmet İpşirli, "Sadrazam", TDV.

والإشراف على تطبيق الشرع والعرف، وأن يسعى في تنحية الظلم عن نظام الحكم، وهكذا.

- **رسالة آصف نامه**:

لقد سطّر لطفي باشا عددًا من الرسائل والمؤلفات في السياسة وآداب الحرب، ومؤلفاته ومعلوماته التي طرحها نابعة عن تجاربه ومشاهداته بالدرجة الأولى ثم ما حصّله من العلوم المختلفة، سنركّز هنا على رسالة هامّة من رسائله، وهي الرسالة المسمّاة بـ "آصف نامه"، وكان الدافع لديه عند تأليف هذه الرسالة هو إصلاح ما رآه من اعوجاج في الإدارة العثمانية، خاصة فيما تعلق بوظيفة "الصدارة العظمى"، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلُّ على فكرٍ يتحلّى بقدر كبيرٍ من الموضوعية والحرية، وشخصية ذات عين ناقدة، ترى الحسن والقبيح.

أضف إلى هذا أن قراءة هذه الرسالة تعطي لك فكرة عن الوضع السياسي الداخلي للدولة العثمانية في فترة يطلق عليها في الدراسات الحديثة فترة الذروة، ذروة النهضة العثمانية، وهي فترة السلطان سليمان القانوني، حيث بلغت الإمبراطورية العثمانية أقصى درجات الاتساع المكاني وأقوى درجات النفوذ في العالم، فكان السلطان سليمان القانوني يلقب في رسائله: " أعظم السلاطين وأكرم الخواقين، ناصر عباد الله وحامي بلاد الله، الغازي في سبيل الله وخادم الحرمين الشريفين، مالك البرِّين والبحرين"، لكن بقراءة ما سطّره لطفي باشا يتبين أن الأمر لم يكن بالنموذجية التي قد يظنها المرء، وهذا حال كل الدول والسياسات.

اختار لطفي باشا اسم "آصف نامه" وهو اسم بالفارسية، آصف: يقال بأنه اسم وزير النبي سليمان عليه السلام، وتأتي بمعنى الوزير في العثمانية، أما كلمة نامه فهي بمعنى كتاب، فيكون المعنى كتاب الوزير أو دستور الوزير، والكتاب يعتبر هو أول كتاب من نوعه في التاريخ العثماني، من حيث اعتنائه قصدًا بوظيفة "الصدارة العثمانية"، وقد قسّم الكتاب إلى مدخل وأربع أقسام؛

الباب الأول: في أخلاق الوزير الأعظم؛ فيما ينبغي أن يكون عليه الوزير الأعظم، وكيف تكون بينه وبين السلطان المعاملة، وما ينبغي ان يُراعى في هذه المعاملة.

الباب الثاني: فيما ينبغي مراعاته في الأسفار والحروب.

الباب الثالث: فيما ينبغي مراعاته في تدبير أمور الخزينة.

الباب الرابع: فيما ينبغي مراعاته في تدبير أمر الرعايا.

والظاهر من كلام لطفي باشا أن تأليفه لهذه الرسالة جاء مباشرة بعد عزله عن وظيفة الصدارة العظمى، وقد ذكر سبب عزله صراحة، فالرجل يحمل نفسًا أبيَّةً لا تخضع لامرأة مهما كانت، حتى ولو كانت أخت السلطان سليمان القانوني، وقد ذكرنا من قبل سبب عزله بالتفصيل، لكن هذا الخلاف الذي وقع بينه وبين زوجته لا يمنعه عن أن يعترف بدوام إخلاصه للسلطان سليمان القانوني الذي بدأ رسالته بإضفاء أنواع الثناء عليه، وإخلاصه للدولة العثمانية العلية التي ظل ينافح عنها ويدافع حتى مات، وقد سبق لنا عرض رسالة له في شرعية تسمية السلطان سليمان القانوني بخليفة المسلمين.

1) أخلاق الوزير الأعظم

تعرّض لطفي باشا للأخلاق التي ينبغي أن يكون عليه الوزير الأعظم، فقال بأن على رأس هذه الأخلاق أمر الإخلاص؛ فينبغي للوزير الأعظم أن يكون مخلصًا لله تعالى لا لشيء آخر من أغراض الدنيا، فإذا كان مخلصًا لله فهذا سيعطيه قوة في مكانه، تلك القوة التي حرص لطفي باشا على أن يذكرها مرات عديدة، فلابد أن يكون الوزير الأعظم قويًّا، قوي الشخصية بجانب السلطان، لا أن يكون تابعًا له موافقًا له في كل أموره كظله، فإذا كان الوزير يعامل الله أثناء ممارسته لوظيفته، فلن يخاف إذن أن يقول كلمة الحق للسلطان، كلمة الحق التي يجب على الوزير أن يقولها دائمًا للسلطان، يقول لطفي باشا:

يجب على الوزير الأعظم أن يخاطب السلطان مستعملا في كلامه دائمًا: "سلطاني، قد أذهبتُ الوِزْرَ من رقبتي، أنا قلتُ ما أراه صحيحًا، أما أنتم فيوم القيامة تعطون الجوابَ".

هكذا سيخوِّف الوزير الأعظم السلطان بيوم القيامة ويذكّره بكلمة الحق دائمًا، على أن لطفي باشا قد ذكر غير مرة بأن كلمة الحق هذه لا ينبغي كتمانها لخوف الوزير من العزل، ومسألة العزل هذه قد ذكرها لطفي باشا أكثر من مرة في رسالته، فالوزير الأعظم الذي يقوم بواجبه ويرعى الله في حكمه ووظيفته لا يهمه شيء لا عزل ولا غيره:

"ويجب على الوزير الأعظم أن يقول ما هو النافع في الدّين والدّولة دون توقّفٍ للسلطان، ولا يجب على الوزير أن يخاف من العزل، فلأن يكون بين الناس محبوبًا معزولا خيرٌ له من أن ألا يقوم بما عليه من أركان وظيفته".

وفي موضعٍ آخر يذكر مرة أخرى مسألة العزل، وأن الوزير لا يصح له أن يبالغ في الخوف من مسألة العزل:

"لا ينبغي أن يبالغ الوزير الأعظم في الخوف من عزله، وأن يعلم أن تركه لعمل على وجهٍ غير صحيح هو الخير له من البقاء في الوظيفة مع فعله، فيقال بفضل هذا على ألسنة الناس: "إن هذا الرجل لم يقبل أن يفعل أمرًا خطأ، وفضّل على ذلك أن يُعزَل".

كذلك في موضعٍ آخر من رسالته ينبّه على أن من يسعى من الوزراء في عزل أخيه فسوف يأتي اليوم ويعزل فيه هذا الساعي، لأن الجزاء من جنس العمل، وهذا يبيّن بشكل ما مدى الوشايات التي تسير في القصر العثماني، والتي كان ضحية منها لطفي باشا نفسه.

لابد للوزير الأعظم أن يكون محافظًا على الدِين داخليًا وخارجيًا؛ فيجب عليه المحافظة على الصلوات الخمس في جماعة بمكانه، كما ينبغي أن يكون متواضعًا

يصل الناس إليه بسهولةٍ، وينصر الفقراء والضعفاء والمساكين، وفي نفس الوقت له قدرٌ من الهيبة والوقار تليق بشخصية ثاني رجل في الدولة، يحافظ على وقته ولا يهدره في أمورٍ غير أمور الدولة، وأن يختار أنسب الأشخاص لوظائف الدولة.

في علاقة الوزير بالسلطان سبق أن ذكرنا أن العلاقة يجب أن تكون منبنية على الاحترام المتبادل بين الشخصيتين؛ لا على الخوف من السلطان أو الخوف من العزل من الوظيفة، بل تكون على إخلاص لله وحده وعدم الخوف من زوال عرض الدنيا الزائل، لهذا فالوزير الأعظم هو ناصحٌ أمين للسلطان، يحافظ على السلطان من الوقوع في الشهوات والإسراف، والوزير هو حافظ السر السلطان الأعظم، لا يذيع سرّه إلى أي حد سواء من المقربين أو غيرهم، وقد ذكر لطفي باشا حكاية كمثال على ذلك وأن وزيرًا كاد أن يقع في عقاب السلطان الشديد بسبب إفشائه لسره.

2) واجبات الوزير الأعظم العسكرية

تطرّق لطفي باشا إلى واجبات الوزير الأعظم العسكرية؛ فمن أولى واجباته هو السعي في سلامة وأمن السلطان العثماني، لأنه رأس الدّولة، ففي أثناء الحرب يجب على الوزير الأعظم إذا وقف الجيش للاستراحة أن يوفّر مكانًا للسلطان خاصًّا بعيدًا عن عامّة العساكر، بل يحيط به عساكر خاصة يسعون ويسهرون على حمايته، ويكون حصان الوزير الأعظم قريبًا من حصان السلطان.

والأصل ألا يخرج السلطان بنفسه إلى الحروب، بل يخرج عنه من ينوبه سواء أكان الوزير الأعظم أو القادة العسكريين، واختيار الوزير الأعظم للقادة العسكريين يجب أن يكون مبنيًا على الكفاءة.

وقد أولى لطفي باشا أمور البحر عناية خاصَّة، واهتم العثمانيون خاصة في عهد سليم الأول وسليمان القانوني بأمور البحر بشكل عام، وظهر قادة معروفون

أمثال خير الدين بربـاروس (ت. ٩٥٣هـ/١٥٤٦م)[185]، وقد عمل مع لطفي باشا وخرجا معًا للحرب[186]، وقد ذكر حكاية عن السلطان سليم الأول أن أحد الوزراء قال لـه: إذا أردنا أن نغلب الفرنجة الأوربيين فلابد أن نقوّي القوات البحرية لدينا، كذلك بهذه الطريقة سوف تكون إستانبول محمية عن طريق البحر، لأن موقع إستانبول الجغرافي مهدد من البحر. لهذا اعتنى السلاطين العثمانيون بالمجال البحري، وعرّج على ذلك لطفي باشا وأشار إلى ضرورة اختيار الأكفاء لقيادة البحر، كما ينبغي أن ينتخب من الرعية الشباب اليافعون من ذوي القوة والقدرة للعمل بالتجديف في البحر.

3) تدبير أمور الخزينة

أشار لطفي باشا إلى أن الأصل في أمور الخزينة والأموال أن توزع بالعدل وليس بالظلم، لذلك فيجب على الدفتردار الذي هو قائم على الخزينة، أن يكون من أهل الأمانة والصيانة، وألا يسرف في الأموال لأن ذلك يؤدّي إلى اختلال الخزانة. ويحكي لطفي باشا أنه حينما تولّى الوزارة العظمي كانت أمور الخزانة في اختلال، ومن أسباب ذلك أن الخزانة المركزية كانت تعتمد في إمداداتها على الخزانات الخارجية، فسعى إلى القضاء على ذلك عن طريق تقوية الخزانة المركزية الداخلية.

ويجب تقييد كل شيء في الخزانة من الصادر والوارد، ويجب على الوزير الأعظم أن يتعهّد هذا الأمر كل أسبوع مرة على الأقل، ومن الأمور التي نبّه عليها

185 خير الدين بربروس يعتبر أشهر قائد بحري في التاريخ العثماني، له غزوات كبيرة عن طريق البحر مع أوربا؛ فمن أشهر معاركه معركة بروزة التي انتصر فيها على سبع دول أوربية، كذلك انتصاراته على الإمبراطور الروماني والملك الإسباني كارلوس الخامس، وقد قام بجهود كبيرة لتنظيم السياسة البحرية العثمانية، ووضع نظام أحواض بناء للسفن العثمانية فيما عرف بالترسانة العامرة: خير الدين بربروس، *مذكرات خير الدين بربروس*، ترجمة محمد دراج، (الجزائر: شركة الأصالة للنشر والتوزيع، ٢٠١٠)، ص ٢٠.

Ernle Bradford, The Sultan's Admiral: Barbarossa-pirate and Empire- Builder, TPP Tauris Parke Paperbacks, 2008.

Şerafettin Turan, "Barbaros Hayreddin Paşa", TDV.

186 Mehmet İpşirli, "Lutfi Paşa", TDV.

لطفي باشا وجوب تعهد الوزير الأعظم لدار السكة، حتى قال بأنه يجب على الوزير الأعظم التخفّي والذهاب سرًّا إلى دار السكّة كي يتابع صك العملة بنفسه، ذلك لأن الاختلال في دار السكة يؤدّي إلى فساد عظيم في الدولة.

كما يجب عليه أن يتعهد رواتب القادة والرجال البيروقراطيين، هذه المسألة قد ذكرها لطفي باشا بالتفصيل، فينبغي أن تُعطى بدقة تامة دون زيادة أو نقصان، كما يرى أن من يتحمّل وظيفة الخزانة فلا يصح له التقاعد، فيجب استمرار عمله في الخزانة طيلة عمره ما دام به صحة وقدرة على مواصلة عمله، وهذا ربما لصعوبة العمل وحساسيته. ومن اللافت للنظر أن لطفي باشا قد خصص الأموال التي تأتي من خزينة مصر لجيب السلطان العثماني الخاص.

4) سياسة الرعية

أما في سياسة الوزير الأعظم للرعية فقد نبّه على أن طائفة التتار ينبغي أن يتعامل معهم بحذرٍ لأن فيهم عصيان وليسوا منقادين على كل حال، لهذا ينبغي الانتباه، كما أن أعداد وأسماء الرعية ينبغي أن تكون مضبوطة في سجلات وتجدد هذه السجلات كل ٣٠ عامًا في ديوان الدفترخانه.

ومن الجدير بالذكر أن مسألة الاختلال السكّاني قد طرقها لطفي باشا، فذكر أنه ينبغي أن يحفظ التوازن السكّاني في المساحات الجغرافية المختلفة تحت ظل الدولة العثمانية، فلا يسمح لجماعة من الرعية أن تترك بلدها إلى بلدٍ آخر لأي سببٍ كان، حتى وإن كان هذا السبب ظلم أمير هذا البلد أو حاكمها، فإذا حدث هذا فيجب أن تُرسل هذه المجموعة إلى مكانها مرة أخرى للحفاظ على هذا التوازن داخل الدولة.

لقد اتخذت مسألة الأشراف حيّزًا هامًّا في التاريخ الإسلامي، فالانتساب إلى نسب الرسول ﷺ هو شرف كبير، لهذا كان المنتسبون لهم مكانة خاصة في المجتمع الإسلامي، ويلقبون إلى اليوم بالشرفاء وواحدهم الشريف، وقد نبّه لطفي

باشا إلى أن مجتمع الشرفاء فيه الكثير ممن ليس فيهم، فالكثير من الرعية ينتسبون إلى نسب الرسول ﷺ زورًا وكذبًا كما يحدث اليوم، لهذا فينبغي على الوزير الأعظم أن يسعى في ضبط هذه الأمور، لأنه بناءً على هذا يمنح هؤلاء الشرفاء العطايا والهدايا والهبات.

ملحقات

رسالة "الفرق الضالة"

تأليف الوزير الأعظم لطفي باشا

ترجمة من العثمانية

د / رامي إبراهيم البنّا

رسالة في الفرق الضالة

للمرحوم لطفي باشا



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد، وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد؛

فيا أيها الطلاب إخوة الدين، يقول فخرُ العالمين محمد المصطفى: "ستفترق أمتي على ثلاثة وسبعين فرقة، كلهم في النار إلا واحدة، قالوا: ما هي يا رسول الله، قال: ما أنا عليه وأصحابي"[187]، فهذه هي الفرقة الناجية الآمنة من الخوف والشقاء، الواصلة للسعادة الأبدية، وهي أهل السنة والجماعة، ولهذا فينبغي أن تُعرف الفروق بين أهل السنة وبين الفرق الهالكة في النار، نعوذ بالله تعالى.

وإن هناك خصالًا إذا وُجدت في المسلم فهو من أهل السنة والجماعة:

الأولى: القيام بالصلوات الخمس في جماعة.

الثانية: ألا يذكر أصحاب رسول الله ﷺ لا بذمٍّ ولا نقصٍ.

الثالثة: عدم الخروج على السلطان بالسلاح.

الرابعة: عدم الشكّ في الإيمان.

الخامسة: الإيمان بأن الخير والشر من تقدير الله تعالى، فهو من لوازم الإيمان.

السادسة: عدم الجدال والنزاع في المسائل المتعلقة بالدين.

السابعة: عدم تكفير أحدٍ من أهل التوحيد.

الثامنة: عدم ترك الصلاة على أحد من أهل القبلة.

---

187 ترجم لطفي باشا الحديث من العربية إلى العثمانية في الأسطر التي تليها.

التاسعة: وجوب المسح على الخفين.

العاشرة: الصلاة خلف البر والفاجر.

وبعد ذكر خصال أهل السنّة والجماعة، سوف نشرع في ذكر أهل الهوى بالتفصيل، لكي تعلم أحوالهم.

الأولى "الخوارج": وهم أول قوم نشأت في هذه الأمة في الفتنة، وانشقت عن أهل السنة والجماعة، وقد خرجوا على حضرة عثمان– رضي الله تعالى عنه– وقتلوه، وقد وقعوا في العذاب والهلاك لأنهم قاموا بهذا الأمر واستحسنوا فعله.

الثانية "الجبرية": وهم الذين يقولون بأن الإنسان ليس له قدرة بالأصل، ولا تأثير على أي شيء، فنزّلوا الإنسان منزلة الجماد؛ لأن كل شيء بأمر الله وتصرّفه، ويقولون بأن الجنة والنار فانيان، وأن لن يبقى أحدٌ فيهما بعد الفناء، سيفنى كل شيء ولن يبقى إلا الله تعالى، وسوف يقعون في العذاب والهلاك بهذا الاعتقاد.

الثالثة "الرافضة": وهم الذين كفّروا الصحابة؛ لأنهم اعتقدوا أن الصحابة لم يبايعوا حضرة علي بعد وفاة حضرة الرسول، ويكفرون حضرة علي أيضًا[188] لأنه لم يطلب الإمامة لنفسه بينما له الحق فيها، وهذا الكلام باطل وهذا الاعتقاد فاسد، لهذا فسوف يعذّبون ويهلكون.

الرابعة "القدرية": وهم قوم يزعمون بأن الله تعالى هو خالق الخير، وإبليس هو خالق الشر، والله تعالى منه الخير، وإبليس منه الشر، ومن أنفسنا، ويقولون إن الله تعالى لا يقدِّر الأمور، وهم بهذا الكلام وبهذا الاعتقاد سوف يقعون في العذاب والهلاك.

188 المعروف أن عليًّا إمام عند أكثر الشيعة.

الخامسة "المشبِّهة": وهم قومٌ يزعمون بأن لله تعالى يد وقدم، ويذهب ويأتي، وينزِل ويصعد، فيشبّهون الله تعالى بمخلوقاته ويمثّلونه بمحدثاته، ومن يقول بهذا ويعتقده فهو في الهلاك والعذاب الأبدي.

السادسة "المرجئة": وهم قومٌ يقولون بأن العبد إذا آمن بالله تعالى، ولم يتبع هذا الإيمان بالعمل بأوامره ونواهيه فلا يضر هذا الإيمان شيء، سيّان إذا عمل عملا صالحًا أو لم يعمل، ويقولون لا يشر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وهم بهذا الاعتقاد وبهذا الكلام سوف يقعون في العذاب والهلاك.

السابعة "الشُمراخية"[189]: وهم قوم يزعمون أن الله تعالى لم يقسم أموال الدنيا بين عباده، وكل عبدٍ من عباده فله حصة من هذه الأموال، فكل ما هو في الدنيا حلال أخذه من أي أحد ولأي أحد، وبهذا الزعم وبهذه الأفعال سوف يقعون في العذاب والهلاك.

الثامنة "الأرزاقية": وهم قوم من الخوارج، ويقولون من يطع أهل السنة والجماعة لا يُخرج عليه بالسيف وهو من الخاسرين، والمرتدين عن الدين، وبهذا الاعتقاد يقعون في العذاب والهلاك.

التاسعة "الأخنسية"[190]: وهم قوم من المرجئة، وهم يقولون إذا قال أحد "لا إله إلا الله، محمد رسول الله" فلا يكون كافرًا بحال حتى إن أنكر الفراض وحرَّم الحلال، وهم بأقوالهم هذه واعتقاداتهم يقعون في العذاب والهلاك.

---

189 صاحب الشمراخية وهو عبد الله بن شمراخ كان يقول إن دماء قومه حرام في السر حلال في العلانية وإن قتل الأبوين حرام في دار التقية ودار الهجرة وإن كانا مخالفين، والخوارج تبرأ منه، أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين، ص 120.

190 قال أبو الحسن الأشعري: والفرقة الحادية عشرة من العجاردة وهي الأولى من الثعالبة يدعون الأخنسية يتوقفون عن جميع من في دار التقية من منتحلي الإسلام وأهل القبلة إلا من قد عرفوا منه إيماناً فيتولونه عليه أو كفراً فيتبرءون منه لأجله ويحرمون الاغتيال والقتل في السر وأن يبدأ أحد، من أهل البغي من أهل القبلة بقتال حتى يدعى إلا من عرفوه بعينه، فبرئت منهم الثعلبية وسموهم الأخنسية لأن الذي دعاهم إلى قولهم رجل كان يقال له الأخنس"، مقالات الإسلاميين، ص 97.

العاشرة "البيهقية": وهم قوم من الخوارج، ويقولون إن الإيمان هو العمل، فمن يعمل بعلمه كلِّه لا يكون مؤمنًا، وهم بهذا يقعون في العذاب والهلاك.

الحادية عشرة "السَّنية": وهم قوم من الخوارج، يقولون بأن القرآن مخلوق، وينكرون الميزان والصراط والشفاعة والحوض وعذاب القبر، وهم بهذه الأقوال يقعون في العذاب والهلاك.

الثانية عشر "الجازمية"[191]: وهم قوم من القدرية، يعتقدون بأن الخير هو من فعل الله والمعصية من فعل الله، وهم بهذا الكلام يقعون في العذاب والهلاك.

الثالثة عشر "الواصلية": وهم طائفة من القدرية، ويعتقدون أن مرتكب الكبيرة ليس مؤمنًا ولا كافرًا، فهو في منزلة بين المنزلتين، ورئيسهم "واصل بن عطاء" اعتزل من مجلس "حسن البصري"، وترك الحق وقبل الباطل، وحينها قال حسن البصري: "اعتزلنا واصل بن عطاء"، ولهذا سُمّوا بالمعتزلة، وهم يسمون أنفسهم بأصحاب العدل وأصحاب التوحيد، ويقولون بأنه يجب على الله أن يثيب المطيع ويعاقب العاصي، لأن هذا ما يقتضي صفة العدل عنده تعالى، وينفون الصفات القديمة وفقًا لزعمائهم كي يخلص التوحيد، وعلى هذا أصبح هؤلاء القوم مشغولين بعلم الكلام، وخلطوه بالفلسفات، وقد كان أبو الحسن الأشعري من هؤلاء ثم فارقهم حينما علم بطلان مذهبم، وأصبح من أهل السنة والجماعة.

الرابعة عشر "الدهرية": وهم يقولون بأنه لا يقع علينا الهلاك، وإنما يهلك الدهر، والتقدّم في السن إنما هو قديم، والإنسان كالنبات يفني، وينكرون الجنة والنار ويقولون بتناسخ الأرواح، وزعيمهم في الشام نبي، ينقلون عنه أنه قال: "أنا

191 الفرقة السادسة من العجاردة الخازمية، والذي تفردوا به أنهم قالوا في القدر بالإثبات وبأن الولاية والعداوة صفتان لله–عز وجل– في ذاته وأن الله يتولى العباد على ما هم صائرون إليه وإن كانوا في أكثر أحوالهم مؤمنين، مقالات الإسلاميين، ص 90.

رأيت نفسي في ألف وسبعمائة قالب"، وأمواتهم تذهب في الرياح دون علم الله تعالى، وهم يقعون في العذاب والهلاك بهذا الاعتقاد.

الخامسة عشر "اللم يزليه": وهم قوم يقولون نحن من شيعة علي، وهم في حالهم من شيعة إبليس، فهم يسبُّون أبا بكر وعمر – رضي الله عنهما–، فهم بهذه الأقوال وهذا الاعتقاد يقعون في العذاب والهلاك.

السادسة عشر "الجعديّة"[192]: وهم قومٌ يقولون بأن الله تعالى على التحقيق له صورة جميلة وله شعر، ونظراؤه منكرٌ، وهؤلاء باعتقادهم هذا وأقوالهم يقعون في العذاب والهلاك.

السابعة عشر "الحثية": وهم قوم إذا أرادوا دفن ميتهم دفنوا معه ذهبًا وأموالاً ووضعوه في فمه وأعطوه في يده عصا، يقولون إذا دخل عليكم منكر ونكير وأعطيتموهم هذه الأموال والذهب والفضة فهم سوف يفعلون معكم الخير، وإن لم يفعلوا معكم الخير فاضربوهم بما في أيديكم وأخرجوهم، وهؤلاء يقعون في العذاب والهلاك باعتقادهم هذا.

الثامنة عشر "الجعدرية": وهم قوم يقولون بأن الذي يستحق الخلافة بعد حضرة رسول الله هو العباس بن عبد المطلب، لأنه الأقرب في العصبة، وهم ينكرون خلافة الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي– رضي الله عنهم–، وهم بهذه الأقوال وهذا الإنكار يقعون في الهلاك والعذاب.

التاسعة عشر "الكوزية": وهم قوم من المعتزلة، يقولون كل من كان من جنس التراب فلا يكون طاهرًا، كالكوب والإناء وكل ما شابه هذه الأشياء، ويقولون بأن الإيمان قول وعمل دون تصديق، ويكفرون الناس بالمعصية، وهم بهذه الاعتقادات وهذه الأقوال يقعون في الهلاك والعذاب.

---

192 هم من فرق الحرورية، وسموا بالجعدية لاتباعهم مسلم بن الجعد وهو من أهل الكوفة، الملطي، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، ص 180.

العشرون "الشاكية": وهم قوم يقولون بأن الله تعالى خلق الإنسان على صورته، فهم بهذه الاعتقادات والأقوال يقعون في العذاب والهلاك.

الحادية والعشرون "الزيدية": وهم قوم يعتقدون بأنه لا شكّ أن نبيًا سيأتي في آخر الزمان ينسخ شريعة محمد، وهم بهذه الاعتقادات وهذه الأقوال يقعون في العذاب والهلاك، وهم من أهل النار ورئيسهم "زيد بن أسد".

الثانية والعشرون "الحارثية": وهم قوم يقولون بأن القرآن مخلوق، ويثبتون لله المكان ويقولون أن موجود في كل مكان، وهم بهذه الأقوال وهذه الاعتقادات يقعون في العذاب والهلاك.

الثالثة والعشرون "البقية": وهم قوم يقولون بأن مؤمنينا إن شاء الله تعالى لو أنكروا النعمة التي عليهم فهي هداية، وهم بهذا الشكل وبهذا الإنكار يقعون في العذاب والهلاك.

الرابعة والعشرون "المنامية": وهم قوم من الجهمية ينكرون صفات الله تعالى ولا يقرأون الآيات التي وردت فيها صفاته، كقوله تعالى: "لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد"، وهم بهذه الاعتقادات وبهذا الإنكار يقعون في العذاب والهلاك.

الخامسة والعشرون "الحيفية": وهم قوم يدعون أنهم يملكون الأولاد الصِّغار ويلعنون من ينكر عليهم ذلك ويقتلونه، كالروافض الذين يدّعون خلافة علي بن أبي طالب (أي بعد وفاة الرسول عليه السلام) ويكفرون من ينكر خلافته، فهم بهذه الاعتقادات وبهذه الأقوال يقعون في الهلاك والعذاب.

السادسة والعشرون "الكيفية": وهم قوم يدّعون النبوة لعلي، وينسبون لحضرة جبرائيل الخيانة، فحاشا له ولمحمد المصطفى، وينكرون النبوة، وهم بهذه الدعاوى وبإسنادهم الباطل وبهذا الإنكار الفاسد يقعون في العذاب والهلاك.

السابعة والعشرون "الفاطمية": وهم يقولون بأن حضرة فاطمة- رضي الله عنها- هي أفضل من حضرة عائشة- رضي الله عنها وعن أبيها-، ويقولون بضلال

حضرة عائشة، ويعتقدون فيمن لم ير ضلالها بأنه كافرٌ، ويستحلّون ماله، وهم بهذه الاعتقادات يقعون في الهذاب والهلاك.

الثامنة والعشرون "المحلوقية": وهم قوم يقولون بأن من يعرف بعض أسماء الله تعالى فهو مؤمن، ويجّوزون أن يكون المؤمن لا يعرف بعض أسماء الله تعالى، وأن الله لم يكتسب اسم الخالق من كونه خلقَ، أو اسم الرازق من كونه رزق العباد... وهم بهذه الاعتقادات وبهذه الأقوال يقعون في العذاب والهلاك.

التاسعة والعشرون "الجهميّة": وهم قومٌ رئيسهم "جهم بن صفوان"، وهم موافقون للمعتزلة في نفيهم للصفات الأزلية، ويصفون الله تعالى بصفات المخلوقين، ويؤولون الأحكام الواردة في النصوص القطعية، وينكرون أحوال الآخرة، وهم بهذه الأفعال وبهذه الاعتقادات يقعون في العذاب والهلاك.

الثلاثون "الشاكية": وهم قوم يشكون في إيمانهم ويقولون: نحن مؤمنون إن شاء الله، ويقولون هل نحن مؤمنون بحق أم بباطل؟! لا ندري، ولا ندري هل نحن مؤمنون أم كافرون عند الله تعالى، وهم يبقون في هذا الشك، ويقولون هذه الأقوال، ويقعون في العذاب والهلاك.

الواحدة والثلاثون "الثلاثية": وهم يقولون بأن الناس قد نشأوا منا، ونحن نشأنا من الناس، ويُحلّون أخذ أموال الناس دون إذنٍ منهم، ومن يحاول منعهم من أخذ الأموال يرون جواز قتله، ويقولون إن الحق تبارك وتعالى قد خلق النّعم من أجل عباده، وكل عبدٍ من عباده له الحق في هذه النعم، وليس لأحد الحق في أن يقول بأن هذا ملكي ولا يستطيع أن يمنع أحدًا من نعم الله، وهم بهذه الأقوال وبهذه الاعتقادات يقعون في العذاب والهلاك.

الثانية والثلاثون "النميرية": الإيمان هو العلم بالله والخضوع له، والإخلاص له والحب، غير هذا فإن المعرفة من الطاعة، فمن يترك الطاعة لا يصاب

إيمانه بضرر، ويقولون بأن إبليس كان يعرف الله تعالى وإنما كفر باستكباره، ويقولون إن دخول الجنة إنما يكون بالإيمان وليس بالعمل والطاعة، وهم بهذه الأقوال يقعون في العذاب والهلاك، ورئيسهم يونس بن نمير.

الثالثة والثلاثون "المختارية"[193]: وهم قوم رئيسهم "المختار بن علي"، يقولون بأن الإمامة بعد حضرة علي للإمام "محمد الحنفي"، وبعضهم يقول إن إمامته بعد حضرة الحسين، وهم بهذا الاعتقاد وبأقوالهم يقعون في العذاب والهلاك.

الرابعة والثلاثون "المستوكية": وهم قوم يقولون بأن الله تعالى بعد أن خلق العالم أصبح في فراغ، ولم يفعل شيئًا، والله تعالى كل يوم في هو في شأن، وهم عباد أنكروا هذا، فهم بهذه الأقوال وبهذا الإنكار، يقعون في العذاب والهلاك.

الخامسة والثلاثون "العباسية": وهم قوم يقولون بأن الملك بالغلبة، ويرون قتل من لم يطع السلطان، ويرون حل الخروج على سلطان الزمان، فهم بهذه الاعتقادات وبهذه الأقوال يقعون في العذاب والهلاك، فهؤلاء خوارج من أهل النار.

السادسة والثلاثون "الحشوية": الإيمان باللسان دون معرفة القلب، ويزعمون أن الله تعالى شخص، جسم ونفس وأعضاء، وهم أجهل الجهّال وأكفر الكفار، وهم بهذه الأقوال وبهذه الأفعال يقعون في العذاب والهلاك.

السابعة والثلاثون "المعروفية": وهم قوم يقولون بأن القرآن قديم، نعم وهو ليس كلام الله تعالى، وينكرون تكليم الله تعالى لحضرة موسى- صلوات الله تعالى وسلامه عليه-، الوارد في قول الله تعالى: "وكلم الله موسى تكليما"، وهم بهذا الإنكار وبهذه الأقوال والاعتقادات يقعون في العذاب والهلاك.

---

193 ورد في كتب المقالات أكثر من فرقة تسمى "المختارية"، انظر: التبصير في الدين، ص 33.

الثامنــة والثلاثــون "المحجوريــة": وهـم قـوم يزعمـون بـأن الله تعـالى لـه يـد وقـدم وأصابع، وهم مثل الإنسان، ويشكون في الإيمان، وهم بهذه الاعتقادات وبهذه الأقوال وبهذا الشكوك يقعون في العذاب والهلاك.

التاسعة والثلاثون "المهاجرية": وهم قوم يقولون بأن قرآن الله تعالى هو صفته، ويقرّون بأن القرآن نازل، نعم وينكرون[194]، ويقولون بأن صفات الله تعالى لم تنـزل مـع القـرآن، وهـم بهـذه الأقـوال وبهـذه الاعتقـادات يقعـون فـي العـذاب والهلاك.

الأربعون "المغرورية": وهم قوم من المعتزلة، ينكرون قيام صلاة الجمعة المذكورة فـي الشـريعة المقامـة فـي المـدن والقرى، ويتهمـون المسـلمين، ويقولـون يـوم الجمعـة صـلاة تطـوع ركعتـان، وتقـام مـع الجماعـة أربعـة، ويتركـون الفرض، وأقـوالهم فاسـدة مـن حبائـل الشـيطان، يريـدون أن يفسـدوا الإسـلام، فعلامـة الإسـلام الجمعـة، ينبغـي لأهـل السنة والجماعـة أن يحتـرزوا منـهم فـي المدن والقـرى، لا يشـككوا فـي صـحة صـلاة الجمعـة، وأمثـال هـؤلاء مـن المعتزلـة وأقوالهم وبهذه الاعتقادات يقعون في العذاب والهلاك.

الواحدة والأربعون "الجبائية": وهم قوم من المعتزلة، يقولون بأن الله متكلم وكلامه مركب من حروف وصوت، ويقولون الله تعالى لا يُرى في الآخرة، ويقولون إن مرتكب الكبيرة إذا لم يتب فهو مخلد في النار، وينكرون كرامات الأولياء، وهم بهذه الاعتقادات وبهذه الأقوال يقعون في العذاب والهلاك، ورئيسهم أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي.

الثانيـة والأربعون "الثماميـة": وهم قوم يقولون إن اليهود والنصارى وحتى الزنادق سوف يكونـون تراباً فـي الآخرة، لـن يـدخلون الجنـة ليتنعموا فيها ولن يدخلوا

194 الجملتان يتضادتان، ففي الأولى قال بأنهم يقرون والتي بعدها قال ينكرون، والظاهر أنهم ينكرون بأن صفات الله تعالى قد نزلت في القرآن كما هو مذكور.

النـار ليعـذبوا فيهـا، وهم بهـذه الأقوال وبهـذه الاعتقـادات يقعـون فـي العـذاب والهلاك.

الثالثـة والأربعون "الخـوارج": وهم قوم يكفرون الصـحابة، وقد خرجوا علـى الإمام علي بالسيف، وكفروه أثناء حكمه، وقد كانوا اثنا عشر نفرًا، ومن يقترف مثل هذا الفعل ويعتقد أن هذا حق فهو بهذا في العذاب والهلاك.

الرابعة والأربعون "الإسكافية": وهم قوم يقولون بأن الله تعالى ليس قادرًا علـى ظلم العقلاء، وقـادرٌ علـى أن يظلـم الأطفـال والمجـانين، وهم بهـذه الأقـوال وبهـذه الاعتقادات يقعون في العذاب والهلاك.

الخامسـة والأربعون "الإسـماعيلية": وهم قوم يثبتون الإمامـة لإسماعيل بـن جعفر الصادق، وهؤلاء في مذهبهم الله ليس موجودًا ولا معدومًا، ولا قادرًا ولا عاجزًا، وهم يقولـون هذا فـي جميـع الصـفات، ومن يـذهب إلـى هذه الطريقة فهو فـي العذاب والهلاك.

السادسة والأربعون "النصيرية": وهم قوم رئيسهم "نصير" عبد حضرة علـي- كرم الله وجهـه-، وهم يقولـون بـأن الله قد حلَّ فـي علـي- كرم الله وجهـه-، ولهـذا يعبدونه، ويخبئون مقالاتهم وكتبهم عن سائر النـاس، وهم بهذه الأقوال وبهـذه الاعتقادات يقعون في العذاب والهلاك.

السـابعة والأربعـون "النظاميـة": وهـم مـن شـياطين القدريـة، قـوم يتبعـون كتـب الفلاسفة، وقد خلطـوا أقـوالهم بـأقوال المعتزلـة، يقولـون الله تعـالى لـيس قـادرًا على صلاح عباد في الدنيا، حتى لو فعلوا الخير فليس قادرًا على أن يثيبهم بالجنـة أو يعـاقبهم بالنـار، ولا أن يزيـد علـى ذلـك أو يـنقص، وهـم بهـذه الاعتقادات وبهذه الأقوال يقعون في العذاب والهلاك.

الثامنـة والأربعـون "الإسـحاقية": وهـم قـوم أقـوالهم واعتقـاداتهم كـأقوال واعتقـادات النصيرية، وهم بهذا يقعون في العذاب والهلاك.

التاسعة والأربعون "الإباضية": وهم يقولون بأن من خالفنا من أهل القبلة فهو كافر، ويقولون بأن مرتكب الكبيرة ليس بموحد ولا مؤمن، ويقولون بناء على هذا بأن الأعمال جزء من الإيمان، ويكفرون حضرة علي وأكثر أصحابه، وهم يقعون في العذاب والهلاك الأبدي.

الخمسون "الأسوارية": يقولون بأن الله تعالى ليس قادرًا، والإنسان قادر على العلم بالأشياء في العدم، وهم بهذه الأقوال وهذه الاعتقادات يقعون في العذاب والهلاك.[195]

الواحد والخمسون "الخائطية": وهم قوم يقولون بأن هذا العالم له إلاهين؛ أحدهما قديم والآخر حادث، والقديم هو الله تعالى، والحادث هو المسيح يعني حضرت عيسى، ويقولون بأن حضرة عيسى هو الذي سوف يحاسب الخلق يوم القيامة، ويأخذون بما جاء في الآية الكريمة حيث يقول الحق تعالى: "وجاء ربك والملك صفًّا صفًّا"، فيفسرونها على ظاهرها، ويقولون بأن الله تعالى صورته على صورة آدم، وهم بهذه العقيدة الفاسدة وبأقوالهم يقعون في العذاب والهلاك.

الثانية والخمسون "البرغوثية": وهم قوم يقولون بأن كلام الله تبارك وتعالى حينما يُقرأ يكون عرضًا وعند الكتابة يكون جسمًا، وهم بهذا الاعتقاد يقعون في العذاب والهلاك.

الثالثة والخمسون "الحارثية": وهم قوم يقولون بأن أفعال العبد والعباد إنما هي مخلوقة لله تعالى، وكذلك الاستطاعة إنما تكون لله تعالى قبل الفعل، وهم بهذا يقعون في العذاب والهلاك، ورئيسهم أبو الحارث.[196]

195 مِنْهُم الأسوارية وهم أَتبَاع على الأسواري وَكَانَ من أَتبَاع النظام مُوَافقا لَهُ فِي جَمِيع مَا ذَكرْنَاهُ من فضائحه وضلالاته وَزَاد عَلَيْهِ بِأَن قَالَ إِن مَا علم الله تَعَالَى أَن لَا يكون لم يكن مَقْدُورًا لله تَعَالَى وَهَذَا القَوْل مِنْهُ يُوجب أَن تكون قدرَة الله تَعَالَى متناهية وَمن كَانَ قدرته متناهية كَانَ ذَاته متناهية وَالْقَوْل بِهِ كفر من قَائِله، الإسفراييني، *التبصير في الدين*، ص 73.

الرابعة والخمسون "الحطابية": وهم قوم يقولون بأن الأئمة هم أنبياء، وأبو حطّاب نبي، ويرون جواز شهادة الزور من موافقيهم على مخالفيهم، ويقولون بأن الجنة هي نعمت الدنيا، وكذلك جهنم يجب أن تكون في الدنيا، وهذا الاعتقاد منسوب إلى "أبو حطّاب محمد بن وهب الأجدع"، وهم بهذه الاعتقادات وبهذه الأقوال يقعون في العذاب والهلاك.[197]

الخامسة والخمسون "الخُليفية": وهم قوم من الخوارج، يحكمون على أولاد المشركين بدخول جهنّم حتى إن لم يفعلوا أي ذنب، وهم بهذه الأقوال وبهذه الاعتقادات يقعون في العذاب والهلاك.

السادسة والخمسون "الزُرادية": وهم قوم يقولون بأن جميع صفات الله تعالى حادثة، وهم بهذه الأقوال وبهذا الاعتقادات يقعون في العذاب والهلاك.

السابعة والخمسون الزعفرانية: وهم قوم يقولون بأن كلام الله تعالى هو غيره، وكل ما هو غير الله مخلوق، ويقولون بأن من يقول بأن كلام الله تعالى غير مخلوق فهو كافر، وهم بهذه الاعتقادات وبهذه الأقوال يقعون في العذاب والهلاك.[198]

---

196 منهم هؤلاء اتباع حارث بن مزيد الأباضي وهم الذين قالوا في باب القدر بمثل قول المعتزلة وزعموا ايضا أن الاستطاعة قبل الفعل وأكفرهم سائر الأباضية في ذلك لان جمهورهم على قول أهل السنة فى ان الله تعالى خالق أعمال العباد وفى أن الاستطاعة مع الفعل وزعمت الحارثية انه لم يكن لهم إمام بعد المحكمة الاولى إلا عبد الله بن أباضى وبعده حارث ابن مزيد الإباضى، البغدادي، الفرق بين الفِرق، ص 84.

197 الحطابية: وهم يَزْعمُونَ أَن الله تَعَالَى حل فِي عَليّ ثمَّ فِي الْحسن ثمَّ فِي الْحُسَيْن ثمَّ فِي زين العابدين ثمَّ فِي الباقر فِي الصَّادِق وَتوجه هَؤُلَاءِ الى مَكَّة فِي زمن جَعْفَر الصَّادِق وَكَانُوا يعبدونه فَلَمَّا سمع الصَّادِق بذلك فأبلغ ذَلِك أَبَا الْخطاب وَهُوَ رئيسهم فَزعم أَن الله تَعَالَى قد انْفَصل عَن جَعْفَر وَحل فِيهِ وَأَنه هُوَ أكمل من الله تَعَالَى ثمَّ إِنَّه قتل"، الفخر الرازي، *اعتقادات فرق المسلمين والمشركين*، تحقيق علي سامي النشار، بيروت: دار الكتب العلمية، ص 85.

198 ذكر الزعفرانية منهم هؤلاء اتباع الزعفرانى الذى كان بالرى وكان يناقض بآخر كلامه اوله فيقول ان كلام الله تعالى غيره وكل ما هو غير الله تعالى مخلوق ثم يقول مع ذلك الكلب خير ممن يقول كلام الله مخلوق وذكر بعض أصحاب التواريخ أن هذا الزعفرانى أراد أن يشهر نفسه فى الآفاق فأكترى رجلا على أن يخرج الى مكة ويسبه ويلعنه فى مواسم مكة ليشتهر

الثامنة والخمسون "السيائية": وهم قوم يقولون بأن حضرة علي لم يمت، وأن الشيطان قد تمثّل في صورة علي وهو الذي قتله "ابنُ مُلجم"، أما حضرت علي فهو في السَّحاب، والرعد هو صوته، والبرق هو غمضة عينه، وسوف يرجع مرة أخرى إلى الأرض بعد مدة معينة، ويملأ الأرض عدلاً، وهم حينما يسمعون أصوات الرعد يقولون: عليك السلام يا أمير المؤمنين، وهم بهذا الاعتقاد الفاسد والكلام الباطل يقعون في العذاب والهلاك.

التاسعة والخمسون "السليمانية": وهم قوم يقولون بأن الإمامة بالمشورة، ولو اختار الخلق من خيار المسلمين اثنين تنعقد لهما الإمامة، ويقولون بإمامة حضرت أبي وعمر، ويقولون بأن البيعة قد تمت لهم فسقهما بتركهما البيعة لحضرت علي، وهم يجوّزون على هذا إمامة المفضول مع وجود الفاضل، وهم يكفرون حضرة عثمان وطلحة والزبير وحضرة عائشة- رضي الله عنهم-، وهم بهذه الأقوال وبهذه الاعتقادات يقعون في العذاب والهلاك.[199]

الستون "الشيعة": وهم يقولون بأن حضرت علي وهو شاب، يعتقدون بأنه الإمام بعد الرسول- عليه الصلاة والسلام-، وأن الإمامة في أولاده ونسله من بعده ومن نزَل، لا تخرج الإمامة منهم، وهم بهذه الاعتقادات وبهذه الأقوال يقعون في العذاب والهلاك.

ذكره عند حجيج الآفاق وقد بلغ حمق أتباعه بالرى أن قوما منهم لا يأكلون العنجد حرمة للزعفراني ويزعمون انه كان يحب ذلك وقالوا لا نأكل محبوبه"، البغدادي، *الفرق بين الفرق*، ص 196-197.

199 وأما السليمانية فهم أتباع سليمان بن جرير الزيدي وكان يقول إن الإمامة شورى ومتى ما عقدها اثنان من اخيار الأئمة لمن يصلح لها فهو إمام في الحقيقة وكان يقر بامامة أبي بكر وعمر ويجوز إمامة المفضول وكان يقول إن الصحابة تركوا الأصلح بتركهم بيعة علي فإنه كان أولى بها وكان إعراضهم عنه، خطأ لا يوجب كفرا ولا فسقا وهؤلاء كانوا يكفرون عثمان بسبب ما أخذ عليه من الأحداث وكفرهم أهل السنة والجماعة بتكفيرهم عثمان وربما يدعى هؤلاء جريرية"، الإسفراييني، *التبصير في الدين*، ص 28.

الواحد والستون "الشُّعيبية": وهم قوم أقوالهم كأقوال الميمونية عدا في القدر، ورئيسهم "شعيب بن محمد"، وهم بهذه الأقوال وبهذه الاعتقادات يقعون في العذاب والهلاك.[200]

الثانية والستون "الشيبانية": وهم قوم يقولون بالجبر، وينفون القدر، وعلى رأسهم "شيبان بن سلمة"، وهم بهذه الأقوال وبهذه الاعتقادات يقعون في العذاب والهلاك.[201]

الثالثة والستون "الغرابية": وهم قوم يقولون بأن حضرة رسول الله ﷺ يشبه حضرة علي، كما يشبه الغرابُ الغرابَ، ويقولون بأن الله قد أرسل حضرة جبرائيل عليه السلام إلى حضرة علي، لكن حضرة جبرائيل عليه السلام

---

200 الفرقة الخامسة من العجاردة الشعيبية أصحاب شعيب وهو رجل بريئ من ميمون ومن قوله فقال أنه لا يستطيع أحد أن يعمل إلا ما شاء الله وأن أعمال العباد مخلوقة لله، وكان سبب فرقة الشعيبية والميمونية أنه كان لميمون على شعيب مال فتقاضاه فقال له شعيب: أعطيكه إن شاء الله فقال ميمون: قد شاء الله أن تعطينيه الساعة فقال شعيب: لو شاء الله لم أقدر ألا أعطيكه فقال ميمون: فإن الله قد شاء ما أمر وما لم يأمر لم يشأ، وما لم يشأ لم يأمر فتابع ناس ميموناً وتابع ناس شعيبا، فكتبوا إلى عبد الكريم بن عجرد وهو في حبس خالد بن عبد الله البجلي يعلمونه قول ميمون وشعيب فكتب عبد الكريم: إنا نقول ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولا نلحق بالله سوءاً فوصل الكتاب إليهم ومات عبد الكريم فادعى ميمون أنه قال بقوله حين قال: لا نلحق بالله سوءاً وقال شعيب لا بل قال بقولي حيث قال: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فتولوا جميعاً عبد الكريم وبرئ بعضهم من بعض، أبو الحسن الأشعري، *مقالات الإسلاميين*، ص94.

201 الفرقة الثالثة عشرة من العجاردة وهي الثالثة من الثعالبة الشيبانية أصحاب شيبان بن سلمة الخارج أيام أبي مسلم والمعين له، ومن قصتهم أن شيبان بن سلمة لما أحدث أحداثاً من معاونة أبي مسلم وغير ذلك برئت منه الخوارج فلما قتل شيبان جاء قوم فذكروا توبته فلم تقبل الثعلبية منهم توبة شيبان كانت قتل المسلمين وأخذ أموالهم وضربهم فإن كنتم دفعتم من دار العلانية فإنا لا نقبل من القاتل في دار العلانية توبة حتى يعفو عنه ولي المقتول ولا نقبل توبة من ضرب المسلمين حتى يقص من نفسه أو يوهب ذلك له وحتى يرد أموالهم، وشيبان لم يفعل شيئاً من ذلك فإن زعمتم أنكم قد دفعتم توبته من دار التقية فقد كذبتم فإن أمره كان ظاهراً ودعوته كانت ظاهرة إلى أن قتل، فقبل قوم منهم توبته فسموا الشيبانية ثم إن الشيبانية أحدثوا التشبيه لله بخلقه، وثبت قوم منهم على قول الثعلبية وهم أعظم أصحاب الثعلبية وجمهورهم، فسموا الزيادية وذلك أن رجلاً منهم كان يسمى زياد بن عبد الرحمن كان فقيه الثعلبية ورئيسهم، ثم إن الشيبانية الذين أجازوا توبته قالوا في الولاية والعداوة أنهما صفتان لله من صفات الذات لا من صفات الفعل". الأشعري، *مقالات الإسلاميين*، ص 98.

أخطأ، فهم يعتقدون هذا، وهم بهذه الأقوال وبهذه الاعتقادات يقعون في العذاب والهلاك.[202]

الرابعة والستون "العنانية": وهم يقولون بأن الإيمان هو العلم بالله وبرسوله، ومنه المجمل والمفصل، ويقولون بأن الإيمان يزيد وينقص، وينقل عنهم بأنهم ينكرون نبوة عيسى عليه السلام، وهم بهذه الأقوال وبهذا الإنكار يقعون في العذاب والهلاك.[203]

الخامسة والستون "اللا أدرية": وهم ينكرون ثبوت الأشياء، ففي نظرهم لا يوجد شيء ثابت، وهم بهذا الإنكار يقعون في العذاب والهلاك.[204]

السادسة والستون "المجهولية": وهم قوم مذهبهم كمذهب الجازمية، يقولون بأن من يعرف بعض أسماء الحق تعالى فذلك يكفيه كي يكون مؤمنًا، وهم بهذه الاعتقادات وبهذه الأقوال يقعون في العذاب والهلاك.[205]

السابعة والستون "الضرارية": وهم قوم رئيسهم ضرار بن عمر، وهم يقولون بأن المؤمن يجب عليه أن يعرف جميع أسماء الله تعالى وصفاته، ومن لم يعرفها

---

202 الإسفراييني، *التبصير في الدين*، ص 128؛ البغدادي، *الفرق بين الفرق*، 237.

203 ذكرهم الشهرستاني أول ما ذكر فرق اليهود، يقول: " نسبوا إلى رجل يقال له عنان بن داود، رأس الجالوت. يخالفون سائر اليهود في السبت والأعياد، وينهون عن أكل الطير والظباء والسمك والجراد، ويذبحون الحيوان على القفا، ويصدقون عيسى عليه السلام في مواعظه وإشاراته. ويقولون إنه لم يخالف التوراة ألبتة، بل قررها، ودعا الناس إليها، وهو من بني إسرائيل المتعبدين بالتوراة ومن المستجيبين لموسى عليه السلام؛ إلا أنهم لا يقولون بنبوته ورسالته.، من هؤلاء من يقول: إن عيسى عليه السلام لم يدع أنه نبي مرسل، وليس من بني إسرائيل، وليس هو صاحب شريعة ناسخة لشريعة موسى عليه السلام، بل هو من أولياء الله المخلصين العارفين بأحكام التوراة. وليس الإنجيل كتاباً إنزل عليه وحياً من الله تعالى، بل هو جمع أحواله من مبدئه إلى كماله، وإنما جمعه أربعة من أصحابه الحواريين فكيف يكون كتاباً منزلاً؟"، الشهرستاني، *الملل والنحل*، (القاهرة: مؤسسة الحلبي، دون تاريخ)، 20/2.

204 ابن تيمية، *التسعينية*، تحقيق محمد بن إبراهيم العجلان، (الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، 1999)، 252/1، وقد أتبعهم بالسوفسطائية.

205 الفرقة الثامنة من العجاردة وهي الثالثة من الخازمية المجهولية، ومن قولهم أن من علم الله ببعض أسمائه فقد علمه ولم يجهله وقالوا بإثبات القدر، الأشعري، *مقالات الإسلاميين*، 96.

فهو جاهل ليس بمؤمن، يكون مؤمنًا بعد العلم بها جميعًا، وهم بهذه الأقوال يقعون في العذاب.[206]

الثامنة والستون "المفوضية": وهم قومٌ يقولون بأن الله تعالى قد فوّض خلق الدنيا لمحمد المصطفى، وبهذا يقعون في العذاب والهلاك.[207]

التاسعة والستون "المكرمية": يكرمون العِجل، ويقولون بأن تارك الصلاة كافرٌ، وليس يكفر بسبب تركه الصلاة وإنما لجهله بالله تعالى، وهم بهذه الأفعال وبهذه الأقوال يقعون في العذاب والهلاك.[208]

السبعون "المنصورية": وهم قوم رئيسهم "أبو منصور العجلي"، يقولون بأن بعث الرسل ليس منقطعًا، وإن الجنة إنما تكون بطاعة وحب الإمام، وجهنم تكون بعصيانه وبغضه، وهم بهذه الاعتقادات يقعون في الهلاك والعذاب.

الواحدة والسبعون "الميمونية": وهم قوم يقولون بالقدر، ويقولون بأن الاستطاعة قبل الفعل، ويقولون بأن الله يريد الخير ولا يريد الشر، وإن أولاد الكفار في الجنة، ويجوزون إعطاء البنت للولد، وقد أنكر هذا في سورة يوسف، ورئيسهم "ميمون بن عمران"، وهم بهذه الأقوال وبهذه الأفعال وبهذه الإنكارات يقعون في العذاب والهلاك.[209]

---

206 الأشعري، مقالات الإسلاميين، ص 281.

207 السابعة من غلاة الروافض؛ المفوضية وهم قوم يزعمون أن الباري تعالى خلق روح علي وأرواح أولاده وفوض العالم إليهم فخلقوا هم الأرضين والسموات قالوا ومن ههنا قلنا في الركوع سبحان ربي العظيم وفي السجود سبحان ربي الأعلى لأن الإله هو على وأولاده وأما الإله الأعظم فهو الذي فوض إليهم العالم، الفخر الرازي، *اعتقادات فرق المسلمين والمشركين*، ص 59.

208 والفرقة الخامسة عشرة من العجاردة وهي الخامسة من الثعالبة المكرمية أصحاب أبي مكرم ومما تفردوا به أنهم زعموا أن تارك الصلاة كافر وليس هو من قبل تركه الصلاة كفر ولكن من قبل جهله بالله وكذلك قالوا في سائر الكبائر، وزعموا أن من أتى كبيرة فقد جهل الله سبحانه وبتلك الجهالة كفر لا بركوبه المعصية، أبو الحسن الأشعري، *مقالات الإسلاميين*، 100.

209 وقالت الميمونية وهم فرقة من العجاردة والعجاردة فرقة من الصفرية بإجازة نكاح بنات البنات وبنات البنين وبنات بني الإخوة والأخوات، ابن حزم، *الفصل في الفصل*، (القاهرة: مكتبة الخانجي، دون تاريخ)، 45/4.

الثانيـة والسـبعون "النجّاريـة": وهم قوم رئيسهم "محمد بن الحسين النجّار"، ينفي الصفات الوجودية وصفة الكلام والرؤية، وهم موافقون لاعتقاد المعتزلة، لهذا يقعون في العذاب والهلاك.

***

تم بعون الله تعالى تحرير هذه الرسالة، على يد أضعف العباد وأحقرهم، المحتاج إلى رحمة الله تعالى، موسى بن فضل الله، غفر الله له ولوالديه ولجميع المؤمنين، سنة 1111 هـ، في شهر ذي الحجة الشريفة.

آصف نامه

تأليف الوزير الأعظم لطفي باشا

ترجمة من العثمانية إلى العربية

د / رامي إبراهيم البنّا



الحمد لله الرزاق الذي ليس له مثيل، وهو منزّهٌ عن الشبيه والنظير، وهو السلطان الذي ليس له وزير، والصلوات والتحيات على أعظم الأنبياء أجمعين، وقائد الأصفياء البشير النذير، وعلى أصحابه المختارين، الذين بذلوا في سبيل نصرة هذا الدين وإحيائه كل التدابير، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، مادامت السّماوات والأرضين.

أما بعد،

فإن مؤلف هذه الرسالة، أضعف العباد لطفي باشا بن عبد المؤمن، قد خدم الدولة العلية في عدة وظائف، منذ عهد المرحوم- جعل الله مكانه الجنة- السلطان بايزيد خان، حينما كان الحقير يعمل في الحرم الخاص، وكان غارقاً في نِعَم السلطان، مريدًا الخير للآستانة العثمانية، كما حصَّل كثيرًا من المعارف والآداب أزمانا كثيرة حينما كان في الحرم الخاص، وحينما جلس السلطان سليم خان على العرش مُنِح خمسون أقجة وخرج إلى الأقاليم، بعد ذلك أصبح جاشنكير[210]، ثم أصبح قبوجي[211]، ثم مير عَلَملك[212]، ثم تقلّد سنجاق قسطمونو[213]، ثم أُسندت له وزارة بيكلربكيلي قرمان.[214]

---

210 وظيفة من يتولى الإشراف على الطعام في السراي العثماني؛ انظر موسوعة المعارف الإسلامية التركية؛ Aydın Taneri, "Çaşnigîr", TDV.

211 بمعنى الذي ينتظر على الباب ينظر في أمور الداخلين على السلطان، انظر موسوعة المعارف الإسلامية التركية:.Abdülkadir Özcan, "Kapıcı", TDV

212 وظيفة القائد الذي يحمل راية السلطان في الحرب، انظر: .Abdülkerim Özaydın, "Mîr-İ Alem", TDV

213 يعني ولاية منطقة قسطمونو، وقسطمونو مدينة تقع على البحر الأسود.

214 البيلربيليك تعتبر أكبر وحدة تجمّع إداري وعسكري ومنها يكون تدبير الإيالة عسكريا وإداريا، انظر: Mehmet İpşirli, "Beylerbeyi", TDV.

إن الحقير بعد أن خرج من الأقاليم أُتيح له أن يتعرّف على العلماء والشعراء والظرفاء، وتدور بينه وبينهم مجالسات وأحاديث، واجتهدت في تحصيل العلوم الشريفة والأخلاق المنيفة على قدر الطاقة.

ولمَّا صدر الفرمان العالي بتوليتي وظيفة الصدر الأعظم من سلطاننا؛ أعظم السلاطين وأكرم الخواقين، ناصر عباد الله وحامي بلاد الله، الغازي في سبيل الله وخادم الحرمين الشريفين، مالك البرِّين والبحرين، السلطان سليمان خان، أدام الله تعالى عزَّتَه، رأيت أثناء وزارتي بعض الأمور المخالفة لما عهدته من قبل من الآداب والأركان المتَّبَعة في القانون الديواني والهمايوني؛ لهذا صنعتُ هذه الرسالة؛ وجعلتُها تتضمّن الآداب والأركان التي ينبغي أن تتبع في وظيفة الوزارة العظمى ولوازم الصدارة الكبرى، لتكون هذه الرسالة تذكرةً لإخواني الذين سيتولّون هذا المقام، وقد سمّيتها "آصف نامه"، لعلَّ إخواني الذين يتولّون هذا المقام وينظرون في هذه الرسالة وينالون نفعًا منها، أن يدعوا للحقير بظهر الغيب.

وقد قسَّمت هذه الرسالة إلى أربعة أبواب:

الباب الأول: في أخلاق الوزير الأعظم؛ فيما ينبغي أن يكون عليه الوزير الأعظم، وكيف تكون بينه وبين السلطان المعاملة، وما ينبغي ان يُراعى في هذه المعاملة.

الباب الثاني: فيما ينبغي مراعاته في الأسفار والحروب.

الباب الثالث: فيما ينبغي مراعاته في تدبير أمور الخزينة.

الباب الرابع: فيما ينبغي مراعاته في تدبير أمر الرعايا.

وحينما تولّى هذا الحقير منصب الوزارة؛ وجدتُ أحوال الديوان العالي في حالة يُرثى لها، وخلال سبع سنوات توليتي هذا المنصب سعيت قدر الإمكان في تنظيم أحواله.

بعد ذلك سعى بعضُ المنافقين الذين في قلوبهم مرضٌ بالوشاية فيّ إلى سلطاننا المعظَّم فيما يتعلَّق ببعض الأمور الخاصَّة بحرمنا[215]، ولكي أنجوَ من مكر النساء ولا أكون تحت إمرتهم، لجأتُ إلى الانزواء على نفسي وذهبتُ إلى مزرعتي في أدرنة[216]، فارغَ البال مقترنًا بعزة الجناب العالي؛ فدولة الدنيا فانية سريعة الزوال كثيرة الارتحال، فاستراحة العاقل غير الغافل الانزواء على نفسه بدلا من مشاهدة الحدائق والحياة الفارهة، والله المستعان وعليه التكلان، نسأله سبحانه وهو الحق أن يحفظ الدولة العلية العثمانية من ريح الخوف والأخطار، ومن سوء نظر الأعداء، آمين آمين.

215 انظر المشكلة بين لطفي باشا وحرمه.

216 إدرنة مدينة تقع في أقصى الجهة الشمالية الغربية من الجزء الأوروبي للجمهورية التركية.

الباب الأول

فيما ينبغي أن يكون عليه الوزير الأعظم من أخلاق وآداب، وما يكون بين السلطان الأعظم وبين الوزير من معاملة.

أولاً ينبغي لمن يتقلّد وظيفة الصدر الأعظم أن يكون خاليًا عن الأغراض الدنيوية، يُراعي في الأمور أن تكون لله وفي الله ولوجه الله، ومن المعلوم أن لا منصب يصل إليه المرء أعلى من هذا المنصب، فلا يمنعنّه قربه من السلطان الأعظم أن يقول كلمة الحق، وأن يُشهِدَ الله على ذلك.

ولا يجوز للوزير الأعظم أن يذيع أخبار السلطان في الخارج، ولا حتى أن ينشرها داخل الوزارة، وقد تولّى في زمن السلطان المرحوم المعروف بين السلاطين بالعدل والغزو في سبيل الله والمعرفة والسخاء، المتفرِّد في ميدان السلطنة، السلطان سليم، المرحوم بيري باشا منصب الدفتردار[217]، ولمَّا توفر فيه العقل وصحة الرأي والهمة العالية اختاره السلطان لتوليته منصب الوزير الأعظم، وكان يتشاور مع السلطان في الأمور الخاصة للدولة في وقت العَصْر حينما يكون السلطان مجتمعا نشاطه، يجتمع به ويستفيض مع في هذه الأمور، وكان قد سأله من الوزراء مسيح باشا سؤالا قائلا: "ما الذي جرى بينكما أمس؟"، همَّ الوزير الأعظم بتعزيره وعزله، إلا أن مسيح باشا قد خلُص من هذا الأمر بشق الأنفس عن طريق شفاعة الكثيرين له عند بيري باشا.

ولا ينبغي أن يكون السلطان كثير المخالطة لنُدَمائه، وهذا لا يعني ألا يكون السلطان دون نديم، فلا يخلو ملكٌ من نديم له وصاحب، لكن الذي ينبغي فعله، ألا يتعدّى الأمر حدَّه، ويصيب الرعيةَ ظلمٌ جرّاء ذلك، فينال الندماء والأصحاب العطايا والخِلَع دون أن يتدخّل في مصالح الخلق.

217 يطلق على من يتولّى أمور المالية في الدولة العثمانية، Mübahat S. Kütükoğlu, "Defterdar", TDV.

ولا ينبغي للسلطان المعظَّم أن يكون مختفياً وراء حجاب عن الرعية، وأن يسعى الوزير الأكبر في تقوية أمشاج الصلة بينه وبين عامة الخلق، كذلك لا ينبغي للوزير الأكبر أن يرجع في الأمور التي يعرضها على السلطان، بعد قبول السلطان لها.

وينبغي للوزير الأكبر أن ينتبه في تولية المناصب؛ فتكون توليته إياها دون غرض، يولّي من يستحق المنصب، ويقرِّب لنفسه الفقراء والضعفاء، ويقوّيهم ويعطيهم الوظائف، فهؤلاء سيكونون أقوياء بمرور الزمن ويخدمون في الحرب، والوزير الأكبر ينبغي أن يكون حكيمًا صاحب رأي وتدبير، ينصر الضعفاء والمرضى وأصحاب الفاقة، فهذا هو معنى الوزير الأعظم.

ولله الحمد والمنة دولتنا العلية في سعةٍ من الأمر ووفرة الإمكان؛ فينبغي التمتّع بهذه النّعم، وهذا لكل الرعية وخاصة أولاد الوزير الأعظم، وكبار المخضرمين من رجال الدولة العثمانية العلية، وكذلك العائلة العثمانية، فلا تدَع الدولةُ أحدًا من أولاد الوزير محتاجًا لشيء، وتمنح كلًا منهم على قدر موهبته وخبرته، فمقام الوزارة هذا قد كان بفضل هؤلاء الآباء، وبهذه الطريقة لن يُترَك مكانٌ لخيانة الدولة العلية، وسيكون ولاؤهم للدولة ويكونون أصحاب بصيرة ينفعون الدولة، فلو مُنِحت الوزارة لأحد من أبناء الوزير فلا ينبغي أن يستكثر ذلك أحدٌ، خاصة أولئك الذين أصبحوا مشهورين نتيجة توليتهم مناصب في الدولة، وهم آباء أو أقرباء، فهؤلاء هم أكثر الناس ولاءً حينما يتولّون وظائف في الحروب، وهذا بفعل الحسب والنسب الذي يربط بينهم، على أن يُرَاعى مع ذلك أن تُعطى الزعامة لأصحاب القدرة والشجاعة والبأس، فهم الذين يتحمّلون راية الله ورسوله في الجهاد في سبيل الله.

ولا ينبغي أن يمنح الوزير أتباعه الزعامة، لِيقنعوا بالعطايا كالمزارع ونحوها، وإن مُنحوا هذا ينبغي أن يكون قليلا، فلا يمضي سيفان أو ثلاثة مجتمعين، ولا

ينبغي إبطال هذا القانون القديم من أجل أحدٍ ما، فإذا أصاب العسكرُ قلةً واجتمعت هذه السيوف سويًا قد يذهب الإخلاص، وعلى هذا جاء قول السابقين: "لا يجوّز العقلاء اجتماع عدة سيوف في مكانٍ واحدٍ" وهذا مقتضى المنطق، لكن إذا منحوا وظائف مثل الدفتردار أو النيشانجي[218] فهذا أمرٌ آخر.

وإن فعل ذلك سهوًا فمن حق رئيس الكتاب أن يحوّل قراره مرة أخرى بحجّة "ألّا يجتمع سيفان في مكانٍ واحد" ويُرجعه إلى الوزير الأعظم مرة أخرى، لينظر في القرار مرة أخرى، ويلزم أن يقول بأن "ليس قانونًا"، لكن السلاطين السابقين قد لعنوا من أتى بسيفين في محلٍّ واحد، فلا يضع الوزير الأعظم سيفين في مكانٍ واحد، ويجب أن يكون رجال الدولة مثل رئيس الكتاب وأمين الدفتر في الديوان ممن يعرفون القانون، ويمنحون الوظائف لمن يعرف القانون، فلو اتخذ الوزير الأعظم قرارًا سهوًا مخالفًا للمصلحة فحينئذ لهم القول بأن هذا "ليس قانونًا".

ولا ينبغي التسرّع في اتخاذ قرار بشأن الرسول (البريد)، فلا يوجد في الممالك العثمانية أحدٌّ أكثر ظلمًا وقسوة من الرسول، فقرار تعيين الرسول هامٌّ جدًّا، ينبغي أن يُراعى ألا يوضع في مكان قد يأتي للدولة منه ضرر، لا بد أن يوضع الرسول في المكان المناسب، ولا يمنح له مكان في الداخل، فهو غير صحيح بحالٍ، وقد رسمتُ طرُقًا ووضعت لهم منازل في النواحي كي أخلّص الفقراء منهم أثناء فترة صدارتي.

ينبغي للوزير الأعظم أن يحفظ السلطان من الوقوع في حب المال ومن وبال الإسراف في ذلك، وما يأتي بيت المال من نقود مهما كثُرَ إذا كانت متعلّة بورثة فينبغي أن تُحفظَ ولا ينالها أحدٌ، فهي أمانة للورثة، وقد فعل الحقير العاجز[219] مثل

218 النيشانجي: أحد الوظائف العليا في الديوان الهومايوني العثماني، وهو يشبه كاتب السرّ في العهد المملوكي، انظر: Erhan Afyoncu, "Nişanci", TDV.

219 يقصد نفسه.

هذا، وقد كان المرحوم السلطان سليم[220] خان المعروف بالعدالة بين الناس، يضع هذه الأموال في الباب الهمايوني لمدة سبع سنوات أمانة لا يقترب إليها أحد، وفي خلال السبع سنوات هذه إذا أتى إخبار أو عُلِم بطريقة ما أن لهذه الأموال ورثة؛ فبها ونعمت، وإلا بعد انقضاء هذه المدة تُضَمّ هذه الأموال لخزينة الدولة، ذلك لأن اختلاط أموال الرعية بأموال السلطان هو أحد أسباب زوال الدولة، وربما كان سببًا في إتلاف أموال الخزينة وبيت المال وإمحاق بركتها واختلال نظام الدولة وتدخّل عباد الله أمور الدولة، كما يجب حفظ حقوق مال يتامى العسكر.

ويجب على الوزير الأعظم السّعي في اختيار أصحاب العقل والتدبير من طائفة العبيد كي يكونوا أمراء، لأن العبيد إذا لم يكن له نظام مضبوط لن تستتبَّ الراحة للوزير الأعظم. ويجب على الوزير الأعظم أن يقول ما هو النافع في الدّين والدّولة دون توقّفٍ للسلطان، ولا يجب على الوزير أن يخاف من العزل، فلأن يكون بين الناس محبوبًا معزولاً، خيرٌ له من أن ألا يقوم بما عليه من أركان وظيفته، وبناءً عليه فيجب للوزير الأعظم أن يتصدّى كلِّ ما يجلب الشينَ للدولة على ألسنة الرعية ويشيع النميمة، ويكون السبب في أن يلوك الناسُ ألسنتهم تجاه الدّولة، ويعترض على تعيين وزراء أو رجال دولة ليسوا أهلاً أو لائقين للوظيفة المطلوبة، ويجب على الوزير الأعظم أن يتعهّد الوزراء الذين في الأقاليم، فإذا أتت بخصوصهم شكوى من الرعية، يجب عليه النظر في هذا، إن كان الوزير مذنبًا أُخذَ منه تعهدًا مكتوبًا بعدم العودة إلى فعله مرة أخرى، وإن كان الأمر أكبر من ذلك فقد يتطلّبُ الأمر فرمانًا بأن "يجب عليكم الرجوع عما تفعلونه وإلا سيقع عليكم العقاب"، وهكذا، ولا ينبغي أن تكون مثل هذه الأفعال سببًا من أسباب العزل أو لا

220 هنا اختلفت النسخ، فوفقًا لمحبة محققة نشرة آصف نامه الصادرة من جامعة استانبول، أن ثلاثة ذكروا "سليمان" بدلا من "سليم" بينما نسخة Ü وقد أعطتها أهمية كبيرة لما فيها من شروح وتوضيحات ذكرت "سليم" بدلا من "سليمان" وهو ما اعتمدته في المتن، وهو الذي يبدو لي؛ إذ المعهود في الرسالة حكاية لطفي باشا عن سليم وما قبله من السلاطين، إضافة إلى وقوع خلاف بينه وبين سليمان القانون في الأصل، كما حكى في المقدمة، وربما يكون كل هذا من تدخّل النسّاخ.

قدّر الله إعدام الوزير، فلا العزل ولا الإعدام يكون جائزًا بحالٍ في هذه الأمور، ومن حفر حفرة لأخيه وقع فيها، وإلا فلو لم يُفعلْ هذا ستكون إدارة الدولة أمرًا عسيرًا، فلو تعوّد الناس على الشكاية وقبول شكواهم لحصلت الشكوى من أصغر الأمور، فيأتون بها ليملئوا بها أنحاء إسلامبول، ويكونوا سببًا للقحط في الآستانة وباعثًا للازدحام، وهذا ظاهرٌ في أنه يؤدّي إلى كسر شوكة الدولة.

لا ينبغي أن يبالغ الوزير الأعظم في الخوف من عزله، وأن يعلم أن تركه لعمل على وجهٍ غير صحيح هو الخير له من البقاء في الوظيفة مع فعله، فيقال بفضل هذا على ألسنة الناس: "إن هذا الرجل لم يقبل أن يفعل أمرًا خطأ، وفضّل على ذلك أن يُعزَل"، وهذا أفضل شيءٌ يرجّحه العاقل لنفسه بأن يكون محبوبًا بين الناس شريفًا، فالدنيا كلها فانية زائلة، ومن يفعل الخير هنا فسوف يلقى ثوابه في الدنيا والآخرة حتمًا، وبهذا نطق القرآن الكريم، يقول الله تعالى: (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ)، صدق الله العظيم.

يجب على الوزير الأعظم أن يحافظ على الصلوات الخمسة، فيقيمها في جماعةٍ بمكانه، بابه يكون دائمًا مفتوحًا للناس، ومقابلته شخصيًا تكون سهلةً لهم، لا يكسر قلب أحدٍ يريد أن يعرض عليه أمرًا من الأمور، يفعل ذلك قدر الطاقة ويكون مرحبًا دائمًا بوجهٍ بشوش لكل من يقابله من الرعية.

يجب على الوزير الأعظم ألا يقبل هديةً من آكلي الحرام واللصوص، فأخذُ الرِّشوة هو أكبر مرضٍ لرجال الدّولة، وهو همٌّ ليس له علاج، كما أنه مجلبةٌ لفوضى الدّولة ووقوعها تحت أيدي الأعداء، لكنّ من اعتاد على أن يقبل هدايا من أصدقائه المقرّبين ممن هم ليسوا لهم حاجة، فهذا لا شيء فيه في حاله وزمانه، وإلا فيجب الابتعاد مطلقًا عن أخذِ الرشوة، نسأل الله العصمةَ!

يخصص لمقام الوزير الأعظم وللعاملين به 1200000 آقجه، فلو توفّر له مرسومٌ بقدر هذا ونصفه حصّل عشرين حملاً آقجه، كذلك إذا وفّر للأمراء الأكراد

والأمراء الأقوياء اثنين أو ثلاثة حملا من القماش والخيل، فهذا يلزم مجيء أربعة وعشرين حملا آقجه في السنة، ولله الحمد فإن الدولة العثمانية كافية لتقوم بهذا الإحسان، وقد كان هذا الحقير يحصِّل 15000 حملا آقجه لمطبخي ولمصاريف رجالي، وخمسة أحمال لخزانتي، وخمسة أحمالٍ للصدقة، وكنت أُطعِم الفقراء والمشايخ الصلحاء مرتين في الأسبوع، لروح حضرة صاحب الرسالة- صلوات الله عليه وسلامه- الشريفة، وكنت حينما أدعوهم نناقش ونتشاور في الأمور وأطلب نصيحتهم ودعاءهم، كما حصّلتُ الكثيرَ من أموال الغنائم والأعشار الحلال في الحروب، فكنتُ أنفِقُ هذه الأموال في وقتها على الفقراء وفي أمور الخير، فالحمد لله الذي أطعمنا وأكرمنا[221]، فالطمع وادٍ قبيح، والقناعة كنزٌ لا يفنى ومنافعها كثيرة، اللهم ارزقنا من القناعة ويسر لنا من الشفاعة.

وينبغي على الوزير الأعظم أن يصرف جميع أوقاته في تصريف أمور الدولة، فلا يليق به الوقوع في البغاء والملاهي وكثرة الحديث والنميمة والعشرة، فإذا عالج هذه الأمور- معاذ الله- فسيصعب عليه ضبط سائر الناس وحفظ نظامهم حينها، فاللائق بمَن يعتلي هذا المقام أن يتحلّى بالصمت والتقوى والخوف من الله، وأن يشغل نفسه بالصلاح قدر الطّاقة ويسعى في إصلاح العالم.

وينبغي على الوزير الأعظم يحترم أصحاب المناصب من أهل الديوان، كذلك أن يُجامِل أهل العلم والمعرفة المشار إليهم بالبنان، وأن يكسب قلوبهم، كما يجب لأهل الديوان أن يقبلوا حكم أي أحد من خارجهم، فبين طوائف العلماء والمدرسين تحاسدٌ ظاهرٌ، لذلك لا يُقبَل قولُ بعضهم في بعض، ويجب مقابلة رئيس العلماء باستمرار، وتعهُّدهم في مناصبهم ووظائفهم، وحضورهم وغيابهم، كذلك يُرَاعى مداومة النظر في كافة الخِدمات المقدَّمة في الكُتَّاب، الخدمات اليومية أو المقابلة

221 ورد هنا في نسخة محبة كلمة "الآية" بعد الدعاء، ولعلها زيادة من الناسخ ظنّ أن الدعاء "الحمد لله الذي أطعمنا وأكرمنا وجعلنا مسلمين" مثلا آية، فذكر على سبيل الاختصار هكذا.

والحساب أو غيرها مما ينبغي تعهده ومراقبته، ولا تُعطَى هذه الوظائف لمن لا يعرف الكتابة، فتُعطى هذه الدرجات لأهل القلم ومن هم على لياقة بها.

ويجب أن تكون ثمة جمعيةٌ بها مجالسٌ دائمةٌ بين كلٍّ من الوزير الأعظم وشيخ الإسلام، يكون فيها الوزير الأعظم، وحضرة شيخ الإسلام في جانبٍ، وبعده قاضي العسكر وبعده قاضي إستانبول، والوزراء في جانب، وبعده سيد سادة الروملي، أما فيما يخص إستانبول فبعده الدفتردار الرئيس[222]، وبعده أغا الإنكشارية[223]، وبعده دفتردار الأناضول والشق الثاني[224]، وبعده الأغاوات الخواصّ.

ومقابلة الوزير الأعظم لشيخ الإسلام في العيدين قانونٌ، ولو كان هناك شيءٌ عند شيخ الإسلام يجب على الوزير الأعظم أن يذهب إليه ويسأل عليه ويأخذ بخاطره الشريف، ولا يلزم أن يتقابلا في غير هذا الوقت.

وينبغي أن يُعلم مراتب أهل المناصب في مجلس الصدر الأعظم، ويُعلمَ ويُفهَمَ ما هو مقام كل واحدٍ منهم، وما ينبغي أن يُكرَم به يناسب هذا المقام، واجتماع الوزراء العظام مع بعضهم البعض ليس قانونًا، أولًا الوزراء هم تحت الوزير الأعظم، وطائفة سيد السّادة بايلرباي[225] تحت الوزراء، فلا يتصدّر فوق

222 هو رأس المالية في الدولة العثمانية يقابل وزير المالية اليوم، انظر: Mübahat S. Kütükoğlu, "Defterdar", TDV.

223 الانكشارية قوات مشاة وفرسان من النخبة بالجيش العثماني، وأغا الانكشارية قائد هذا الفيلق، انظر: Kemal Beydilli, "Yeniçeri", TDV.

224 تطوّر نظام المالية في عهد بايزيد الثاني (12مايو 1481-24 إبريل 1512)، فأُحدث دفترداد للمالية لكل من الروملي والأناضول والعرب وديار بكر، وكان يُطلق على الرئيس الذي عليهم كلهم باش دفتردار يعني رئيس الدفتردار، أما الآخرون فكان يُطلق عليهم دفتردار الشق الثاني ودفتردار الشق الثالث،

Türkiye'nin Maliye Tarihçesi, Serkiz Nihad'ın 1935 yılında yayınladığı Devlet Muhasebesi Usulü adlı eserinden alınmıştır, , *Muhasebe ve Finans Tarihi Araştırmaları Dergisi Temmuz 2018 (15)*, s.185

225 هم على رؤوس التجمّعات الإدارية في الأقاليم وهم مرشحون كي يُختار منهم الوزراء.

هؤلاء أحد، وبعدهم أصحاب السناجق وأرباب الجهاد، وقضاة العسكر تحت طائفة سيد السادة.

حكاية:

في يومٍ من الأيام عرض الوزير الأعظم على المرحوم حضرة السلطان سليم خان: "سلطاني، إن قضاة العسكر في الروملي والأناضول يقولون بأن طائفة سيد السادة (بايلرباي) يتصدّرون علينا، ويرجون منكم بأن يتصدّروا عليهم"، فأجاب السلطان قائلا: "إن السلاطين الماضية كلّهم قد رأوا صحةَ تصدُّر طائفة سيد السادة على قضاة العسكر، ولا أستطيع أن أبدِّلَ هذا القانون".

ولا يلزم اجتماع مشايخ السلطان به لكن يُنظر في الأحوال فيكون الأمر بناء على ذلك، وتصدُّر مشايخ السلطان على شيخ الإسلام هو قانونٌ.

ينبغي أن يكون الوزير الأعظم صاحب وقار في الديوان الهمايوني، لا يجوز أن يتحدّث مع أهل الديوان ولا سائر الناس.

وقضاة العسكر ينظرون في الدعاوى الشرعية في الديوان، وعدم محادثتهم لسائر الناس قانونٌ.

يتصدَّر جماعة الدفتردار المالية على أصحاب السناجق والأغاوات الخواص، ورئيس الأغاوات الخواص هو أغا الانكشارية/رئيس الانكشارية، وبعده مير علم، بعده رئيس حرّاس السلطان، بعده مير أخور[226]، وبعده تشاقرجي باش[227]، وبعده رئيس جاشنكير[228]، وبعده أغاوات البلوك.[229]

---

226 وظيفة رئيس الطائفة التي تعتني بحيوانات السراي العثماني والسلطنة بشكل عام، Abbas Sabbâğ, "Mîrâhur", TDV.

227 باش تعني الرأس بالعثمانية، وهو رئيس الطائفة التي تعتني بأمور الصيد في السراي العثماني، Abdülkadir Özcan, "Çakircibaşi", TDV.

228 رئيس الطائفة التي تتولّى النظر في الطّعام في السراي العثماني، سبق تعريف جاشنكير.

وجماعة الدفتردار تتصدّر على النيشانجية، إلا أن يكون النيشانجية أقدم، وكلّ من دفتردار المالية والنيشانجية هم في درجة قضاة العرش، كذلك يتصدّرون على جماعة المدرسين إذا كانوا في حدِّ خمسين أو ستين، وجماعة دفتردار المالية هم مع قضاة البلاد الثلاثة[230] في درجة واحدةٍ.

وكتخُدا الدفتر[231] يتصدّرون على المتفرِّقة[232] والجاشنكير.

ويتصدّر مدرسو الصّحن[233] على أمراء الألوية/السناجق، لكن في الداخل والخارج هم تحت أمراء الألوية، ويتقدّم الناظرون في أمور السلاطين على الجاشنكير والمتفرّقة.

وللمتقاعدين من أصحاب السناجق مائة وخمسون آقجه، وكذلك المتقاعدون من وظيفة الدفتردار.

---

229 كلمة البلوك تعني في العثمانية القسم أو الجزء، وقد استُعملت الكلمة في الدولة العثمانية على مجموعات عسكرية، فمثلا 1000 عسكر من الانكشارية يعني 10 بلوكات، وأغاوات البلوك تعني رؤساء هذه المجموعات العسكرية، انظر بالتفصيل:.Abdülkadir Özcan, "Bölük", TDV

230 يقول محمد إبشيرلي بأن مصطلح البلاد الثلاثة إذا استعمل مع ذكر استانبول فإنه يعني مناطق غالطة وأسقودار وأيوب (كل هذه المناطق في إستانبول حاليا)، وإذا استُعمِلت وحدها فقد تُطلق على مدن إستانبول وبورصة وإدرنة، والظاهر أن المقصود هنا هو هذا المعنى الأخير، فيعني بذلك القضاة الخاصين بهذه المدن الثلاثة. Mehmet İpşirli, "Bilâd-I Selâse", TDV.

231 كتخُدا هو عنوان لوظيفة أُطلقت على بعض العاملين في الدولة العثمانية وعلى الحرفيين، والكلمة فارسية الأصل، وتعني صاحب الدار، واستُعملت عنوانًا وظيفيًا في الدولة العثمانية؛ فكان يوجد كتخدا الخزينة وكتخدا البريد وكتخدا الحرّاس وكذلك كتخدا الدفتر، ويمكن القول بأنه ابتداءً من القرن الخامس عشر الميلادي اكتسب هذا المصطلح معنىً المساعد، انظر: .Mehmet Canatar, "Kethüdâ", TDV

232 المتفرّقة هي مجموعة مختارة في السراي العثماني في مقام الوزراء، ويوكَّلون بوظائف مختلفة، انظر: Erhan Afyoncu, "Müteferrika.

233 الصحن الثمان هي مجموعة مدارس عُليا أُسست من طرف السلطان محمد الفاتح، بدأ إنشاؤها في سنة 1463/867 وتم إنشاؤها سنة 1470/875، مدرسة مكوّنة من ثمانٍ درجات، حول جامع السلطان الفاتح، وقد احتلّت مكانة عالية في الدولة العثمانية كما احتلّ مدرسوها وخريجوها مكانة خاصة في الدولة: Fahri Unan, "Sahn-I Semân".TDV.

وينبغي على الوزير الأعظم إذا عيّن أحدًا لوظيفة ما أن يختار من هم أهل الاستقامة والورع والعِرض، فتولية الوظائف يجب أن تكون على هذا الوجه.

والكاتب ينبغي أن يُقدَّم على الجاويش[234]، فهو محترمٌ ومعزَّزٌ.

حكاية:

حدث في عهد المرحوم السلطان سليم تنازعٌ بين الكاتب والجاويش، وحينما رُفِع هذا التنازع إلى حضرة السلطان سليم خان- نوّرَ الله قبرَه-، قال بأنه يجب تقديم الكاتب على الجاويش، فالكتّاب هم حُفَّاظ أسرار الدولة، أما الجاويش فهم يخدمون مصالح الدولة الظاهرة"، ومن بين الكُتَّاب كاتب الانكشارية فهم رأسٌ، وبعده كاتب اليومية، وبعده كاتب السِّر.

والقانون هو أن يكون معاش جماعة "المتفرّقة" متقدِّمًا على "الجاشنكير" و"الكتَّاب"، وألا يكون من الخارج، وهذا لا يجوز لمن هو من الحرم الخاص أو لأبناء الدفتردار في الأستانة أو البيلربيك، لكن يصحّ هذا لأبناء الوزراء فهو قانون، فلهم ثمانون آقجه، وللسلطان أن يمنحهم مائة آقجه.

وللوزير الأعظم أن يكون متحمّلا بشكلٍ كليٍّ أمر المعاش، ولا يستحق أحدٌ إمارة لواء/سنجاق دون ثمانين ألف آقجه، وآخر حدود السنجاق هي أربعمائة ألف آقجه، وإذا خرج دفتردار المالية إلى إمارة لواء/سنجاق فيجب أن يخرج بأربعمائة ألف آقجه، وإذا كان أغا خاص فيجب أن يخرج بخمسين ألف آقجه، ويجب على الوزير أن يقابل أي صاحب زعامة واقفًا على قدميه، والزعامة أقصاها مائة ألف من المتفرِّقة، أما الكاتب فيتحصل الزعامة بمبلغ أقصاه خمسين ألف آقجه،

234 وظيفة الجاويش تُطلق على عدة وظائف في السراي العثماني، كما استُعملت كرتبة في العسكر، فأطلقت كإحدى الرتب في الانكشارية، انظر أصل وتاريخ الكلمة واستعمالاتها: Orhan F. Köprülü, "Çavuş", TDV.

والجاويش يجوز أن يجمع أربعين ألف آقجه، وإذا زاد على هذا فقد يكون سببا في عزله بالسيف، يجب الحذر من جمع الأموال.

والجاويش وكتخدا الحرّاس هما آذان الوزير الأعظم في الديوان الهمايوني حتى وإن كان جلوسًا للسلطان[235]، فجب أن يكونوا من أهل الفائدة والورع، فالجاويش يجب أن يكونوا من الصفوة المختارة، لا يجب أن يكون معاش الجاويش من الخارج، وزيادة معاش الجاويش على أربعمائة ليس قانونًا، ولا يجب على الصدر الأعظم أن يدفعه، وليس قانونًا أن يكون الجاويش دون زعامة، وليس قانونًا أن يدفع معاش المتفرّقة والجاشنكير والبقية.

ويجب أن يكون كتخُدا الحُرَّاس من صفوة الجاشنكير أو من المتفرِّقة وألا يكون من الخارج، كما يجب أن يكون قد عمل في الحرم الخاص، ويجب ألا يرجع رئيس الجاويش عن مكانٍ وضعه فيه الوزير الأعظم، وليس قانونًا أن يبلغ كتخُدا الحرّاس مكانًا معينًا، ويعرف الجاويش وكتحُدا الحراس أمراء كثيرين، فلا يلزم منهم جوابًا، وإذا خرج منهم جوابًا/كتابًا فيجب عزلُهم وإعطاؤهم حقوقهم.

يجب على الوزير الأعظم أن يخاطب السلطان مستعملا في كلامه دائمًا: "سلطاني، قد أذهبتُ الوِزْرَ من رقبتي، أنا قلتُ ما أراه صحيحًا، أما أنتم فيوم القيامة تعطون الجوابَ".

ويجب على السلطان[236] أن يسمع شكاوى الشاكين بنفسه، وإذا أتى سفيرٌ من الخارج كي لا يفهموا الوضع جيدًا، يجب أن يُعيَّن عليهم حارسًا، وينبَّه على هذا الحارس ألا يدع السفراء يتجوّلون كثيرًا، كما يُقدَّم لهم الطعام.

235يعني جلوسه على العرش.

236 لم ترد في مطبوعة تشودي ذكر الوزير الأعظم بل ورد عطف على الغائب في الجملة السابقة، وقد ترجمها أحمد أوغور إلى الوزير الأعظم وهو يعتمد في الأكثر على مطبوعة تشودي، أما مطبوعة مباحة فقد ذكرت اسم "السلطان" صراحة، فوفقا لمطبوعة تشودي فالمعنى يجب على الوزير الأعظم أن يستمع بنفسه للشكاوى، ووفقا لنسخة محبة "يجب على السلطان أن يستمع للشكاوى بنفسه". آصف نامه، تحقيق رودلف تشودي، ص22،

Ahmet Uğur. S. 20.

وتسعير البضائع التي في الأسواق هي من أهم أمور الدنيا، ينبغي أن تكون بأحكام مقيّدة، فينبغي قبل كل شيء أن يكون المحتسب الذي يرعى هذه الأمور من أهل الصفوة الموصوفين بالاستقامة والدين، ولا ينبغي أن يكون أصحاب المقام من التُّجّار الذين يبيعون الأرز أو من الذين هم من أصحاب البقالات والعطارات، فتسعير البضائع إنما هو أمر الفقراء.

ولا يُسمَح لأحدٍ من عبيد السلطان أن يتلاعب بالموازين بأن يلصق في أحد طرفيه شيء[237]، فينبغي للصدر الأعظم تعهد هذه الأمور بنفسه، فمن الممكن أن يمسك عبدٌ الميزان، ويتلاعب بأحوال التسّعير والتثمين والكيالة، فإن فعل هذا أحدٌ من عبيد السلطان فإتلاف المغشوش قانونٌ، حتى لو طال هذا الأمر الأغاوات والكتخدا؛ فلو فعلوا مثل هذا فعزلهم تحقيرًا لهم قانون.

كذلك أمور اللحوم، فلا تُترك أمور التسعير والتكييل في الأسواق للانكشارية، وإلا فإن لم يضع الوزير الأعظم هذه الأمور تحت الضبط والنظام فستكون مجلبة للندم.

حكاية:

حدث في العهد الشريف عهد حضرة السلطان سليم خان فيما يتعلّق بأمور اللحوم، أن أُعلم الوزير الأعظم آنذاك بأن "يجب أن تُباعَ اللحوم للانكشارية في الأسواق بأقل آقجه من التسعير المرسوم له"، فأجاب سعادة السلطان متفضِّلا: "كل أمور التسعير واحدة لا يختلف الأمر من انكشارية عنها لسائر الناس، فلا يجوز أن يكون ثمة اختلاف في التسعير"، وقال للوزير الأعظم: "إن لم تتدارك هذا الأمر على الفور فسأقتلك".

Mühabahat S. Kütükoğlu, s.22

237يعني لتثقيل وزن كفة على كفة لغش الزبون.

لا ينبغي أن يكون الصدر الأعظم غافلا عن أمور التسعير والكيالة، ويجب أن يُرسِل رجالا معلومين بالاستقامة في أسواق إستانبول وغالطه كي يأتوا له بأخبار التسعير والكيالة.

لا يجب أن يُعزَل أهل المناصب نتيجة شكوى أو اثنتين، فلو جاءت شكوى متعلّقة بالأمراء أو القضاة لا يصح عزلهم بناء على هذا، بل الذي يجب فعله، أن يرسِل الصدر الأعظم لهم كتابًا به نصيحة واجبة فيما يتعلق بالشكوى، فإن لم يرتدِع وينتصح ويرجع فيجب حينئذ عزلُه.

يجب أن يكون الوزير الأعظم حكيمًا يقدر الأمور بقدرها، ويعرف مقاديرَ الناس، سواء أكانوا من أهل الحسب أو من أهل النسب أو من أهل المعرفة أو من أهل الخدمة، كلٌّ يقدره قدره ويعطيه حقَّه، كما يعرف مَن مِن الناس يليق بأي منصبٍ، فيختار على هذا الأساس، فلا يُعطي المناصب والمقامات لغير أهلها.

مسائل مهمة تتعلق بأبناء السِّباهية

ولا ينبغي قدر الطاقة اختيار السِّباهية[238] من الرعايا العاديين من غير أبناء السّباهية، فلو فُتِح هذا الباب للرعية، فسوف يَطلُب الجميع أن يكون من السباهية، وتكون الرعية في قلة حينئذٍ وتقل سلطة السلطان أيضًا، فينبغي أن يحفظ الصدر الأعظم هذا النظام، فأولاد الرعية يجب أن يكونوا من الرعية، وكذلك السباهية يجب أن يكونوا من السباهية، والله أعلم، (تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ المُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).

238 سباهي الفرسان العثمانيون، يعتبر فئة سلاح الفرسان الثقيلة في الجيش العثماني، انظر بالتفصيل: Erhan Afyoncu, "Sipahi", TDV.

الباب الثاني

فيما ينبغي مراعاته في الأسفار والحروب

إذا وجب السفر إلى بلدٍ ما؛ فيجب أولاً أن يُعيَّن قائدًا من الوزراء العظام أو من البيلربك، لكن يُتَجنَّب قدر الطَّاقة أن يُختار القائد من الوزراء، فهناك فارقٌ كبير في طاعة البيلربك عنها للوزراء العظام، وفي بعض الأحيان كان القائد من أصحاب السناجق، وينبغي قبل الخروج إلى السَّفر النظرُ أولاً في الخزينة والذخيرة؛ وبناءً عليه يكون السفر إلى الحرب.

وإذا كان السلطان عازمًا على الخروج بنفسه إلى الحرب؛ فينبغي قبل هذا النظر في التجهيزات، فيجتمع الدفتردار مع أعضاء الديوان حتى ينظروا في حجم المال والعسكر والطّعام الذي ينبغي أن يجهَّز لحضرته، فينبغي أن يُجهَّز كل هذا أولاً، ويكون مُعدًّا له مسبقًا، وإذا لزم الأمر كذلك النظر في الجمال والبغال والخيول عن طريق الاجتماع بالميراخور[239]، وتحضير للعربة التي سيركبها السلطان في الطريق.

وينبغي أن يراعي الصدر الأعظم أن يحفظ للسلطان مكان التعريس[240] بحيث يكون بعيدًا عن تعريس العسكر، ويُراعى أن يكون مكان السلطان في الوسط، ويكون محاطًا بالعسكر، مع مراعاة أن يكون بعيدًا عنهم مقدار مِيلٍ، تُنصَبُ خيمة الخزينة أمام خيمة السلطان وتُعقَد مجالس الدفتردار فيها.

239 سبق تعريفه، وهو المكلف بالنظر في حيوانات السلطنة والسراي العثماني.

240 التعريس هو نزول القوم بليلٍ أو نهارٍ للاستراحة أثناء السفر.

مهمّات:

والقانون هو أن يُمنَحَ من طرف السلطان لقضاة العسكر والدفتردار والنشانجية جمالا وبغالًا، وهذا مسطورٌ في دفتر حضرة السلطان سليم خان في معركة جالديران.[241]

ينبغي أن يكون الوزير الأعظم على حصانٍ في طريقه، ويحقُّ له أن يقترب من السلطان متى شاء، كذلك الأمر يجوز في حق الوزراء العظام، كذلك لا بأس أن يقترب بقية أركان الديوان حال منادتهم، وهذا جائزٌ أيضًا في حق أصحاب السناجق.

ينبغي أن يعيَّن قائمًا من أصحاب السناجق كل ليلةً منتظرًا يحفظ الأمن، كذلك ينبغي أن يكون أمام خيمات السلطان والوزراء أغا بلوك منتظرًا يحفظ الأمن، ففي عهد المرحوم السلطان سليم خان أثناء سفره لفتح ديار بكر، حدث أن جاء أمام خيمته عدة جواسيس، قد أُرسِلوا من طرف الشاه إسماعيل، وكانوا من الفداوية نيتهم أن يشعلوا النّار في خيمة السلطان، حتى إذا خرج السلطان من خيمته استقبلوا بالخنجر فيقتلوه، وقد قُبِض عليهم ونالوا جزاءهم، ومنذ هذا الزمن أُمِر بأن يكون أمام الخيمة أغا بلوك منتظرًا يحفظ الأمن.

ينبغي للسلطان أن يكون في الخلف في ساحة الحرب، وأن يتجمّع العسكر كالسلسة أمام السلطان؛ بحيث لو رُميت أقدام فرس السلطان، يقف العسكر معتصمين ويقول أحدُهم وهو يشدُّ من أزر السلطان: "لا تخف يا سلطاني؛ فالكرّة لنا"، حتى لا يبتعد ذهن السلطان عن الحرب، والقانون يقضي بأن العسكر لا يجوز أن يوزّع عليهم أموال أثناء الحرب.

---

241 أحد المعارك الشهيرة بين العثمانيين والصفويين بقيادة كلٍّ من السلطان سليم الأول والشاه إسماعيل الصفوي على رأس الصفويين في 23 أغسطس 1514، وقد انتهت بانتصار القوات العثمانية، وترتّب عليها نتائج هامّة من بينها وقف المدّ الصفوي الشيعي داخل الإمبراطورية العثمانية، انظر: Mustafa Çetin Varlık, "Çaldıran Savaşı", TDV.

ينبغي التأكُّد من مكان العسكر الصحيح، والقانون يقضي بأن توزّع الأرزاق على الانكشارية والسباهية ستة أيام، فالحدُّ ثلاثة أيام، ويُضاف عليها ثلاثة أيامٍ آخر، وإذا يُسِّر الفتح بعون الله؛ يجب أن تُقبَّل يدي السلطان، ويجب على الوزراء وقضاة العسكر والدفتردار أن يلبسوا القفطان، كذلك أصحاب المناصب سواء البيلربك أو السناجق أو غيرهم، فلباس القفطان من القانون.

والسلطان بينما هو في الحرب؛ فتقديم الجبة أو البدَل قانون، فصاحب أملاك[242] تقدَّر بستة آلاف آقجه يقدِّم جُبَّتين، كذلك من له اثنا عشر آقجه يقدِّم ثلاث جُبَّات، وأصحاب الزعامات من لهم عشرون ألف آقجه يجب أن يقدِّموا خمس جُبَّات، ومن له ألف آقجه من القانون أن يدفع ألف آقجه، وكل من البدل أو الجبة؛ ينبغي أن يقدِّمه صاحب التيمار[243] نفسه فهو أولى بهذا، حتى إن كان مريضًا أو صبيًا فتقديمهم الجُبة أو البدل قانون.

وينبغي في الحرب أن يكون مع السلطان من الأموال ضعفا الخزينة؛ فربَّما أراد السلطان أن يوزِّع هِبات.

كذلك ينبغي دعوة الحُكَّام للطعام في حدود التدبير، كما ينبغي عليهم أن يخبروا السلطان بأمور الفتح.

وإذا كانت ثمة مسائل تستحق العرض على السلطان، فيجب مراعاة القوانين والآداب- التي في السراي- في خيمة السلطان.

مُهِمَّات:

إذا وجب السفر إلى بلدٍ ما؛ لا يذهب السلطان بنفسه بل يذهب القائد العسكري/السردار أو الوزير الأعظم، والذي يلزم هنا: أن يكون المُعَّين لوظيفة

242 وردت هنا كلمة "تيمار" وقد عرَّفها خليل إنالجيك: هو نظام تخصيص الأراضي العائدة للدولة لغايات إدارية وعسكرية: Halil İnalcık, "Timar", TDV.

243 انظر التعليق السابق.

القائد مختارًا من الوزراء العظام، أصحاب تدبير وحكمة وفهم وعقلٍ، لأنه سوف يقوم بتدبير الكثير من الأمور المهمّة، وأن يكون قادرًا على إدارة طائفة العبيد.

ومراقبة الصدر الأعظم لمن يختاره أن يكون قائدًا قانونٌ، وأسامي العساكر المسجَّلة في الدفتر توصَل كما هي للقائد، فلو وُفِّر للقائد العبيد في زمنه، فلن يكون مغلوبًا.

وينبغي أن يكون ثمة مكافأة من طرف حضرة السلطان العالي، وكلُّ هذه الأمور هي التي يقدِّمها الصدر الأعظم لحضرة السلطان، ويجب أن يوفّر الصدر الأعظم للقائد كتخدا/مساعد كي يربّيه، فإذا تم الفتح والنصر بفضل الحق سبحانه وتعالى فسوف يكون هذا بفعل وحسن تدبير الصدر الأعظم، وإذا لم يمنح الحق سبحانه وتعالى النصر فإنما هو من سوء تدبير الصدر الأعظم، فكل ما يحدث فهو عند العوام والخواص معروفٌ بأنه بعلم الوزير الأعظم، لهذا ينبغي أن يدبِّر الوزير الأعظم جميع الأمور ببصيرة وعلمٍ.

مهمّات:

والتحضيرات التي تتمُّ في أسفار البحر لا تقلُّ أهميةً عن التحضيرات التي تتمُّ في أسفار البرِّ، ذاتَ يومٍ قال السلطان المرحوم سليم خان- أكرم السلاطين المعروف بالعقل والإذعان والعدل والإحسان، خادم الحرمين الشريفين، والحائز مقام عزيز مصر دون قرين- قال للمرحوم كمال باشا زاده: "أنا أريد أن أجعل عدد الترسانة[244] ثلاثمائة، لا بدَّ أن تكون ابتداءً من حصار/قلعة غالطة حتى كاغدخانه"، وقال: "أنا نيتي فتح بلاد الإفرنجة[245]"، فأجاب المرحوم منلا قائلا: "شفقة مولاي السلطان، أنتم تقيمون في مدينة تحفُّها النِّعمُ، وأكبرها البحر، فإذا لم

244 الجهاز الذي يتعلّق بالعناية بالسفن في الدولة العثمانية، انظر: NEBİ BOZKURT, "TERSANE", TDV.
245 يعني أوربا.

يكن البحرُ آمنًا لن يكون مكانٌ لسفينة، وإذا لم تكن ثمة سفنٌ لن تكون إسلامبول معمورة"، لكن لأن المرحوم السلطان سليم خان لم يُعمَّر طويلا فلم تكن هناك فرصةٌ كي تتحقق ما في خاطرِهِ ونيته الشريفة من خطط، أما سلطاننا صاحب العدل والإحسان السلطان سليمان، فقد أحكم الخطط ورتّب مهمّات وأحوال البحر كذلك أحوال البر، وغلب بحكمته ونظرِهِ أعداء الدّين غزاة البر والبحر، ولله الحمد والمنة. حتى الحقير [246] قد كان سببًا في تعيين كثيرٍ من القباطنة والقادة المستقلين للبحر، وصرفتُ همِّي لإعلاء الدولة العثمانية وإبقاء جناحها معمورًا، وكان سلطاننا يسمح بذلك ويستحسنه.

وكنت أقول دائمًا لحضرة السلطان سليمان خان فيما يخصُّ هذا الشأن: "كان بين السلاطين السالفة الكثير ممن هم صاحب البر، لكن صاحب البحر كان قليلاً، وحروب البحر يتفوّق الكافرُ فيها علينا، لذلك يجب أن تكون لنا الغلبة فيها"، وكان حضرته يجيبني: "كلمتك حقٌّ، ينبغي أن يكون هكذا"، وكانت نتيجة كلمتي هذه أن عُيّنتُ أمينًا على أمور البحر من طرف السلطان، فسواء أكانت مُهِمّات البرِّ أو مصالح البحر أو النظام العام والانتظام أو المقام العالي للوزراء والأمراء، فكل هذا فخرٌ للوزير الأعظم وسبب لأن يكون معروفًا بالذكر الجميل بين الناس، فاللازم هنا والمهم هو السعي والعمل.

الصدر الأعظم يرى الصفوة من القراصنة والقباطنة كي يتولّى أمور البحر، ويستطيع أن يدبّر حروب البحر أثناء الرياح وتدافع الأمواج واضطراب الأشرعة، قائمًا على السفن الظاهرة في البحر حافظًا وحارسًا للفرقاطات البحرية، ولا يستطيع أن يقوم بهذا أي قبطان.

246 يعني نفسه.

وإذا لزم ضربُ الحصار فالقانون هو ألا تقل القطِع البحرية عن مئتين قطعة، وعشرين قطعة مؤونة،ويلزم خمس ست قطع آخر، وإذا لم يلزم حصارٌ ما وبُغيِ حراسة البحر فقط؛ فيجب أن تكون خمسون قطعة بحرية تحقق هذا المراد.

ويجب على الوزير الأعظم أن يزور صفوة الرؤساء في الترسانة البحرية مرة في الأسبوع، كما يجب تعهُّد عنبر الترسانة وتفقُّد غياب وحضور من فيه، ويجب كذلك أن يكون كلُّ عضوٍ في العنبر جاهزًا ومهيئًا، للخروج للحرب في أي وقت.

ومن الرعايا كل أربع يوزّع خمس سنوات عشرون آقجه، وفي عهد السلطان سليم خان- عليه الرحمة والغفران- كانت عساكر الإسلام الذين يذهبون للمحافل تأخذ قطع الخُبز لكن لم يكن هذا لكل أحدٍ كل سنة، حتى لا يكوّنوا قوة وتكون للرعايا شوكة، وتختلط الأمور ويحدث البلاء، والواجب للوزير الأعظم أن يصنع التالي: "أن يضع أموالاً في جانبٍ من الخزينة للبلايا والطوارئ العارضة، تُصرف للترسانة، ولا يقترب منها الكثير، ويمكن بحدٍّ أقصى أن يؤخذ منها لجميع البلدات خمس وست أحمال آقجه".

اللهم توكّلتُ عليك، وفوضت أمري إليك إنك على كل شيء قدير.

الباب الثالث

فيما ينبغي مراعاته في تدبير أمور الخزينة

الخزينة من أهم أمور السلطنة، فالسلطنة تكون بالخزينة، فيجب تدبير أمور الخزينة، فالواجب فيها التدبير وليس الظلم، وقد كان الحقير أثناء وزراتي وجدتُ أمر الخزينة في النقص والاضطراب، وقد ناسبَ جلوسُ السلطان سليمان خان على العرش نقصان الكثير من أموال الخزينة، فكان أحيانًا لم يكفِ الأمر فيُلجأ إلى الخزينة الخارجية، وقد كان هذا سببًا في كثيرٍ من الاضطراب والاختلاط، فيجب حتمًا أن تكون الأموال الداخل للخزينة أكثر من الخارجة منها، وقد سعيتُ قدر الإمكان في تدبير أمور الدولة حتى لا تقع في اختلاط.

لا يجب التكثُّر من طائفة العبيد، ويجب أن يكون العسكر قليلين ويكونوا مقيدين بأساميهم في الدفاتر، والقانون أن يكون عدد علوفة[247] الانكشارية اثنا عشر ألفًا، أما العساكر فإن كانوا اثنا عشر عسكرًا فهم كثير، لا ينقصون من سنة إلى أخرى ويعطون العلوفة، أما السباهية والسلاحدار[248] وأربع بلوكات فتكون جملتهم ست بلوكات، وتكون جملة جماعة الـجَبَجيّةِ[249] والمدفعيّة عدد خمسة عشر ألف عسكرًا، ويكون حاصل كل هذا سبعة وعشرين من العبيد العلوفة، بإذن الله يكونون حاضرين في كل ميدان، ويعطون كلّهم مائة آقجه، بإذن الله تعالى لو قدِّر في السنة الخروج إلى الحرب مرتين، سيكون هذا كافٍ لهم في حروب البرِّ والبحر، وللعبيد أن يَعطونَ رواتب مرة كل ثلاثة أشهر، وينبغي أن توفّر أموال إذا كان

247 الذين يتقاضون راتبًا.

248 سؤلوا السلاح والتسلّح في الدولة العثمانية: Şerafettin Turan, "Silâhdar", TDV.

249 فرقة من العسكر تابعة للجيش التابع للسلطان (كابي كولو)، والكلمة في الأصل من اللغة المغولية وأضيف إليه (جي) التركية، ووظيفتة جماعة الجبجية أن يزوّدوا جماعة الانكشارية بكافة عدة الحرب من قوس وسيف وخوذ وبنادق ونحوه، فيتولّون صناعتها وتأمينها وحمايتها، انظر: Yasemin Kiliçarslan, "Cebeci", TDV.

هناك محفلاً، وكذلك يوفّر ما يعطي لرئيس المطبخ والميراخور والشَّهْرَمِيني[250]، ويجب أن يكون هناك فائضًا في الخزينة كل سنة.

وقد كان هذا الفقير أثناء وزارته حينما يكون فارغًا كانت الخزينة في "يدي قلعه" وفي الخزينة الآمرة كان يبقى ما يُقدَّر بألبسة عشرين سنة، فحاشا لله أن يكون غير ذلك، وكان يوفَّر لمصاريف المحافل ورئيس المطبخ وبقية المصاريف ما يوازنهم من الأموال، على الخصوص مصاريف سعادة السلطان كانت متوفّرة بزيادة، أما الوزير الأعظم فينبغي أن يكون مصرفه مضبوطًا، وحينما يمنح الدفتردار أراض إقطاع زيادة ولا يعمل الدفتردار بموجب هذا؛ يجب عليه أن يتعهّدهم بالسؤال بأن طالب المقاطعة فعليًا هل له قدرة عليها أم لا، فيجب للوزير الأعظم أن يعلم هذا.

يجب على الوزير الأعظم أن يجلب للديوان الدفترادار، ويكونوا من أصحاب التدبير وأهل القلم أصحاب الوقار، وبجب أن يتمتع الدفتردار باستقلال تامّ، ويُفوَّض إليهم أمورُ الخزينة، أما الدفتردار فلا يجب أن يقعوا في هوى أنفسهم ويجب عليهم أن يتقيّدوا بمال السّلطان.

فإن لم يكونوا كذلك فلن يكونوا في راحةٍ من أمرهم، وقد حدث في عهد سلطاننا عن إبراهيم باشا وإسكندر شلبي، وهما معروفون بين النّاس كلّهم ومشهورون، وحينما زار السلطان سراياهم وحدائقهم وقعوا من أعين الناس، وفي آخر الأمر؛ حينما عُيّن أحدهما قائدًا أثناء فتح بغداد، بسبب بعض الأخطاء- وكذلك الآخر بسبب بعض أخطائه في الخزينة- تعرض كلٌّ منهما إلى عذاب السلطان.

يجب أن يكون رئيس الدفتردار على بصيرةٍ وحكمةٍ، أهلًا لهذا المقام، ولا يجب عليه على الإطلاق أن يزيد في المصرف آقجه واحدة، وهذا يؤدّي إلى

250 من يتولّى كل أمور الانشاءات والتعمير الخاصة بالسراي العثماني والأبنية، انظر: Ali Akyildiz, "Şehremini", TDV.

اختلال كُلّي في الخزينة، ويجب على الوزير الأعظم أن يراقب الدفتردار، ينظر في الدفتر اليومي وما يتعلق بالإيرادات والمصاريف، ولو وُجد تقصيرٌ من الروزنامجي[251] والدفتردار يجب عزلهم، وحبس كليهما في "يدي قلعه" أو في الحصار لمدِّة.

ويجب على الروزنامجي أن يكتب كل ما يتعلق بالإيرادات والمصروفات حتى وإن كانت من الدفتردار، كما يتعهّد الوزير الأعظم تقييد الروزنامه كل أسبوع، ويلزم لرئيس الدفتردار التالي؛ ألا يفرِّط في آقجه واحدة داخلة للديوان، أن يتصرّف إذا أراد أن يعطي راتبًا للعبد، فيسعى جهده في تدبير كل ذلك، ويجب أن يجعل الدفتردار كل أمور ضرب السِّكّة سواء أكانت آقجه أو ذهب مقيدة بنفسه، ولا يعتمد على العيَّارين، ويذهب خُفية إلى دار ضرب السّكة مرة كل أسبوع يتفقّد شؤونها، فإذا أصاب الدولةَ سوءٌ فإنما يأتي من السّكّة، فينبغي أن تكون أمورها مضبوطة محكمة لأنها من الأمور المهمة في الدولة.

يجب على الدفتردار أن يضبط جامع الضّرائب[252]، ولا ينبغي للدفتردار أن يخرج للنظر في الحدائق، وإن خرج مع جامعي الضرائب فينبغي أن يكون كلُّ أحدٍ منهم في جانب، ويجب على الوزير الأعظم أن يعزل من يذهب إلى التجوّل، حتى يخاف الآخرون.

ينبغي أن تسير أمور الخزينة بدقّة عالية؛ سواء أكان في منح الرواتب أو في التقاعد خاصة، يجب الاهتمام بأمور التقاعد وما يتعلق بها من رواتب، فتكتب مرارًا، ويطبَّق ما هو مسجَّلٌ في الدفاتر القديمة، لا يُنقَص منه شيء، فإذا أتى التقاعدُ فالقانون يقضي بالتالي:

251 كاتب الأمور اليومية في السراي العثماني، وقد يقصد به هنا مُسجِّل الإيرادات والمصروفات اليومية، Fikret Sarıcaoğlu, "Rûznâme", TDV.

252 ورد هنا كلمة "مقاطعاجي" من "المقاطعة"، والمقاطعة هي المؤسسة التي تتعهد جمع الضرائب في المالية العثمانية، Mehmet Genç, "Mukātaa", TDV.

يُعطى البيلربك مائة وخمسون آقجه، وقضاة العسكر مائة وعشرون آقجه، وقاضي إستانبول مائة آقجه، وقاضي أدرنة وبورصة تسعون آقجه، أما بقية من في العرش فيعطى كل واحد منهم ثمانون آقجه، والوزراء مائتان آقجه، وأصحاب السناجق سبعون آقجه، ولا يجوز أن يُحرك أحدٌ من هذا، ويُعطى كلٌّ أحدٍ حسَب منصبه ومقامه.

ولا يجوز التقاعُد من وظيفة الخزينة، هذا مع القول بأن نظام التقاعد قانونٌ، لكن ينبغي قدر الطّاقة تحمّل الوظيفة والصبر عليها، فهذا الذي يجب مراعاته أولا دون إيجاد طريق آخر، وإذا لم يسر الأمرُ على هذا فلن تكون الخزينة في ازدياد، كما يجب أن يتحمّل الصدر الأعظم عبء الوظيفة.

وإذا كان هناك تقاعدٌ بالتيمار[253] فالقانون أن يُعطى الوزراء مائة وعشرون ألف آقجه، والبَيلربك ثمانون ألف آقجه، والدفتردار ستون ألف آقجه، والسنجاق خمسون ألف آقجه، ولا يُزاد على ذلك.

حكاية:

حدث في عهد السلطان بايزيد خان- نوّر الله مكانَه الشريف- أن أُعطي الوزراء عشرون ألف، والبقية عشرة آلاف حقّ التقاعُد، فلم يرضَ حضرته عن هذا مطلقًا، وقال حضرة السلطان: "كلما زيد في القانون كلما نقصت السيوف، وإلا سينالك عقابي"، وقال للوزير الأعظم: "لعنك الله أيها الوزير الأعظم، فإن من قانون الخلافة ألا تجمع سيفين في رجلٍ"، فيجب أن تكون زيادات الرواتب وترقّي الزعماء طبقًا للقانون، كذلك ينبغي أن يكون الوزير الأعظم في أمور الترقية، فهل يقبل صاحب العقل الراجح لعنة أميره؟، والقانون العثماني هكذا؛ عُرف في أزمنة

253 انظر تعريف "التيمار" في تعليقٍ سابق.

السلاطين الماضية أن الوزراء أصحاب الرأي والحكمة والتدبير إعطاؤهم للضرائب على ديوانهم الثاني ليس من القانون.

لكن يرى الوزير الأعظم مصالح في بيته فيعطي ضرائب وفقًا للقانون، وإذا لزِم قد يُعطي من في الديوان الهمايوني، ويجب على الوزير الأعظم أن يفهم هذه الأمور، فقد يكون من مكانٍ واحدٍ ويسري ذلك في بقية الأماكن.

وجمع ضرائب المقاطعات أمانة تُعطى لمن هو أولى بها، والعقل يقضي بأن يعطي الوزيرُ الأعظم والدفتردار مالية الدّولة لمن هو أولى بها ويعمل بحقّها.

أما فيما يتعلّق بالدِّيار؛ فيجب أن يأتي من خزينة مصر كل سنة مائة وخمسون ألف ذهب، وهذا المال مخصصٌ لسعادة السلطان لمصرف جيبه الخاص.

وبالجملة؛ ينبغي تعهُّد أحوال الخزينة سنويًا، وتعهّد الإيرادات والمصاريف، اللهم يسِّر لنا البركة في السفر والحضر بحرمة سيد البشر.

الباب الرابع

فيما ينبغي مراعاته في تدبير أمر الرعايا

أولاً يلزم أن يكون من الرعايا اشْكِنجي[254] والِلّنجي[255] وَاقِنجِي[256]، طائفة التتار في الحقيقة طائفة منقادة للأعتاب العثمانية، لكنهم فيهم العصيان لا يجوز تكليف أحدٍ منهم للخروج إلى الحرب، ويجب تعيين أحدٍ من العسكر لتوفير الذخيرة للأَقِنْجي.

وينبغي تسجيل أسامي الرعايا في الدفاتر وضبطها في ديوان الدفترخانه[257]، كما يجب أن يُجدّد هذا الضبط والتقييد كل ثلاثين عامًا، فينظر في الرعايا فإن وجد في الدفاتر من هو مات أو مرِضَ فينبغي إخراج أساميهم من الدفاتر، كما يجب مقابلة الدفاتر الجديدة بالقديمة ولا تبقى القديمة على حالها مع ازدياد الرعايا.

وإذا خرج رعايا فارّين من مكان ما من ظلم حاكمه- نعوذ بالله تعالى- وذهبوا إلى مكان آخر، فيجب أن يُرسَل هذا الحاكم إلى أمكنته القديمة، حتى لا تقع البلاد في الخراب.

ويؤخذُ من الرعايا كل أربع سنوات عشرون آقجه للطوارئ، وقد جُمعت في عهد السلطان سليم خان، ثم بعد ذلك كانت تؤخَذُ كل خمس سنوات عشرون آقجه،

---

254 هو مصطلح يطلق على العساكر المستخدمين في الحروب في الدولة العثمانية؛ Abdülkadir Özcan, "Eşkinci", TDV.

255مصطلح عسكري، وقد وردت لفظتان منها: اللجي ويحتمل أن تكون Alayıcı بالتركية، وهي أيضا تطلق على مجموعة عسكري أو تكتل عسكري. ZİYA KAZICI, "ALAY", TDV.

256 آقنجي وجمعها آقنجيلار وهي وحدات سلاح الفرسان الخفيفة في الجيش العثماني، وفي عهد مراد الأول عند تأسيس الانكشارية أوكِل لهم مهمة الوقوف على الحدود، انظر بالتفصيل: Abdülkadir Özcan, "Akinci", TDV.

257 هي الدائرة التي تتعلق بالتسجيل والتقييد فيما يخص أملاك الدولة العثمانية وأراضيها والإقطاعات وغيره، Erhan Afyoncu, "Defterhâne", TDV.

وهذا مقابل راحتهم ولكي يزوّد العسكر بالمؤونة، ولكن هذا ليس بالشيء الجيد، فلا ينبغي أن تؤخذ كل سنة، حتى لا يعصون.

أما المجدِّفون الذين يعملون في السفن، فيجب اختيار النافعين والشباب، من كل أربع محلات يتم اختيار شاب، ويُرسل للخدمة عدة أشهر، ويتقاضى مقابل هذا كل يومٍ عشرة آقجه.

وإذا وجد من يعمل في الخدمة العامّة ومن هو لائق بالتيمار لو كان من السباهية، فلا يجب رعايته من أقربائه ولا أمه ولا أبيه، حتى لو كان له مشرف فيجب خروجه من تحت رعايته، لكن غير هذا فيجب أن يكون التوابع تحت الرعاية.

وبالنسبة إلى جنس السادة الكرام؛ فما اشتُهِر في العُرف أنهم هاشميّون، لكن نسبُهم قد اختلط بأنساب كثيرة أخرى، وقد وُضِع لهم نقيبُ السادات، وينبغي أن ينظر في الدفتر القديمة في الشجرة الطيبة، فيجب إخراجُ من ليس منهم.

وإذا زادت الرعايا بزيادة الأولاد فالقانون يقضي بتسجيل زيادة الرعايا، ولا يعتبر انتقال الرعايا من قريةٍ إلى قرية أخرى بمركبٍ- عبر البحر وخلافه- بسبب أفعال السباهية زيادة في السكان.

وسياسة القانون أن يكون في أيدي الرعايا أنواعٌ من أسلحة الحرب؛ كالسيف والقوس والبندقية أو غيرها، وإذا سعى في القتل، وإذا وُجد ذلك فإن القرية بأكملها تكون مستحقّة للتجريم، فينبغي على أهل العرف أن يجتمعوا ويضعوا وظيفة لهذه الآلة: "لماذا أعطيتم هذه الآلة"،

ولا يجب إعطاء وجه- يعني المبالغة في الإكرام والترضية- للرعايا، ومن كان في سعةٍ من ماله فلا يجب أن يتعرض إليه أحدٌ، لكن لا ينبغي أن يتزيّن ويلبس ويركب مثل السباهية.

وهذا الحقير بالغ التقصير، قد أخذنا وسمعنا عن السلف الأكرمين المعروفين بالتقوى والاجتهاد العظام، وسعينا في تقليدهم، وقد حررتُ هذه الرسالة على هذا المِنوال، والحق سبحانه وتعالى مسهِّل الصعاب وملهم الصواب.

ارزقنا في أقوالنا الخير والرشاد والأخلاق الحسنة، بحرمة سيد المرسلين وخاتم النبيين، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

تم التحرير في أواخر شهر صفر المعظم سنة 1015.

نتيجة البحث

يعتبر لطفي باشا من أهم الشخصيات البيروقراطية في الدولة العثمانية؛ فقد نشأ في عصر ذروة نهضة الحضارة العثمانية، وبزغ نجمه في عصر السلطانين سليم الأول وسليمان القانوني، وقد قُصِد من تربيته في الصغر أن يكون هكذا، فنشأ في السراي العثماني وتدرّج في الوظائف العسكرية والسياسية، وانتهى به الحال إلى أن بلغ ذروة درجات الحكم العثماني، في وظيفة الصدر الأعظم.

لقد كانت عقلية لطفي باشا السياسية والفكرية نتاج هذه التربية وقراءته وتحصيله العلمي وتجاربه السياسية، فكوّن لنفسه شخصية مستقلة، تعي الفرق بين الانتماء والتبعية المطلقة على سبيل المثال، وبين الحفاظ على الهوية السنّية واللعب في ميادين السياسة والعسكرية، فهو مخلصٌ تمام الإخلاص للدولة العثمانية، قضى عمره في خدمتها عهد السلاطين بايزيد الثاني وسليم الأول وسليمان القانوني، وألف في تاريخ العثمانيين كتابه المهم "تواريخ آل عثمان"، وذكر في مقدمته فضائل آل عثمان، واعتبر سلاطين الدولة العثمانية من المجددين في الإسلام، وفضّلهم على كثير من أمراء وملوك الدول الأخرى، فذكر فضائلهم ومحاسنهم ومغازيهم وفتوحاتهم، واهتم بتفاصيل ذلك، لاسيما وقد عاش كثيرًا من الأحداث ورواها بنفسه كمؤرّخ عسكري سياسي، وصل إلى قمة هرم السلطة العثمانية.

انقسم البحث إلى جانبين أساسين؛ الأول هو ذكر ترجمة مختصرة للطفي باشا وآرائه الكلامية، وقد ناقشنا هنا آراءه من خلال رسالتين: الأولى في ذكر مراتب الإيمان وأنواعه، وقد ذكرنا أن رؤية لطفي باشا كمتكلّم مثل باقي المتكلمين المعتزلة أو الماتريدية رؤية تحمل كثيراً من المجازفة، فلم يكن هذا العلم من همومه بالأساس، بل في ظننا أن لطفي باشا بعقليته المحافظة التي تسعى لحماية هوية

الدولـة السـنية، سـعى إلـى تـأليف مثـل هـذه الرسـائل لتنبيـه النـاس ورعايـا الدولـة ودلالـتهم علـى طريـق الحـق والصـواب، وتحـذيرهم مـن طـرق الضـلال والباطـل كمـا يرى، وعلى هذا الأساس ألف ما ألف في علم الكلام، فكان مما ألف هذه الرسالة فـي بيـان مراتـب الإيمـان، التـي لـم تكـن علـى مسـتوى الدقـة المطلوبـة فـي أمثالهـا المؤلفة فـي علـم الكـلام، كمـا ألـف الرسـالة الثانيـة التـي ألقينـا عليهـا الضـوء وهـي "رسالة في بيان الفرق الضالة".

لقد نشأ مفهوم الفرق الضالة بناء على رواية حديث تفرُّق الفرق إلى ثلاث وسبعين فرقة، ورأينا أثناء نقاش هذا البحث فرصة كي نلقي نظرة على روايات هذا الحديث وإشكاليته في التراث الإسلامي، والحديث في حقيقة إسناده ومتنه يحمل إشكالية، واستعمل كأداة رادعة لكثير من الفرق الإسلامية، وقد نقلنا عن العلماء والمتكلمين تشككات وتأييدات للحديث أو عليه، ورأينا أن شيوع هذا الحديث وظهوره بـدأ بقـوة فـي سـاحة الفكـر الإسـلامي اعتبـاراً مـن القـرن الخـامس الهجـري، فكُتُـب المقـالات لـم تعـتن بهـذا الحـديث قبـل هـذا الوقـت، ولـدينا نمـاذج كثيـرة مـن كتـب المقـالات كـأبي الحسـن الأشـعري وغيـره، فلـم يبنـوا كتـابهم علـى هـذا الحـديث كالمتأخرين، ابتداءً من البغدادي صاحب "الفَرق بين الفِرق"، الذي كان صاحب نبرة في نقاش ونقد الفرق الإسلامية، أثرت في كثير من كتب المقالات والفرق، بل في الفكر الإسلامي بشكل عام، وعلى أي حال كان عمل لطفي باشا في الفرق الضالة على هذه الوتيرة التي اتخذت من الحديث خطًّا رئيسا لها، وسعى أن يضبط ما كتبه ويذكره بناء على رقم الثلاث والسبعين المذكور في الحديث، وقد كان عمل لطفي باشا في هذا الصدد مختصرًا ككثير من مؤلفاته، لكنه حمل أسماء الكثير من الفرق الضالة، فكان يذكر اسم الفرق وتحتها سطرين أو ثلاثة على الأكثر.

احتوى الجانب الثاني من البحث على بعض التحليلات السياسية المستنتجة من آراء لطفي باشا، ورأينا أن أهم ما خلّف لنا لطفي باشا في هذا الجانب هو آراؤه

المتعلقة بالإمامة والخلافة في الفكر الإسلامي، كذلك بوظيفة الصدارة العظمي، فاستغللنا هذه الفرصة لنلقي الضوء على مسألة الإمامة والخلافة في الفكر الإسلامي، وما دورها الحقيقي التي قامت به، قوةً وفعلاً، يعني نظريةً وتطبيقاً، فقسمنا البحث إلى ناحيتين: الأولى هي النظر في مفهوم "الخليفة الإمام"، فابتدأ في فحص هذا المفهوم لغويًا، ثم اصطلاحًا وكيف يرونه الفقهاء والمتكلِّمون، وذكر البحثُ الشروطَ التي قِيلت من جانب الفقهاء والمتكلّمين في الخليفة الإمام المعترَف به شرعًا ودينًا، وكان من ضمن هذه الشروط شرط قرشية الخليفة، استنادًا للحديث النبوى "الأئمة من قريش"، وقد ادّعى البعض تواتر هذا الحديث والإجماع على المسألة، هذا مع أن هناك فريقًا من العلماء والمتكلمين قد استشكل الإجماع المدَّعى، كما نفوا التواتر للحديث، والحديث في ذاته يحتمل التأويل كما ذُكِر سالفًا.

رغم أن مسألة شرط قرشية الإمام شهدت استقرارًا في الأدب السياسي الإسلامي، فجمع كبير قد اتّفق على ضرورة أن يكون الخليفة قرشيًا كما سبق، إلا أنها في التطبيق العملي السياسي لم يكن لها كبير دور في تحريك الأحداث؛ إذ كان الأمر – في الواقع- التسليم للغلبة بالسيف والقوة، ثم بعد ذلك قد تستخدم السلطة هذا الأمر في إثبات شرعيتها، أو تستخدم السلطة المضادة هذا الحديث في رفع الشرعية تمامًا، كما حدث هذا الأمر في حالة الفاطميين على ما أسلفنا في البحث.

لقد احتفظ منصب الخلافة بالقوة المعنوية والسلطة الفعلية- نستطيع أن نقول- في العهد الأول من الإسلام، في الخلافة الراشدة، ثم بعد ذلك تحوّل الأمر إلى سلطنة ووراثة، كلّما تأخر الزمن كلما ضعُف منصب الخلافة وفرُغ من قوته المسيطِرة الداعمة للاستقرار، حتى أصبح في كثير من فترات الإسلامية، مجرد رمز معنوي وديني، يلتمس منه أصحاب القوة والغلبة اعترافًا بسلطانهم، كي يحظوا بالشرعية الدينية والقبول بين الناس.

ظلّت مسألة قرشية الخليفة تحتفظ برونقها وسلطتها في مختلف مراحل التاريخ، وبتعاقب الأمم وظهور أعراق وشعوب إسلامية وخفوت أخرى، جاء الدور على العثمانيين ليتسلّموا مقاليد الأمة، وحينما انتقل أمر الخلافة إلى العثمانيين وذهب سليم الأول إلى مصر وأخذ الخليفة وأولياءه إلى إستانبول، هذا الخليفة الذي لم تكن له أي سلطة في حقيقة الأمر، وبالرغم من هذا فإن البحث رأى أن سليم الأول لم يكن يرى في نفسه أنه الخليفة بدليل ذلك الكتاب الذي بعثه سليم الأول إلى طومان باي وقد نقله لنا ابن إياس، هذا الكتاب يوضح فيه سليم الأول أن له الأحقية في السلطان لأنه أخذ عهدًا من الخليفة، لكن في الوقت نفسه يمكن القول بأنه ابتداءً من عهد سليمان القانوني على الأقل، إن لم يكن في عصر سليم نفسه، فإن كثيرًا من رجال الفكر العثمانيين وغيرهم من العالم الإسلامي قد شرعوا في استعمال لقب الخليفة للسلطان العثماني، وقد ذكرنا مقدمة أبي السعود أفندي في تفسيره وهو يصف سليمان القانوني بالخليفة.

والرأي المعتبر في مسألة استعمال سلاطين الدولة العثمانية للقب الخلافة من عدمه، هو أن الدولة حينما كانت في أوج قوتها وسيطرتها لم يكن ثم احتياج لدى السلاطين لاستعمال مثل هذه الألقاب، لكن مع ضعف الدولة العثمانية وسحب كثير من الأراضي من تحت سيطرتها، ظهر التمسُّك بألقاب الخلافة والإمامة لدى السلاطين، لاحتياجهم مزيدًا من الشرعية وتثبيت قلوب المؤمنين.

الجانب الأخر الذي تناوله البحث؛ شخصية الصدر الأعظم لطفي باشا، تلك الشخصية التي تعتبر من رجال الدولة العثمانية، أصحاب الفكر والرأي، فقد كان رجلًا مثقفًا، وله عدة مصنفات من أهمّها "آصف نامه" وهو كتاب باللغة العثمانية يذكر فيه الإصلاحات التي ينبغي عملها في الدولة، وهو يعتبر إحدى الوثائق الهامّة التي تكشف النواحي السياسية والاجتماعية في الدولة آنذاك، أما رسالة "خلاص الأمة في معرفة الأئمة"– موضوع البحث– فتكمن أهميتها وتفرّدها في

تناولها لشرط قرشية الخليفة قصدًا وحصرًا، وقد ألفها باللغة العربية، ولغتها بسيطة واضحة ذات جمل قصيرة، وقد قصد فيها إلى توضيح أن الخليفة الشرعي ليس ضروريًا أن يكون من نسل قرشي.

عكست لنا الرسالة جانبًا هامًّا من السِّجالات التي حدثت في الأوساط الفكرية فيما يخص الحاكم هذه الفترة، ورغم أن لطفي باشا حدث خلافٌ بينه وبين رجال الدولة كما سبقت الإشارة أعلاه؛ حيث كان متزوجًا أخت السلطان سليمان القانوني وعمل في وظيفة الصدر الأعظم مدة سنتين على الأقل، ثم عزله السلطان وطلّق منه أخته، إلا أنه ظلَّ مخلصًا للدولة العثمانية العلية وللسلطان سليمان القانوني مدافعًا عن شرعيته السياسية والدينية؛ ومحتوى الرسالة الفقهي والكلامي كان فريدًا في موضوعه وتناوله، فالرسالة ناقشت أمرًا واضحًا وحيدًا هو شرط قرشية الإمام، وحاولت أن تثبت عدم ضرورة أن يكون الخليفة الإمام قرشيًا من الأساس، مادام كان متغلِّبًا مسيطرًا محافظًا على استقرار العالم الإسلامي.

ارتكز لطفي باشا في إثبات ادّعائه هذا على عدة استنادات، من بينها المصادر الفقهية والحديثية التي ذكرها في مقدمة رسالته، والتي تنفي هذا الشرط كما يشير لطفي باشا، لكن كان أهم من ذلك– كما أشرنا– هو استعماله لمبدأ الغلبة وسياسة الأمر الواقع، الذي يحقق الاستقرار، فقد اتّفق العلماء على أن السلطان إذا تغلّب وحكم واستقر حكمه، وجب السمع والطاعة له، وعلى هذا فإن سليمان القانوني السلطان العثماني، قد أصبح خليفة شرعيًا بهذا المبدأ، أما الحديث الوارد القائل بأن الأئمة من قريش، فهذا– كما يرى لطفي باشا– مؤولٌ بتطبيقه على الصدر الأول في الإسلام، والحادثة الواردة بها حادثة سقيفة بني ساعدة مفسِّرة لهذا، أما زمن لطفي باشا فإنه ليس منطبقًا عليه، وتقييد لطفي باشا هذا الشرط بزمن الصدر الأول يعدُّ إحدى الفرائد التي ربما لا نعثر عليها في أدبيات السياسة الإسلامية، بهذه الطريقة استطاع لطفي باشا حلَّ إحدى المعضلات الكلامية التي

قد تستعمل من قبل المخالفين لنزع الشرعية الدينية عن السلاطين العثمانيين، وفي الوقت ربما يكون قد حلّ كثيرًا من الإشكاليات التي قد تُرى في الحاكم.

أما عن العنصر الأخير الذي ذكرته الدراسة هي وظيفة الصدارة العظمى، وقد ذكرت نبذة عن نشأة منصب الصدارة العظمي، فيقال بأن بداية تسمية الوزير كانت في عهد عثمان غازي وأروهان غازي حيث بدأ شخص مساعد في أمور الدولة، ثم لما جاء عهد السلطان مراد الأول اتخذ وزيرًا آخر لنفسه، وبدأ تسمية الأول وزير أعظم، وقد انتشرت كلمة "الصدر الأعظم" اعتبارًا من أواخر القرن السادس عشر، والتي معناها قمة الهرم البيروقراطي في الدولة العثمانية، وقد ذكرت في عهد السلطان محمد الفاتح بشكل واضح، وهي اليد الثانية بعد السلطان في الدولة، فله التحكّم المطلق في الدولة، ولا يعزل إلا في حالات نادرة.

لقد عُزل لطفي باشا من منصب الصدارة العظمى، وهذا العزل ترك عليه أثرًا كبيراً في نفسه وفي حياته، فقد كرر ذكره في أكثر من موضع من مؤلفاته، أما عن أسباب عزله فمما يقال أنه قد غلّظ العقوبة لامرأة قد ارتكبت الفاحشة، وأيا كانت هذه الأسباب فإن شخصية لطفي باشا واضحة في مؤلفاته، فقد حوّل مسألة عزله هذه إلى منحة، فانزوى في مزرعته بعيداً عن مركز الحكم، كي يقرأ ويكتب ويجالس الحكماء والعلماء والشعراء، وينتج ويؤلّف، فمعظم مؤلفاته كانت بعد هذا العزل، كذلك ذهب إلى الحج، على أن هذا العزل لم يهز اعتقاده وولاءه للدولة العثمانية والسلاطين العثمانيين، حتى في عصر السلطان سليمان القانوني الذي عزل في عهده، لكن كان يقظا إلى الأخطاء التي حدثت في الإدارة العثمانية، تلك الأخطاء التي سعى جاهداً أن يصلح منها خلال توليه المناصب المختلفة، وحتى توليه الصدارة العظمى.

ألف لطفي باشا رسالة "آصف نامه" يوضح فيها كيف تكون الوزارة العظمى أو الصدارة العظمي، فكلا التعبيرين بمعنىً، فاحتوت الرسالة على معلومات قيمة

ونـادرة عن الإدارة العثمانيـة مـن الـداخل، كذلك معلومـات تتعلـق بـالجيش والعسكر والقـادة الكبـار ومعـاملتهم للسـلطان ومعاملـة السـلطان لهـم، ومـا يخـص التركيبـة السكانية في الدولة العثمانية خاصة في مركز الحكم.

كـان ممـا نبّـه عليـه لطفـي باشـا هـو وجـوب الإخـلاص أثنـاء تـولي الصـدارة العظمـى، فـالإخلاص يكـون لله لـيس لأحـد مـن النـاس، نعـم لابـد أن يكـون الصـدر الأعظم منتمياً للدولـة ومطيعاً للسلطان لا يخـرج عـن أمـره، لكن إذا رأى خطـأ فـي الإدارة فلابد أن ينبه السلطان بلهجة مؤدبة وواضحة على هذا الخطأ، ويخوفه بالله، لأن الجميع سوف يقف أمـام الله رب العـالمين، هذا الإخـلاص إذا كـان متوفراً عند الوزير لن يجعله يخاف من عزله من منصبه يوماً مـا، وقد ذكر لطفي باشا مسألة العزل هذه أكثر من مرة فـي رسالته، كأنـه يقول لقارئـه: "ها أنا ذا عُزلت، ولم أكن أخشـى العـزل، لأننـي كنـت مخلصًـا، وينبغـي أن يكـون هكـذا الـوزير العظـيم". وقد ترجمنا رسالته من العثمانية إلى العربية.

قائمة المصادر والمراجع

– قائمة المراجع العربية

- ابن الأثير، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط.
- ابن الأعرابي، المعجم، تحقيق عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، (السعودية: دار ابن الجوزي، 1997).
- ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية الطبعة الأولى، 1412هـ/1992م)
- ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، (القاهرة: نشر محمد مصطفى، 1961).
- ابن إياس، زين العابدين محمد. بدائع الزهور في وقائع الدهور. القاهرة: نشر محمد مصطفى، 1961.
- ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق محمد عبد المنعم العريان ومصطفى القصاص، (بيروت: دار إحياء العلوم، الطبعة الأولى، ١٩٨٧).
- ابن تيمية، التسعينية، تحقيق محمد بن إبراهيم العجلان، (الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، 1999).
- ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، تحقيق محمد رشاد سالم، (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1986م).
- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. فتح الباري شرح صحيح البخاري. بيروت: دار المعرفة، 1379هـ.
- ابن حزم، أبو محمد علي. الفصل. القاهرة: مكتبة الخانجي، دون تاريخ.

- ابن خلدون، المقدمة، تحقيق الدكتور عبد السلام الشدادي، خزانة ابن خلدون، بيت الفنون والآداب بالمغرب، الطبعة الأولى، 2005م.
- ابن سعد، الطبقات الكبرى، تحقيق إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، 1968).
- ابن عساكر، تاريخ دمشق، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، 1995).
- ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب. بيروت: دار صادر، 1414هـ.
- أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصليين، تحقيق هلموت ريتر، (دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا)، 1990).
- أبو السعود أفندي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، (بيروت: دار إحياء التراث، دون تاريخ).
- أبو السعود أفندي. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. بيروت: دار إحياء التراث، دون تاريخ.
- الإسفراييني، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، (لبنان: عالم الكتب، 1983).
- البخاري، محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري. تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر. بيروت: دار طوق النجاة، 1422هـ.
- بسطامي محمد سعيد، مفهوم تجديد الدين، (جدة: مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ٢٠١٥)، ١٨، ١٩.
- التفتازاني، سعد الدين. شرح العقائد النسفية، تحقيق الأستاذ علي كمال، بيروت: دار إحياء التراث، دون تاريخ.
- جورج مقدسي، الإسلام الحنبلي، ترجمة سعود المولى، (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠٠٧).

- الجويني، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تحقيق: أحمد عبد الرحيم السايح وتوفيق على وهبة، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 2009).
- الجويني، إمام الحرمين. الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد. تحقيق أحمد عبد الرحيم السايح وتوفيق على وهبة. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 2009.
- الجويني، إمام الحرمين. غياث الأمم في التياث الظلم. تحقيق عبد العظيم الديب. القاهرة: مكتبة إمام الحرمين، 1401هـ.
- حاجي خليفة، كشف الظنون، (بغداد: مكتبة المثنى، 1941)
- حسن الشافعي، الامدي وآراؤه الكلامية، (القاهرة: دار السلام، 1998).
- حميد الدين الكرماني، المصابيح في إثبات الإمامة، تحقيق مصطفى غالب، (بيروت: دار المنتظر، 1996).
- خير الدين بربروس، مذكرات خير الدين بربروس، ترجمة محمد دراج، (الجزائر: شركة الأصالة للنشر والتوزيع، ٢٠١٠).
- الذهبي، العبر في خبر من غبر، (بيروت: دار الكتب العلمية، دون تاريخ).
- الذهبي، سير أعلام النبلاء، حقق بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، (بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، 1405هـ/1985م).
- الذهبي، شمس الدين محمد. العبر في خبر من غبر. بيروت: دار الكتب العلمية، دون تاريخ.
- رامي محمود، قراءة في كتاب التحريش لضرار بن عمر الغطفاني 200– 815، مجلة كلية الإلهيات جامعة استانبول، 2016، 281.
- سركيس، معجم المطبوعات العربية والمعربة، (القاهرة: مطبعة سركيس، 1928).

- السيوطي، التنبئة بمن يبعثه الله على رأس كل مائة، تحقيق عبد الحميد شانوحة، دار الثقة، دون تاريخ.
- الشافعي، حسن. الآمدي وآراؤه الكلامية. القاهرة: دار السلام، 1998.
- الشهرستاني، الملل والنحل، (القاهرة: مكتبة الخانجي، دون تاريخ).
- الصدر الأعظم لطفي باشا، خلاص الأمة في معرفة الأئمة، دراسة وتحقيق الدكتورة ماجدة مخلوف، (القاهرة: دار الآفاق العربية، القاهرة، 2001).
- ضرار بن عمرو الغطفاني، كتاب التحريش، تحقيق حسين خانصو ومحمد كسكين، (إستانبول: شركة دار الإرشاد، 2014).
- طاشكبرى زاده، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1985)
- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (بيروت: دار التراث، 1387هـ).
- الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الرسل والملوك. بيروت: دار التراث، 1387 هـ.
- عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، (بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1977).
- عمارة، محمد. الإسلام وفلسفة الحكم. القاهرة: دار الشروق، 1989م.
- الفخر الرازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، تحقيق علي سامي النشار، بيروت: دار الكتب العلمية.
- كوبريلي زاده محمد فؤاد. لطفي باشا. استانبول: 1925، باللغة العثمانية.
- لطفي باشا، آصف نامه، تحقيق رودلف تشودي، برلين 1910.
- لطفي باشا، الصدر الأعظم. آصف نامه. تحقيق رودلف تشودي. برلين: 1910، باللغة العثمانية .
- لطفي باشا، الصدر الأعظم. خلاص الأمة في معرفة الأئمة، دراسة وتحقيق الدكتورة ماجدة مخلوف، القاهرة: دار الآفاق العربية، 2001.

- لطفي باشا: كتاب تواريخ آل عثمان، تحقيق محمد عبد العاطي محمد، (القاهرة: دار البشير، 2019).
- الماوردي، أبو الحسن علي. الأحكام السلطانية والولايات الدينية. تحقيق الدكتور أحمد مبارك البغدادي. الكويت: دار ابن قتيبة، 1989م.
- الماوردي، أبو الحسن علي. الأحكام السلطانية، القاهرة: دار الحديث، دون تاريخ.
- الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق الدكتور أحمد مبارك البغدادي، (الكويت: دار ابن قتيبة، 1989م)
- الماوردي، الأحكام السلطانية، (القاهرة: دار الحديث، دون تاريخ).
- مجمع اللغة العربية بالقاهرة، معجم ألفاظ القرآن الكريم، (القاهرة: مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، 1990)
- محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، (بيروت: دار طوق النجاة، 1422هـ).
- محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (بيروت: دار التراث، 1387 هـ).
- محمد رشيد رضا، تفسير المنار، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990).
- محمد عمارة، الإسلام وفلسفة الحكم، (القاهرة: دار الشروق، 1989م).
- محمد فريد، تاريخ الدولة العثمانية العلية، (القاهرة: مؤسسة هنداوي، 2012).
- محمود، رامي. قراءة في كتاب التحريش لضرار بن عمر الغطفاني 200-815. مجلة كلية الإلهيات جامعة استانبول، 2016.
- المقدسي البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، (القاهرة: مكتبة مدبولي، 1991).

- الملَطي، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، عني بتصحيحه س. ديدرينغ، (بيروت: المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، 2009).
- الموسوعة الفقهية، صادر عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، (الكويت: دار السلاسل، 1404هـ) 219/6.
- النديم: الفهرست، تحقيق رضا تجدد.

– قائمة المراجع الأجنبية

- Vezir Harman, Halil İbrahim Delen, Lutfi Paşa’nın İman Risalesi: İnceleme Ve Tahkik, e- Şarkiyat İlmi Araştırmalar Dergisi, Nisan 2020 Cilt:12 Sayı:2 (27) / April 2020 Volume:12 Issue:2 (27) Sayfa: 321- 355.
- Casim Avci, Hilâfet, TDV İslâm Ansiklopedisi, c.17, s.541
- Abdullah DEMR, Mâtürîdî Kelâm Ekolünde Mukalldn Manı, Uluda Ünverstes Sosyal Blmler Ensttüsü Temel Slâm Blmler Anablm Dalı Kelâm Blm Dalı, yüksek lisans tezi.
- 1Asım Cüneyd Küksal, Lütfi Paşa / Osmanlı'nın Bilgeleri, (İstanbul: İlke Yayıncılık, 2017).
- Atıf Akşit, Tarihçi Ve Devlet Adamı Olarak Lütfi Paşa Hayatı, Eserleri, Fikirleri, Yüksek Lisans, Erciyes Üniversitesi / Sosyal Bilimler Enstitüsü / İslam Tarihi Ve Sanatları Ana Bilim Dalı, 1993.
- Avci, Casim. Hilâfet. TDV İslâm Ansiklopedisi. https://islamansiklopedisi.org.tr/hilafet#1 (22.02.2020).
- Betül Canpolat Güngör, Lütfi Paşa’nın Tevarih- İ Al- İ Osman Eserindeki Müceddidlik Algısı Ve Yavuz Sultan Selim.
- Bursalı Mehmet Tahir, Osmanlı Müellifleri c.3, haz., İsmail Özen (İstanbul: Meral Yayınevi, 1975), 92, Atıf Akşit, Tarihçi ve Devlet Adamı Olarak Lütfi Paşa, Erciyes Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü İslâm Tarihi ve Sanatları Ana Bilim Dalı Yüksek Lisans Tezi, 1993.

- C.A. Nallino, Notes on the Nature of the “Caliphate” in General and on the Alleged “Ottoman Caliphate”. Rome, 1919, 16.
- Deftary, Ferhad. The Ismailis Their History and Doctrins. New York, 2007.
- Ernle Bradford, The Sultan's Admiral: Barbarossa- pirate And Empire- Builder, TPP Tauris Parke Paperbacks, 2008.
- Faruk Sümer, Yavuz Selim Halifeliği Devraldı mı?, Belleten, Aralık 1992.
- Ferhad Deftary,The Ismailis Their History and Doctrins, (New York, 2007), 195,196.
- Halil İnalcık, Osmanlı Tarihinde İslamiyet ve Devlet, (İstanbul: Türkiye İş Bankası Kültür Yayınları), s.4.
- Hinrich Biesterfeldt, Constructing Islam in the “Classical” Period: Maqalat Literature and the Seventy- Two Sects, 1/486.
- Hinrich Biesterfeldt, Constructing Islam in the “Classical” Period: Maqalat Literature and the Seventy- Two Sects, 1/485.
- Hinrich Biesterfeldt, Constructing Islam in the “Classical” Period: Maqalat Literature and the Seventy- Two Sects, Kleine Schriften by Josef van Ess (3 vols), 1/555.
- Hulusi Yavuz, Osmanlı Devleti ve lslamiyet , (İstanbul: lz Yayıncılık, 1991).
- *Hulusi Yavuz,* Sadrıazam Lütfi Paşa Ve Osmanlı Hılafeti, Marmara Üniversitesi, İlahiyat Fakültesi Dergisi, Sayı 5- 6, 1987- 1988.
- içindeki yeri, İslam İlimleri Enstitüsü Dergisi, IV(1980), s. 274.
- İpşirli, Mehmet. Lutfi Paşa, TDV İslâm Ansiklopedisi. Ansiklopedisi, https://islamansiklopedisi.org.tr/lutfi- pasa (22.02.2020).
- İsmail Hakkı Uzunçarşılı, Osmanlı Devleti’nde Merkez ve Bahriye Teşkilatı, Ankara 1988, 111
- Jahja, Muharem. Lutfi Paşa'nın Halasü'l- Ümme Fi Ma'rifeti'l- E'imme Risalesi'nin tahkik. tahlil ve tercümesi. Yüksek Lisans Tezi, 2003.
- Lütfi Paşa, Tevarih- i Al- i Osman, Haz. Bekir Manav, (İsparta: Pergole Yayınları,2017)

- M. Sait Yazıcıoğlu, XV. XVI. Yüzyıllarda Osmanlı medreselerinde ilm- i kelam öğretimi ve genel eğitim
- Mefail Hızlı, Osmanlı Medreselerinde Okutulan Dersler ve Eserler, Uludağ Üniversitesi İlâhiyat Fakültesi Dergisi Cilt: 17, Sayı: 1, 2008 s. 39
- Mehmet Kalaycı, Mâtürîdî- Hanefî Aidiyetin Osmanlı'daki İzdüşümleri, (Cumhuriyet İlahiyat Dergisi 20, Sy. 2) (Aralık 2016
- Mehmet Kalaycı, Osmanlı'da Eşarilik- Maturidilik İlişkisine Genel Bir Bakış, İlahiyat Akademi Dergisi 116
- Merçil, Erdoğan. Besâsîrî. TDV İslâm Ansiklopedisi. https://islamansiklopedisi.org.tr/besasiri (22.02.2020).
- Muharem Jahja, Lutfi Paşa'nın Halasü'l- Ümme Fi Ma'rifeti'l- E'imme Risalesi'nin tahkik, tahlil ve tercümesi, Yüksek Lisans Tezi, 2003.
- Ramazan Yıldırım, 20. Yüzyıl İslam Dünyasında Hilafet Tartışmaları, (Ankara: Ankara Yayınları,2004).
- Sümer, Faruk. Yavuz Selim Halifeliği Devraldı mı?. İstanbul: Belleten, Aralık 1992.
- Tevfik YÜCEDOĞRU, Mukallidin İmanı, Uludağ Üniversitesi İlâhiyat Fakültesi Dergisi, Cilt: 14, Sayı: 1, 2005
- Türkiye'nin Maliye Tarihçesi, Serkiz Nihad'ın 1935 yılında yayınladığı Devlet Muhasebesi Usulü adlı eserinden alınmıştır, , Muhasebe ve Finans Tarihi Araştırmaları Dergisi Temmuz 2018 (15), s.185
- Yavuz, Hulusi. Osmanlı Devleti ve lslarniyet. İstanbul: lz Yayıncılık, 1991.
- Yavuz, Hulusi. Sadrıazam Lütfi Paşa Ve Osmanlı Hilafeti. Marmara Üniversitesi, İlahiyat Fakültesi Dergisi, Sayı 5- 6, 1987- 1988.
- Yıldırım, Ramazan. 20. Yüzyıl İslam Dünyasında Hilafet Tartışmaları. Ankara: Ankara Yayınları, 2004.

فهرس الكتاب